شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة
تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت
علم وخبر 287/ 2009

العدد الثالث والخمسون، السنة الخامسة، شوّال ١٤٣٥ - آب ٢٠١٤

المدير المسؤول
خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي
أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط
علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد
دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية
تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه
المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار
- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال
تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي
03/725246 - 01/544955
ص.ب: 25/5141
www.saraer.org/shaaer
shaaer@saraer.org

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — إنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا .. الشيخ حسين كوراني 6

تحقيق — دولة بني عمّار في طرابلس ..... الشّيخ نعيم نعمة 8

مراقبات — أعمال شهر "شوّال" ..... إعداد: "شعائر" 13

أحسن الحديث — سورة "الطّور" ..... إعداد: سليمان بيضون 16

أسلوب العلّامة الطّباطبائيّ في التفسير ..... الشّيخ عارف هنديجاني فرد 18

أيام الله — مناسبات شهر شوّال ..... إعداد: صافي رزق 21

وقال الرسول — رزقٌ تطلبه، وآخَرٌ يأتيك ..... إعداد: محمّد ناصر 24

حدود الله — لا طريق إلى تصحيح عمل الجاهل المقصّر ..... إعداد: "شعائر" 25

يزكّيهم — الطّاعة قُربٌ، والمعصيةُ حرمان ..... العارف الواصل الشّيخ بهجت ﷺ 26

الملف — **الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: مدرسة الإسلام الكبرى** 27

استهلال ..... من وصايا الإمام الصّادق عليه السلام 28

خازنُ علوم الدّين، وفقيه الوحي ..... المستشار عبد الحليم الجنديّ 29

المؤلّفات المنسوبة إلى الإمام الصّادق عليه السلام ..... "شعائر" 33

كتاب "منافع القرآن العظيم" ..... علي موسى الكعبيّ 34

روائع من كلام الإمام جعفر الصّادق عليه السلام ..... الحسين بن محمّد الحلوانيّ 38

لولا دعاؤكم — من أدعية الفرج، والاحتجاب ..... إعداد: "شعائر" 43

صاحب الأمر — أنتَ المُراد في دعاء السَّحَر ..... آية الله الملكي التّبريزي ﷺ 44

تحقيق

دولة بني عمّار في طرابلس

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	الإمام الصّادق عليه السّلام: "..هكذا صَلِّ.."	الشّيخ بهاء الدّين العامليّ قدس سره	46
يذكرون	واجبةٌ كلّما ذُكِر، ووجوبها فوريّ	عليّ خان المدنيّ الشّيرازيّ رحمه الله	47
حوارات	الشّيخ محسن الآراكي: الإمامة في القرآن	إعداد: "شعائر"	48
فكر ونظر	الكبائر والصّغائر	الشّيخ ضياء الدّين العراقيّ قدس سره	52
	تَهويدُ مدينة القدس	إعداد: "شعائر"	54
أعلام	رُشَيْد بن عقبة الهَجَريّ	إعداد: "شعائر"	57
كلمة سواء	الأنبياءُ كلُّهم مُسلِمون	الشّيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله	61
وصايا	موعظة من الإمام زين العابدين عليه السلام	إعداد: هيئة التّحرير	62
مرابطة	"ملكة داعش"	بقلم: جان عزيز	64
وثائق	إجازات آية الله السيد نور الدين نور الدين العامليّ	إعداد: "شعائر"	66
دوائر ثقافية			67
موقف	معنى التّوحيد في القرآن الكريم	السّيّد الطّباطبائيّ قدس سره	68
فرائد	كم بقيَ النّبيّ يوسف في السّجن؟	إعداد: "شعائر"	69
قراءة في كتاب	كتاب "سُليم بن قيس الهلاليّ"	قراءة: سلام ياسين	70
بصائر	لا ينجو من الذّنب إلّا مَن أقرَّ به	الشّيخ محمّد أمين زين الدّين قدس سره	72
مصطلحات	النّفس والرّوح	إعداد: "شعائر"	74
مصطلحات	علم اللّغة	علي موسى الكعبيّ	75
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	76
إصدارات	عربية، أجنبية، دوريات	إعداد: ياسر حمادة	79
أيّها العزيز	غِنى النَّفْس في الفَقرِ إلى الحقّ تعالى	الإمام الخميني رحمه الله	82

إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ..

■ الشيخ حسين كوراني

ليسَ بينَنا وبينَ تَسارُع فرار اليهود من فلسطين إلّا أكياسُ رَمْلِ الإسلامِ الأميركيّ- الوهّابيّ - الأمويّ - التّكفيريّ، وسرعانَ ما تَتلاشى.

يتعمّق الآن مسارُ هذا التّحوّل العالميّ لتتمكّن الأمّة بنَبضها المقاوم من استئصالِ الغُدّة السّرطانيّة بوجهَيها الخبيثَين: اليهوديّ الصّريح، والمُضمَر.

المدخل إلى هذا الهدف، هو انكشاف الزَّيف، وارتفاع منسوب «البَصيرة» ليتبدّى بجلاءٍ بالغ أنّ الوهّابيّين- السّلفيّين - الأمويّين - التّكفيريّين، هم «يهود الأمّة»، ليسوا سُنّةً يحاربون الشّيعة، بل هم يثأرون من الشّيعة والسّنّة المقاومين الذين ضيّقوا الخناق على الكيان الصّهيونيّ.

من العلامات الفارقة التي رفدت بصيرة الأمّة:

١- استهداف الشّهيد العلّامة البُوطي.

٢- وتطمين «القرضاوي» أميركا وإسرائيل أنّ «مجاهدي» الشّام لن يستهدفوا الكيان الصّهيونيّ.

٣- وفتح بوّابة «الجولان» لاستقبال جرحى الوهّابيّين وعلاجهم في الأرض المحتلّة.

٤- وصولاً إلى مقالة «تركي الفيصل» في «هآرتس» يجاهر فيها ببعض أحلامه اليهوديّة، ومنها دعوة المسؤولين اليهود إلى الرّياض!!

***

الفصل الأول - بعد المدخل - هو فضيحة «الدّواعش» الوهّابيّين من بقايا آل أبي سفيان و«الإبن تيميّين» وسائر اليهود والمُتصهينين بقيادة الشّيطان الأكبر الأميركيّ.

رأى «هرقل» العصر أن يستنجد بيهود الأمّة الذين مكّنَتهم المخابرات البريطانيّة ثمّ الأميركيّة من إغداق البترو دولار للإمعان في التّدليس على الأمّة الواحدة بأنّهم يمثّلونها ويحملون راية عقيدة التّوحيد الخالص النّقيّ!

كان هؤلاء اليهود المقنَّعون الوجهَ الآخر للغدّة السّرطانيّة المُستَشرية في «الجسد الواحد». كانت خطّة الاستكبار والاستعمار للوجهَين أن يجاهر اليهود في فلسطين بعدائهم للأمّة، ويجاهر «يهود الدّاخل» بتمثيلهم للأمّة، ويبقى التّضامن بين الوجهَين ومَن يقف خلفَهما مُضمَراً يغذّ السّير في حِمى المُضمَر نحو «مشروع بعضهم» الذي تُرجم في «قمّة فاس» إلى التّنكُّر للّاءات الثّلاث الشّهيرة، مروراً بمحطّات أوسلو وما بعدها، وصولاً إلى المبادرة العربيّة التي لا تختلف في الجوهر عمّا تحدّث به «الأمير تركي الفيصل».

***

جاءت «داعش» وما سبقها من «دويعشيّات» تنفيذاً لهذا الحُلم اليهوديّ - الوهّابيّ، لتعيد نفس تجربة «الوهّابيّين»، ولكن هذه المرة في الشّام وشمال العراق.

يستهدف الوهّابيّون الجُدد هذه المرة غايتَين:

١- الثّأر ليَهوديّتهم المهدّدة بالاقتلاع، حفظاً للعهد الذي قطعه على نفسه مَن تنازل «عن فلسطين للمساكين اليهود، ولا يحقُّ لأحدٍ أن يطالبَهم بها حتّى تصيح السّاعة»!

٢-تثبيتُ عقْد «شرطيّ المنطقة السّمسار» الذي بدأ مع المخابرات البريطانيّة، وتواصل مع وريثها الأميركيّ، ولم يشهد أيّ انتكاسة قبل حرب تمّوز، وها هو يشهد اليوم وطيساً جديداً من مواجهات غزّة التّاريخيّة.

***

لن ينطبق حساب الحقل الأميركيّ - الصّهيونيّ - الوهّابيّ والدّاعشيّ هذه المرّة مع البيدر، للأسباب الرّئيسة التّالية:

الأوّل: أنّ لحظة إطلاق المشروع الوهّابيّ الدّاعشيّ تتزامن، هذه المرّة، مع بداية أفول بريق «القطب الأوحد»، وبدء عصر «الفرار اليهوديّ» من قلب العالَم الإسلاميّ، على النّقيض ممّا كان الأمر عليه عند إطلاق المشروع الوهّابيّ الدّاعشيّ الأوّل.

الثّاني: توحيد الرّؤية السّياسيّة بين التّيّارات القوميّة الصّادقة، وبين المَدّ الإسلاميّ الصّافي، على العداء لأميركا وإسرائيلها. يرتكز هذا التّوحيد للرّؤية على أنّ «الرّجعيّة العربيّة» كما كانت تَصِفُها التّيّارات القوميّة، هي «الإسلام الأميركيّ»، «إسلام المَلالي القَذِرين» كما وصفَه الإمام الخمينيّ الذي قال أيضاً: «قد نعفو عن صدام، لكنّنا لن نعفو عن .. [هؤلاء]».

يعني ما تقدّم أنّ وعيَ الأمّة ومنذ بدء أحداث ما سُمِّيَ بالرّبيع العربيّ قد تعاظم. تعمّق الفرز بين الأصيل والدّخيل، بين الجسد الواحد وبين النّواصب «يهود الأمّة».

الثّالث: يرفد وعيَ الأمّة - أيضاً - في الرّاهن السّياسيّ أنّ عصر الفضائيّات والشّبكة العنكبوتيّة قد أتاح للكثيرين معرفةَ مخطّطات الشّيطان الأكبر الأميركيّ ودهاقنة الصّهيونيّة العالميّة، وأبرزها ما كان قد أدلى به «الحاخام كيسنجر» عن حرب المائة سنة بين السّنّة والشّيعة! وكذلك ما تحدّث عنه «برنارد لويس» حين كشف مخطَّطه لتفتيت العالم العربيّ والإسلاميّ، وقال في مقابلة مع «وكالة الإعلام» بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢٠م - كما جاء في موقع «بُراثا» على الشّبكة: «إن العرب والمسلمين قومٌ فاسدون مُفسِدون فَوضويّون، لا يُمكن تَحضُّرهم، وإذا تُركوا لأنفسهم فسيُفاجئون العالم المتحضّر بموجات بشريّة إرهابيّة تدمّر الحضارات وتُقوِّض المجتمعات ".." إنّه من الضّروريّ إعادة تقسيم الأقطار العربيّة والإسلاميّة إلى وَحَدات عشائريّة وطائفيّة ".." يجبُ تضييقُ الخناق على هذه الشّعوب ومحاصرتُها واستثمار التّناقضات العِرقيّة والعصبيّات القبليّة والطّائفيّة فيها قبلَ أن تغزوَ أميركا وأوروبا لتدمّر الحضارة فيها».

***

أدنى فصل بين مواجهة يهود الخارج والداخل، هو بمثابة الشّراكة في مصادرة المستقبل الواعد.

ها هم اليهود في فلسطين «في الملاجئ» و«تحت الدَّرَج» يعيدون النّظرَ في أصل مجيئهم، ويفكّرون بالفِرار.

لن تكتملَ معافاةُ جسد الأمّة إلّا بزوال وجهَي الغدّة السّرطانيّة ليُوقنَ كلُّ السّنة وكلُّ الشّيعة بأنّهم كانوا منذ احتلال فلسطين ضحيّةَ هذا العدوّ اليهوديّ المزدوج: المُضمَر والصّريح.

دولة بني عمّار في طرابلس
محطّة حضاريّة إسلاميّة في تاريخ بلاد الشّام

نهر أبو علي يشق مدينة طرابلس – صورة تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر

الشّيخ نعيم نعمة

دولة بني عمّار في طرابلس درّة من درَر التّاريخ، عفا عليها الزّمان وطواها النّسيان، وعملت الأقلام المأجورة على طَمس حقيقتها، وتشويه صورتها، فالبحث عن حقيقة هذه الدّولة الّتي لم تعمّر طويلاً ليس بالأمر الهيّن، لقلّة المؤرّخين الّذين أرّخوا لها لسببٍ أو لآخر.

هذا التّحقيق، هو مختصر دراسة موثّقة، أعدّها الشّيخ نعيم نعمة عن إمارة بني عمّار التّاريخيّة في شمال لبنان، وقد كانت نُشرت بكاملها في العدد الثّاني والعشرين من مجلّة الرّسالة النّجفيّة، لكننا اقتصرنا منها على ما يفي بالتّعريف بأهمّ العناوين المتّصلة بهذه الدّولة المنسيّة.

تضرب طرابلس جذورها في عُمق التّاريخ، وتَرْقى إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة عام، حيث تعاقبت عليها الأمم والعهود، من الفينيقيّين حتّى الانتداب الفرنسيّ، مرورًا بالرّومان، والبيزنطيّين، والعرب، والصّليبيّين، والمماليك، والعُثمانيّين.

لذلك أصبحت تضمّ عدداً كبيراً من البُنى التّاريخيّة والأثريّة بأحيائها، وأسواقها، ودُورها، وأزقّتها المتعرّجة المُلْتوية، والمسقوفة، ومعالمها، وتضمّ بين جَنَباتها أكثر من ١٦٠ مَعْلماً، بين قلعة، وجامع، ومسجد، ومدرسة، وخان، وحمّام، وسوق، وسبيل مياه، وكتابات، ونقوش، وغيرها من المعالم الجماليّة والفنّيّة.

وعندما دخلها اليونانيّون في القرن الرّابع قبل الميلاد، أطلقوا عليها اسم «تريبوليس Tripolis» أي المدينة المُثلّثة، لأنّها كانت تجمع بين ثلاث مناطق؛ وعندما دخلها العرب في القرن السّابع الميلاديّ، عرّبوا الاسم إلى «أطرابلس» بإضافة الهمزة في أوّلها تمييزًا لها عن «طرابلس الغرب» عاصمة ليبيا، ومن ثمّ حذفت

الهمزة وأصبحت «طرابلس»، كما دعيت أيّام العرب بالفيحاء، وما زالت هذه الصّفة ملازمة لها حتّى اليوم.

أدّت طرابلس دوراً مهمّاً كقاعدةٍ عسكريّة ابتداءً من العام ٦٣٥م.

وفي العصر الفاطميّ تميّزت بحكم ذاتيّ مستقلّ، وأصبحت مركزاً للعلم لا مثيل له في المنطقة في بداية القرن الثّاني عشر الميلاديّ، إلى أن حوصرت ثمّ سقطت بيد الإفرنج الصّليبيّين في العام ١١٠٩م.

قلعة المرقب بناها بنو عمار في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي

ومن الحقبات المُهمّة الّتي مرّت على طرابلس حقبة بني عمّار، الّذين جعلوا من هذه المدينة وما حولها دولة تقوم على التّشيّع لأهل بيت رسول الله، صلّى الله عليه وآله، مع الإشارة إلى أنّ الوجود الشّيعيّ في لبنان بدأ قبل بني عمّار، وهو قديم يرجع إلى زمن الصّحابيّ الجليل أبي ذرّ الغفاريّ، وقد شمل جميع المناطق المؤلّفة اليوم للجمهوريّة اللّبنانيّة.

نَسب بني عمّار

يُنسَب بنو عمّار إلى «أبي محمّد الحسن بن عمّار»، الّذي لمع اسمه في عهد الخليفة الفاطميّ «العزيز بالله» سنة ٣٨١ للهجرة، وهم يتحدّرون من قبيلة كتامة المغربيّة الأفريقيّة، وقد اعتنق الكتاميّون الإسلام في بداية القرن الثّامن الميلاديّ (٧١٠م) مع وصول الفتح الإسلاميّ إلى مناطقهم.

وعندما قامت الدّولة الفاطميّة اعتنق الكتاميّون المذهب الشّيعيّ الإسماعيليّ، ولم يُعلم زمن انتقالهم إلى المذهب الجعفريّ بالتّحديد، والظّاهر أنّ هذا الأمر حصل بعد انتقالهم إلى الشّام، والقدر المُتيقّن أنّهم، عندما استقلّوا بدولتهم فيها، كانوا على مذهب الشّيعة الاثني عشريّة، وبقيت طرابلس بأيديهم نحوًا من أربعين سنة، حتّى احتلّها الصّليبيّون سنة ٥٠٢ هجريّة.

قال السّيّد محسن الأمين في (أعيان الشّيعة): «طرابلس أو أطرابلس، بالهمزة، مدينة في ساحل بحر الشّام، كان أهلها شيعةً في عصر الشّيخ الطّوسيّ في القرن الرّابع وما بعده (...) ثمّ انقرض منها التّشيّع بالعداوات والضّغط، ويوجد في نواحيها اليوم بعض القرى الشّيعيّة».

وفي بداية القرن العاشر الميلاديّ (٩١٣م) كانت قبيلة كتامة من أقوى القبائل البربريّة في المغرب آنذاك، فتحالفت مع الفاطميّين ضدّ الخلافة العبّاسيّة، واستطاعوا الإطاحة بدولة

منظر جانبي للقلعة يمثل مرصد المراقبة

الأغالبة والقضاء عليها في القيروان بتونس، وقد كان دورهم حاسمًا في تأسيس الدّولة الفاطميّة، فكانوا حُماتها وجنودها المخلصين.

انضمّ عدد كبير من قبيلة كتامة إلى جيش «جوهر الصّقلّيّ» قائد الحملة الفاطميّة على مصر، وتمكّنوا عام (٣٥٨ للهجرة - ٩٦٩م) من دخول الفسطاط بعد محاولات عديدة وأسّسوا مدينة القاهرة، وظلّوا قوّة عسكريّة مهمّة في خدمة الخلافة الفاطميّة، وقد خُصّص لهم مكان بجوار القاهرة للإقامة فيه، ولا يزال حيّ الكتاميّين في القاهرة يحتفظ باسمهم.

بنو عمّار في مصر، وطرابلس

يقول الدّكتور يحيى مراد في كتابه (تاريخ آل سلجوق)، مُتحدّثًا عن قبيلة كتامة: «عند قيام الدّولة الفاطميّة كان شيوخ هذه القبيلة ممّن لهم الصّدارة في مؤسّساتها الإداريّة والعسكريّة».

ويقول المقريزيّ في (المواعظ والاعتبار): «كانت قبيلة كتامة من أهمّ القبائل الّتي اعتمدت عليها الدّولة الفاطميّة مدّة خلافة المهديّ عبيد الله (...) وخلافة ابنه مَعدّ أبي تميم المعزّ لدين الله، وبهم أخذَ ديار مصر لمّا سيّرهم إليها مع القائد جوهر في سنة ٣٥٨ للهجرة، وهم أيضًا كانوا أكابر مَن قدم معه من الغرب في سنة ٣٦٢ للهجرة. (...) فلمّا كان في أيّام ولده العزيز بالله نزار، اصطنع الدّيلم والأتراك، وقدّمهم وجعلهم خاصته، وحطّ

من قدر كتامة "..." وما زال ينقص قدرهم ويتلاشى أمرهم حتّى صاروا في زمن المستنصر من جملة الرّعيّة بعدما كانوا وجوه الدّولة وأكابر أهلها».

قلعة طرابلس التاريخية

هذا في مصر، لكنّ المصادر التّاريخيّة لا تذكر شيئًا عن كيفيّة مجيء بني عمّار إلى طرابلس، أو بدء تاريخهم بها، ومن الرّاجح أن يكون انتقالهم إلى الشّام بدأ بعد أن تدنّت مرتبتُهم وتدهورت أحوالهم في مصر بسبب المؤامرات الّتي حِيكَت حولهم، حيث آثروا الهجرة الصّامتة من مصر إلى الشّام أولاً، ثمّ نزحوا إلى طرابلس بعد أن أصبح الحسن بن عمّار قاضيًا عليها، حيث عبّدَ الطريق لأبناء قبيلته لينتقلوا إلى هناك أوّلاً بأوّل.

أضِف إلى ذلك أنّ طرابلس أضحت حينها قاعدة أساسيّة للدّعوة الفاطميّة من النّاحية الدّينيّة، ومركزًا مهمّاً للأسطول البحريّ والقوّات البرّيّة من النّاحية العسكريّة، فضلاً عن اتّخاذها عاصمة لولاية إداريّة متّسعة الأرجاء تمتدّ حدودها من نواحي نهر الكلب جنوباً، حتّى مدينة اللّاذقيّة شمالاً. ونظراً إلى هذه الأهمّيّة، فقد حرص الفاطميّون على أن يكون زمام الأمور في طرابلس بيد المغاربة، تمثّل هذا الحرص بتعيين عددٍ كبير من القضاة والقادة العسكريّين في الحواضر الشّاميّة من الكتاميّين خاصّة.

تأسيس الدّولة

أوّل من ولي حكم طرابلس من بني عمار وأسّس دولتهم كان «أبو طالب الحسن ابن عمّار» المعروف بأمين الدّولة، حيث نطالع اسمه في سنة (٤٥٧ للهجرة - ١٠٦٥م) عندما دخل الأمير حصن الدّولة، حيدرة بن منزو، طرابلس، فساعده أمين الدّولة قاضيها في الاستيلاء عليها وانتزاعها من بني أبي الفتح، وقد ظلّ يعدّ نفسه تابعاً للدّولة الفاطميّة حتّى سنة (٤٦٢ للهجرة - ١٠٧٠م) حيث استقلّ بطرابلس وتفرّد بأمرها.

وفي تلك المرحلة كان هناك صراع بين الدّولة الفاطميّة والدّولة السّلجوقيّة، فاتّخذ أمين الدّولة موقفاً محايداً بينهما، وأعلن استقلال إمارته عن الدّولة الفاطميّة.

ولم تكن هذه الدّولة الفتيّة دولةً عاديّة، بل استطاع حكّامها، في غضون فترة وجيزة، أن يؤسّسوا دولةً ذات سيادة، تعتمد على نفسها، ولديها اكتفاء ذاتيّ، زراعيّاً واقتصاديّاً وتجاريّاً، وتستقوي بشعبها الّذي يحبّها وجيشها الّذي يدافع عنها، فقطعت في سنوات قليلة ما يحتاجه غيرها إلى عقود من الزّمن، ممّا ساعدها على الوقوف في وجه الغزو الصّليبيّ وتحمّل حصاره مدّة عشر سنوات تقريباً.

ولم تكن إمارة بني عمّار منحصرة في طرابلس فقط، بل امتدّت إمارتهم حتّى إنطاكية من جهة، وامتدّت من نواحي جبلة في سوريا إلى قلعة صافيتا وحصن الأكراد والبقيعة، وفي لبنان امتدّت حتّى تخوم بيروت من جهة، ومن جهة أخرى حتّى الهرمل والضّنّيّة وبشرّي وبلاد العاقور شرق بلاد جبيل، بل حتّى جونية، حيث كانت جونية من أعمال طرابلس في ذلك الوقت كما يذكر الخطيب البغداديّ.

ملوك بني عمّار

تبيّن ممّا سبق أن نسب بني عمار يرجع إلى أبي محمّد الحسن بن عمّار، الّذي كان من أبرز رجال الخليفة الفاطميّ العزيز بالله، ثمّ أصبح بنو عمّار قضاة طرابلس ثمّ ملوكها، وأوّل ما يصلنا من أسمائهم بعد ذلك هم:

١- «أبو الكتائب، أحمد بن محمّد بن عمّار»، الّذي سبق أمين الدّولة في تولّي القضاء على طرابلس من قِبَل الفاطميّين، وكان أبو الكتائب شيخًا جليلاً، ومعاصراً للشّيخ الفقيه أبي الفتح الكراجكيّ، صاحب (كنز الفوائد).

٢- ثمّ تولّى بعده «أمين الدّولة، أبو طالب الحسن بن عمّار» (ت: ٤٦٤ للهجرة). تقدّم ذكره عند الكلام عن تأسيس الدّولة، وإلى ذلك، فقد كان عالمًا، فقيهًا، ألّف الكثير من الكتب النّفيسة، منها كتاب (ترويح الأرواح ومفتاح السّرور والأفراح)، المنعوت بجراب الدّولة.

٣- ثمّ «جلال الملك، أبو الحسن عليّ بن عمّار» (ت: ٤٩٢ للهجرة). ازدهرت طرابلس في زمانه وعاشت عصرها الذّهبيّ. جدّد (دار العلم) الّتي أنشأها أمين الدّولة، واتّسعت في زمانه أطراف

الإمارة، وعظم شأنها ونشطت تجارتها، وكانت طرابلس في عهده تبعث الحكّام والقضاة والخطباء إلى البلاد التّابعة لها مثل جبيل وعرقة وطرطوس وجبلة، وفي عهده أيضًا تمّ بناء جامع كبير في المدينة.

٤- ثمّ «فخر الملك، عمّار بن محمد بن عمّار» (كان حيّاً سنة ٥١٦ للهجرة). حكم مدّة عشر سنوات تقريباً، وبقي حتّى سنة ٥٠١ للهجرة، حيث ذهب إلى بغداد مستنفراً السّلاجقة ضدّ الصّليبيّين الّذين حاصروا طرابلس، لكنّهم خذلوه، وأثناء غيابه استعاد الفاطميّون طرابلس من بني عمّار، وقضوا على حكمهم فيها، وبعد عدّة أشهر احتلّ الصّليبيّون المدينة.

٥- «أبو المناقب، شمس الملوك، أبو الفرج محمّد بن عمّار»، استخلفه ابن عمّه فخر الملك عند خروجه إلى بغداد، لكنّه أظهر الخلافَ له والعصيان عليه، ونادى بشعار المصريّين، فلمّا عرف فخر الملك ذلك كتب إلى أصحابه يأمرُهم بالقبض عليه وحمله إلى حصن الخوابي، ففعلوا ما أمرَهم، وذلك قبل أن تسقط طرابلس بيد الصّليبيّين بسبب تخاذله وقلّة وفائه، والظّاهر أنّه بقي محبوساً في الحصن إلى أن استولى الفاطميّون على طرابلس، فأخذوه مع مَن أخذوا من بني عمّار إلى مصر.

الدّور العلميّ لبني عمّار

لم يغفل بنو عمّار الحياةَ الثّقافيّة والعلميّة في طرابلس، لذا وضَعوا نُصبَ أعينِهم هدفًا وسَعوا للوصول إليه، ولم يكن ذلك صعباً عليهم بما أنّهم قضاة وعلماء قبلَ أن يُصبحوا أمراء، فقد كثُرت في أيّامهم حلقاتُ التّدريس في طرابلس، وازدحمت المدينةُ بأشهر الأعلام، من أدباء وفقهاء وشعراء ولُغويّين، وقصدَها النّاس على اختلاف أجناسِهم وأديانِهم ومذاهبِهم، وكان يَفِدُ إليها التّجار والرّحالة وطلَبَةُ العلم والعلماءُ من كلّ البلاد.

كما كانوا يَبعثون القضاة والخطباء إلى المدن الشّاميّة، ومن ذلك ما ذكره ابن تغري بردي في كتابه (النّجوم الزّاهرة) عن ابن تلتمش: «أنّه عندما فتح حصن انطرطوس من الرّوم سنة ٤٧٥ للهجرة، بعث إلى صاحب طرابلس جلال الملك يطلب منه قاضيًا وخطيبًا ليقيم بها».

وازدهر علم التّرجمة في زمن بني عمّار، فتُرجمت الكثير من العلوم والآداب عن اللّاتينيّة والفارسيّة وغيرهما إلى اللّغة العربيّة، ومنها إلى اللّغات الأخرى، كما شهد بذلك المستشرق (دي لاسي أوليري) في كتابه (علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب): «وسَاوتْ [طرابلس] في ذلك كُبريات الحواضر العربيّة، فَكَثُر فيها المترجمون والنّسّاخون والكُتّاب والخطّاطون».

منظر جوّي لمدينة طرابلس

* **(دار الحكمة) في طرابلس**: أنشأ بنو عمّار في طرابلس مدرسة عُرفت باسم (دار الحكمة) ضمّت عددًا كبيرًا من طلّاب العلم، وكان يفد إليها العلماء لمراجعة المؤلّفات لأشهر المؤلّفين في العلوم والمعارف، كما كانت تُعقد حلقات علميّة لكبار العلماء ينضمّ اليها العلماء الوافدون إلى طرابلس.

وأصبحت طرابلس بذلك ميدان علم ودرس ومباراة في التّعلّم، ومركزًا من أعظم المراكز الشّيعيّة في ذلك العصر، وكعبةً يحجّ إليها طلّاب العلم للأخذ عن علمائها مختلف العلوم والفنون من فقه وحديث ولغة وأدب وفلسفة وهندسة وفلك وطبّ وغيره، وللاطلاع على المُصنّفات والمخطوطات العلميّة والأدبيّة والدّينيّة والفلسفيّة الّتي كانت تحتويها مكتبتها.

* **(دار العلم) في طرابلس**: انفردت مدينة طرابلس دون غيرها من بلاد الشّام، بقيام مكتبة كبرى فيها عُرفت بـ (دار العلم)، الّتي عُدّت «أروع مكتبة في العالم»، فقد بادر أمين الدّولة إلى وضع حجر الأساس لهذا الصّرح العلميّ فور استقلاله بطرابلس، وعمل على تهيئة النّواة الأولى لهذه المكتبة من الكتب الّتي جمعها بنفسه، وأضاف إليها خزائن الكتب الّتي كان قد وقفها ذَوو اليسار من أهل طرابلس.

وجاء بعده جلال الملك فتصدّى لجمع المكتبات الأهليّة الموجودة في طرابلس والّتي كانت تضمّ خزانات كتب موقوفة، إلى جانب مكتبة عمّه أمين الدّولة، وكوّن منها - ومن الكتب الّتي جمعها - دارَ كتب ضخمة، اهتمّ الكثير من المؤرّخين بتعداد ما احتوته من المؤلّفات، وفي عهده ازدحمت طرابلس بالعلماء والأدباء وطلّاب العلم.

وقد اهتمّ جلال الملك بهذه الدّار، وأوقف على طلّابها الجرايات، فكان يفرّق على أهلها ذهبًا تشجيعًا لهم. وكان يكلّف النّاظر على الدّار القيام بمهمّة توزيع هذه الجراية، وكان الشّاعر ابن الخيّاط ممّن صُرفت له تلك المنحة، وقد ذكر ذلك في ديوانه.

وليس عجيبًا أن تكثر المكتبات في طرابلس وأن تمتلئ بالكتب في القرن الخامس الهجريّ / الحادي عشر الميلاديّ، وفي القرن الّذي تلاه، فقد كانت مصانع الورق الّتي تعمل في المدينة تمدّ المُشتغلين ببيع أو نسخ أو تأليف الكتب بكمّيّات موفورة من الورق بمختلف أنواعه المعروفة في ذلك الوقت من الكاغَد، والطّوامير، والقراطيس، إذ كانت تشتهر بصناعة الورق الجميل الّذي يفوق السّمرقنديّ جودةً، وكان لذلك أثره في حركة التّأليف، والكتابة، والتّجليد، والوراقة، فكثر الورّاقون الّذين كانوا يعملون في تجليد الكتب على الطّريقة الصّينيّة وزَخرفتها وتَوشيحها بالخطوط الملوّنة، ووصلتنا أسماء عدّة من الورّاقين بطرابلس، منهم أبو الحسن إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق الورّاق ويُعرف بـ«ورّاق الوزير»، وأبو عليّ الحسن بن محمد بن هبة الله الطّرابلسيّ الورّاق. وقد قدّر شوشتري في كتابه (مختصر الثّقافة الإسلاميّة) مقتنيات مكتبة بني عمّار بثلاثة ملايين كتاب، وكان لها أكثر من مائة وثمانين ناسخًا يتناوبون العمل بالمكتبة ليلاً ونهارًا.

نبذة عن بعض علماء طرابلس

١- الشّيخ الكراجكيّ: محمّد بن علي بن أبي الفتح الكراجكيّ، كان عالمًا فاضلاً مُتكلّمًا فقيهًا مُحدّثًا ثقةً جليل القدر، تتلمذ على الشّيخ المفيد، والسّيّد المرتضى، والشّيخ الطّوسيّ. له (كنز الفوائد).

٢- القاضي ابن البرّاج: أبو القاسم عبد العزيز بن البرّاج، يعدّ خليفة الشّيخ الطّوسيّ بالفقه في البلاد الشّاميّة، قرأ على الشّريف المرتضى والطّوسيّ والكراجكيّ وغيرهم.

عُيّن قاضيًا، فاستمرّ في منصبه عشرين عامًا. ناظرَ إمام المعتزلة عبد السّلام القزوينيّ، في مجلس جلال المُلك ابن عمّار. صنّف عدّة كتب في علم الكلام وفي أصول الفقه وفروعه، منها: (المهذّب)، توفّي في طرابلس سنة ٤٨١، ودُفن في حجرة القاضي.

٣- الحسين بن بشر الطّرابلسيّ. كان خطيبًا وبارعًا في المناظرة، ناظر الخطيب البغداديّ وتفوّق عليه. ذكره ابن أبي طيّ في (رجال الشّيعة) وقال: «كان صاحب (دار العلم) بطرابلس، وله خطَب يضاهي بها خطَب ابن نباتة».

٤- أبو الفضل، أسعد بن أحمد بن أبي رَوح. رأس الشّيعة في الشّام، ومن مشايخ ابن بركات الطّرابلسيّ. عُقدت له حلقة الإقراء، وانفرد بالشّام وطرابلس وفلسطين.

٥- أبو عبد الله، أحمد بن محمّد الطّليطُليّ، المُحدّث.

النّهضة العمرانيّة

لم يُغفل بنو عمّار النّواحي العمرانيّة في إمارتهم، فمن أهمّ ما عنوا به المشاريع المائيّة، فأمّنوا لطرابلس ريّاً مُنظّماً من النّهر الّذي عُرف بعد ذلك باسم (نهر أبو عليّ) اعترافًا بهذا الجميل وتخليدًا لذكرهم، فقد كان نهر قاديشا يفيض فيُحدِث أضراراً ولا ينتفع منه، فوضع فخر الملك، أبو عليّ ابن عمّار، خطّة إنمائيّة تنظّم أمور النّهر وتمنع فيضانه وتُجريه في أقنية للرّيّ.

وكان بنو عمار السّبب في تعرّف الأوروبّيّين على قصب السّكّر لأوّل مرّة على ضفاف نهر (أبو عليّ) وفي بساتين طرابلس، فقد أقاموا المصانع لعصره وتجفيفه وتصنيعه بشكل رقائق أو ناعم أو بشكل حلوى، ونقلوا غروسه إلى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، وظلّت طرابلس ومعها دمشق تُموّنان أوروبّا حتّى أواخر العصور الوسطى بالسّكّر بجميع أشكاله المعروفة آنذاك.

وكان من حُسن سياسة بني عمّار أن أثْرت المدينة، وكانت على أحسن حال اقتصاديّ حتّى خلال الحصار الصّليبيّ لها برّاً وبحراً، إذ ظلّت صامدة تقاتلهم عشر سنين مُستعينة بثرواتها الدّاخليّة وحُسن إدارة اقتصادها.

الصّناعة والتّجارة

اهتم بنو عمّار بالصّناعة كاهتمامهم بالعمران، لذا عمدوا إلى إنشاء مصانع للورق، كما تقدّم، وطوّروا صناعة الحرير التي انتشرت مصانعُها على ضفاف النّهر، بما فيها من ألوف الأنوال والمغازل ما أدهش الفرنج وأثار إعجابهَم.

كذلك اهتمّ بنو عمار بالملاحة البحريّة، فأنشأوا الأساطيل التّجاريّة، فضلاً عن أسطولهم الحربيّ الّذي تولّى قتال أساطيل الصّليبيّين طوال عشر سنوات. وعن طريق البحّارة الطّرابلسيّين عرف الأوروبّيّون «البوصلة» وكيفيّة استعمالها.

هذه هي «طرابلس بني عمّار» التي عرفت عصوراً مزدهرة، وسيبقى التّاريخ يشيد بمآثر حكّامها وبما خلّفوه من نهضة حضاريّة على كلّ المستويات.

مراقبات شهر شوّال*

..فَقَبِلَهُم ربُّهُم بقَبولٍ حَسَنٍ، وَقَرَّبَهم

إعداد: «شعائر»

من لوازم الإيمان اليَقظة وعلامتُها المراقبة، وهي «قرارٌ بالتزام قانون الله تعالى: الشِّرعة والمنهاج» تماهياً مع اليقين والحبّ: اليقين به تعالى، وحبِّه سبحانه.

في المناجاة الشّعبانيّة: «وَأَنْ تَجْعَلَني مِمَّنْ يُديمُ ذِكْرَكَ، وَلا يَنْقُضُ عَهْدَكَ، وَلا يَغْفَلُ عَنْ شُكْرِكَ، وَلا يَسْتَخِفُّ بِأَمْرِكَ. إلهي وَأَلْحِقْني بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ، فَأَكُونَ لَكَ عارِفاً، وَعَنْ سِواكَ مُنْحَرِفاً، وَمِنْكَ خائِفاً مُراقِباً، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرام».

وأبرزُ كُتُب المراقبات: كتاب (إقبال الأعمال) لسيّد العلماء المراقبين، السّيّد ابن طاوس، و(المراقبات) للفقيه الكبير الشّيخ الملَكيّ التّبريزيّ، وفي هَديهما: هذا الباب.

شَالَتْ فِيهِ ذُنُوبُهُم

(**إقبال الأعمال**): سُئِلَ رسول الله ﷺ: ما شهرُ رمضان؟ فقال صلّى الله عليه وآله: **أَرْمَضَ اللهُ تَعالى فِيهِ ذُنُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَفَرَهَا لَهُم**. [أرمضَ: أي أَحْرَقَ]

قيل: يا رسولَ الله، فَشَوّال؟ قال صلّى الله عليه وآله: **شَالَتْ فِيهِ ذُنُوبُهُم، فَلَم يَبْقَ فِيهِ ذَنْبٌ إلّا غَفَرَهُ**. [شالت: أي ارتفعتْ، وذهبت عنهم]

ومعنى هذا الحديث – كما نقل السّيّد ابن طاوس عن بعض المُصنّفين- أنّ العباد إذا عرفوا حقّ شهر رمضان، صار كفّارةً لهم، وأذهبَ عنهم ذنوبَهم وطهَّرهم منها، وإنّما يتمّ ذلك بانقضاء شهر رمضان، وانقضاءُ شهر رمضان يكون بدخول شوّال.

من أعمال ليلة الفطر

١) **الإحياء**: عن النّبيّ ﷺ: «**مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ العِيْدِ، لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَومَ تَمُوتُ القُلوبُ**».

٢) **الغسل في أوّل اللّيل وآخره**.

٣) **أذكار السّجود**: يرفع يدَيه إلى السّماء إذا فرغ من فريضة المغرب ونافلته، ويقول: «**يَا ذَا المَنِّ وَالطَّوْلِ، يَا ذَا الجُودِ، يَا مُصْطَفِيَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَنَاصِرَهُ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَحْصَيْتَهُ وَهُوَ عِنْدَكَ فِي كِتابٍ مُبِينٍ**». ثمّ يسجد ويَقول في سجوده مائةَ مرّة: «**أَتُوبُ إِلى اللهِ**». ثمّ يسأل اللهَ تَعالى ما يشاء.

٤) **التّكبير**: عقيب أربع صلوات: المغرب، والعشاء الآخرة، وصلاة الفجر، وصلاة العيد، يقول: «**اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ، الحَمْدُ للهِ عَلى ما هَدانا، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلى ما أَوْلانا**».

٥) **زيارة الإمام الحسين** عليه السلام، ولزيارته صلوات الله عليه في هذه اللّيلة فضلٌ عظيم.

مراقبات ليلة الفطر

(**المراقبات**): أهمّ الأمور في هذه اللّيلة بعد الاستهلال، قراءة دعاء الهلال من الصّحيفة السّجّاديّة [الدّعاء الثّالث والأربعون]، والغسل، وأن يبسطَ السّلام والتّضرّع إلى خفير ليلته من المعصومين، وأن يجتهد في التّوسّل إليهم لإصلاح أعمال شهره، ويسلّم إليهم أعمالَ شهر رمضان، ونفسَه وقلبَه، وروحَه وسرَّه، وظاهرَه وباطنَه، وكلَّه وجزءَه، ويستشفع بهم إلى الله في أن يوفّق في سنتِه، إلى شهر رمضان من قابل، ويُلحق بذلك طلبَ التّوفيق في عمره كلّه.

وبالجملة، يحرص أن يصلح بهذا التّوسّل جميعَ مفاسد شهره وسنتِه وعمرِه، ويكمّل جميع نواقصها، ويكثر ويجتهد في التّملّق، وتلطيف معاني التّضرّع والتّوسّل والتّسليم، ويظهر كمال رجائه بقبولهم إيّاه، ويشكر الله جلّ جلاله من جهتِهم.

* الفقرات المنقولة عن كتابَي (الإقبال) و(المراقبات) ترِد، أحياناً، مُختصَرة، وبتصرّف يسير في العبارة، حيث يلزم.

طوائف النّاس في يوم العيد

(المُراقبات): جعل الله شهر رمضان مِضماراً للسّباق بعبادته، وندبَ عبادَه يومَ العيد ليجتمعوا على أخذ الجوائز والعطايا. فالخارجون إلى العيد طوائف:

١) **طائفةٌ لم يعرفوا الصّوم إلّا تكليفاً**، وتكلّفوا بمجرّد الإمساك عن الطّعام والشّراب والنّساء، ورأوا ذلك خدمةً، وتخيّلوه طاعةً ومِنّةً، ولم يراقبوا جوارحَهم عن المعصية، ونقضوا صومَهم بالكَذِب والغِيبة، وهدموه بالبهتان والفِرية، (وأذيّة الخادم والإساءة إليه بالقول)، ورأوا كأنّ لهم المنّة في صومِهم على ربّ العالمين، فافتُضحوا بمَعصيتهم وجهلِهم عند أولي الألباب، ولم يقع صومُهم موقعَ القبول عند ربّ الأرباب، فإنْ كان حضورُهم إلى العيد مع حُسن الظّنّ بعناية الله، جلّ جلاله، واستغفروا ربهَّم في مصلّاهم من ذنوبهم، فلعلّ الله أن يشملَهم عند إطلاق الجوائز بالمغفرة، ويُثيبهم، بفضله، ببعض المَثوبات.

٢) **وطائفةٌ عرفوا أنّ المنّة لله تعالى عليهم في التّكاليف**، وأنّ الصّوم لا يكمل إلّا بكفّ الجوارح، ولكن صاموا بالتّكلّف، و(كفّوا) جوارحَهم أيضاً، ولكن ربّما خالفوا في ذلك، وارتكبوا معصيةً مع خوفٍ ورجاءٍ، وعملوا بالمندوبات أيضاً بقَدر نشاطهم، وتركوها بقَدر كسلهم، وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، وحضروا إلى عيدهم بخوفٍ وخجلٍ، وحياءٍ ورجاءٍ، فأولئك هم الّذين وعَدهم ربهّم بالمغفرة والثّواب، وتبديل سيّئاتهم بالحسنات، ويوفّيهم جزاء عباداتهم فوق آمالهم من العطيّات.

٣) **وطائفةٌ صاموا، كعادتهم، غافلين**، وكانوا في شهر رمضان أيضاً، كغيره من الأشهر، على غفلتهم ومعصيتهم، وحضروا إلى العيد على العادة أيضاً، وهم مُرجَون لأمر الله، إمّا أن تشملهم عناية الله فيغفر لهم بمجرّد حضورهم العيدَ، أو من جهة كرامة بعض أعمال العاملين من أهل الله، أو أن يُخرجَهم سوءُ أعمالهم من رحمة الله، فيلحقوا بالخاسرين.

٤) **وطائفةٌ منهم أجابوا في شهر رمضان نداءَ الله جلّ جلالُه** بالصّيام والقيام، واجتهدوا في مراقبة المَلك العلّام بكلّ جهدهم، ولم يرضوا في تحصيل مراد الله جلّ جلاله بخَيرٍ دون آخر، واجتهدوا لكي يُحرزوا جميع الخيرات، وجاؤوا، بما جاؤوا به من الأعمال، وقلوبهُم وجِلةٌ من استشعار التّقصير في شكر نعمة تشريفهم بهذا النّداء، وعارفةٌ بقدر منّة الله جلّ جلاله عليهم في إذنه لهم بالتّقرّب إليه، وخدمته وعبادته، فتقبّل اللهُ، جلّ جلالُهُ، منهم خدمتَهم، وشكر سعيَهم، وأثابهم بكراماته، وفنونِ عناياته، وأكرمهم بزيادة هداياته، وكَساهم من أنوارِ قُربه، وألحقهم بخواصّ أوليائه من أصفيائه.

٥) **وطائفةٌ أذهبت لذّةُ نداء الله، جلّ جلالُه، إيّاهم عناءَ الجوع والسّهر**، واستقبلوه بالشّوق والشّكر، وجدّوا بالسّير والاستباق، ولبّوا خطاب ربّ الأرباب، بالسّرائر والألباب، وهمّوا ببذل النّفوس والأرواح في كشف الحجاب، ونالوا مِن قُربه المراد، واتّصلوا بربّ العباد، فَقَبِلَهم ربهّم بقَبولٍ حسنٍ، وقرّبهم وأدناهم وأقعدَهم مقعد الصّدق في جواره، مع أوليائه وأهل اصطفائه، وسقاهم بكأسه الأوفى.

مراقبات يوم الفطر

(**إقبال الأعمال**): كُن، رَحِمَك الله، في يوم الفطر على أتمّ المُراقبة، ولا تكن لله مملوكاً لئيماً، وقد مكّنك أن تكون مَلِكاً كريماً، فلا أقلّ من حفظ إقباله عليك، ومُراعاةِ إحسانه إليك مدّةَ ذلك النّهار، واختِمه كما يختمه الأبرار الأخيار، ببَسطِ أكُفّ السّؤال، وإطلاق لسان الابتهال، في أن يلهمَك اللهُ تعالى أن تكونَ معه، كما يريد لك، ويرضى به عنك، مدّة مقامك في دار الزّوال، فليس ذلك بعزيزٍ ولا بعيدٍ ممّن رفعَك من ذلّ التّراب ونُطَف الأصلاب، حتّى عرض عليك أن تقوم له مقامَ جليسٍ وحبيب، وأهّلك لارتقاء مدارج العبادات.

من صلوات ليلة الفطر

١) عن رسول الله ﷺ: «**مَن صَلّى لَيْلَةَ العيدِ سِتَّ رَكَعَات، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ خَمْسَ مَرّاتٍ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد)، إلّا شُفِّعَ في أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهِمْ، وَإِنْ كَانوا قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النّارُ**».

٢) أربع عشرة ركعة، يقرأ في كُلّ ركعة (الحَمد)، وآية (الكرسيّ)، وثلاث مرّات سورة (قل هُوَ الله أحد)، ليكون لَهُ بكلّ ركعة عبادة أربعين سنة...

٣) في حديثٍ عن رسول الله ﷺ، قال: «**مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ عيدِ الفِطْرِ، عَشْرَ رَكَعاتٍ، بـ (الحمد) مَرَّةً، و(الإخلاص) عَشْرَ مَرّاتٍ، وَيَقولُ مَكانَ تَسبيحِ الرُّكوعِ وَالسُّجودِ: (سُبحانَ الله والحَمدُ لله ولا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبر)، وَيُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيَسْتَغْفِرُ اللهَ أَلْفَ مَرَّةٍ بَعْدَ الفَراغِ، وَيَقولُ في سَجْدَةِ الشُّكْرِ: (يَا حَيُّ يا قَيُّومُ، يَا ذَا الجَلالِ والإكرامِ، يَا رَحْمَنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَرَحيمَهُما، يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ، يا إلَهَ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ، اِغْفِرْ لي ذُنوبي وَتَقَبَّلْ صَوْمي وَصَلاتي)، لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ مِنَ السُّجودِ حَتّى يَغْفِرَ لَهُ، وَيَتَقَبَّلَ مِنْهُ صَوْمَهُ، وَيَتَجاوَزَ عَنْ ذُنوبِهِ**».

صلاة العيد: مظهر الرّأفة والرّحمة

(**المُراقبات**): أصلُ بناء هذا المقام، وتشريعِ العيد، والخروجِ إلى الصّلاة، إنّما هو من أجل إظهار الرّأفة والرّحمة، وَبَسْطِ الجُود والكرم والإفضال للرّعيّة، والإذنُ العامّ في هذا المقام يقتضي طيّ بساط القَهر والغضب، ونشر ألوية ألطاف الرّبّ، ولا يناسبه الخوفُ والرّهبة، وإن كانت على العبد ذنوب العالَمين، ويجمل في هذا الموقف إحسان الظّنّ بالله، ورجاءُ عظيم مِنَحِه تعالى، وكريم عطاياه، فبقدر حسن الظّنّ بالله، واللّطف في الاستعطاف، والتّأدّب بأدب الثّقة بمواعيد الله تعالى، تزداد فيه الجوائز، وتُستمطَر سحائب الجود، ويظهر اسم السّعود.

فيجب بحكم العقل والأدب والإيمان، أن يكون رجاء العبد إلى الصّفح والعفو والإفضال، وبلوغ الأمانيّ والآمال، أقوى من خوف الأخذ والخزي والنّكال، فليخلط العبدُ نفسه في عباد الله الصّالحين، وإنْ لم يكن منهم، ويتوجّه إلى حضرة القدس بوجوه أوليائه المتشرّفة عنده، وإن كان وجهه خَلِقاً مظلماً من ظُلَم المعاصي، فإنّه تعالى لا يناقَش في هذا اليوم في ذلك، لأنّ تعميم الإحسان في أمثال المقام لا يخالف الحكمة، فلا مانع من شمول النّوال، وبسط الجود والإفضال.

وبالجملة يَحضر المصلّي، بعد أن يستحضر هذه الحالات، مع الاستحياء، وعظيم الرّجاء، وينظر من طرفٍ خفيٍّ من الحياء، وعين ممدودة بالرّجاء، ويصلّي الصّلاة بآدابها وشروطها. ثمّ يراقب سائر اليوم بالذّكر ودعاء، ويُكثر منه، لأنّ الشّياطين الّذين كانوا محبوسين مغلولين (ممنوعين) عن إغوائه قد أُطلقوا، فعسى أن يتخلّص منهم بالدّعاء والتّضرّع إلى الله جلّ جلاله، في حفظه من شرّهم.

٢٥ شوّال: شهادة الإمام الصّادق عليه السلام

* **استُشهدَ الإمام الصّادق**، صلوات الله عليه، في الخامس والعشرين من شهر شوّال سنة ١٤٨ من الهجرة الشّريفة، متأثّراً بسمّ دسّه إليه المنصور العبّاسيّ، على يد عامله على المدينة محمّد بن سليمان.

* **قال السّيّد ابن طاوس في (مهج الدّعوات)**: «إنّ من العَجب أن يبلغَ طلبُ الدّنيا بالعبد المخلوق من التّراب والماء المَهين، إلى المعاندة لربّ العالَمين، في الإقدام على قتل مولانا الصّادق جعفر بن محمّد، صوات الله عليه، بعد تكرار الآيات الباهرات، حتّى يكرّر إحضاره للقتل (تسع) دفعات..».

يشير، رحمه الله، إلى محاولات المنصور العبّاسيّ المُتعدّدة لقَتل الإمام الصّادق، وفي كلّ مرّة كانت تظهر من الإمام، عليه السّلام، معجزة وكرامة تحول دون تمكُّن الطّاغية من تنفيذ خطّته، وتحفل كتب السّيرة والتّاريخ بذكر هذه الحقيقة.

أعمال يوم الفطر

١) **التّكبير، كما في ليلة العيد.**

٢) **زكاة الفطرة**: وهيَ واجبة قطعاً.

٣) **الغُسل**: ووقته مِن الفَجر إلى حين أداء صلاة العيد.

٤) **صلاة العيد.**

٥) **زيارة الإمام الحسين** عليه السلام، وقراءة دعاء النُّدبة، والدّعاء ٤٦ من أدعية الصّحيفة.

وبَعد فريضة الصُّبح قراءة الدُّعاء الذي في (الإقبال): «**اللَّهُمَّ إِنِّي تَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ أَمامي..**».

يجملُ في يوم العيد إحسانُ الظّنّ بالله تعالى، ولا يُناسِبُه الخوفُ والرّهبة.

بِقَدر حُسن الظّنّ بالله، والثّقة بمواعيده تعالى، تُستمطَر سحائبُ الجود يومَ الفِطر.

فليَخلط العبدُ نفسه في عباد الله الصّالحين، وإنْ لم يكن منهم، ويتوجّه إلى حضرة القدس بوجوه أوليائه المتشرّفة عنده.

موجز في تفسير سورة (الطّور)

الصَّبر، وصلاةُ اللّيل، ونافلةُ الصّبح

إعداد : سليمان بيضون

*** سورة (الطّور) هي السُّورة الثّانية والخَمسون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة (السّجدة).**
*** آياتُها تسعٌ وأربعون، وهي مكّيّة، مَن قرأها كان حقّاً على الله تعالى أن يُؤْمِنَه من عذابه، وأن يُنعّمه في جنّته، كما في الرّواية عن رسول الله ﷺ. وقد سُمِّيتْ بسورة (الطّور) لابتدائها بقوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ﴾.**

نشير إلى اننا اعتمدنا في هذا الموجز على العلامة الطباطبائي في «تفسير الميزان»، والشيخ مكارم الشيرازي في «تفسير الأمثل» والشيخ الحويزي في «تفسير الثقلين».

«**الطّور** مطلَقُ الجبل، وقد غلبَ استعمالُه في الجبل الّذي كلّم اللهُ عليه النّبيّ موسى عليه السلام، وقد أقسمَ الله تعالى به لمّا قدّسَه وباركَ فيه، كما أقسمَ به في قوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ التين:٢، وقال سبحانه: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ..﴾ مريم:٥٢.

وقيل: المُراد مطلَق الجبل، أقسم اللهُ تعالى به لِما أوْدَع فيه من أنواع نِعَمه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا..﴾ فصّلت:١٠».

(العلّامة الطباطبائي، تفسير الميزان)

مَضامين سورة (الطّور)

أوّلاً: «هدفُ سورة الطّور هو إنذارُ أهل التّكذيب والعناد، من الكفّار، بالعذاب الّذي أُعِدّ لهم يومَ القيامة، فتبدأ السّورة، بأَقسامٍ مؤكّدة وأَيْمانٍ مغلّظة، بالإنباء عن هذا العذاب، وعن تَحقُّقِه يوم القيامة، وأنّه واقعٌ بهم لا محالة.

ثمّ تذكر السّورة بعض صفاتِ هذا العذاب، والويلَ الّذي يعمُّهم ولا يفارقهم، وتُقابل ذلك بذكرِ نماذج من نعيم أهل الجنّة، وهم المُتّقون الّذين كانوا في الدُّنيا بين أهليهم خائفين من العذاب، يدعون الله مُؤمنين به مُوَحّدين له.

ثمّ تأخذ السّورة المباركة في توبيخ المُكَذّبين على التّهم التي كانوا يرمون بها النّبيّ ﷺ، وما أُنزل عليه من القرآن، وما جاء به من الدّين الحقّ. وتختم الكلامَ بتكرار التّهديد والوعيد، وأَمْرِ النّبيّ ﷺ بتسبيح ربّه تعالى».

(العلّامة الطباطبائي، تفسير الميزان)

***

ثانياً: تتركّز بحوث سورة الطّور على مسألة المعاد، وعاقبة الصّالحين والمُتّقين من جهة، والمُجرمين والمُفسدين من جهةٍ أخرى، ويُمكن تقسيم محتوى السّورة إلى ستّة أقسام:

١- تُستهَلُّ السّورة بالقَسَم تلو القسَم، وتتناول الآيات الأولى منها عذابَ القيامة، ودلائلَها، وعلاماتها، وتتحدّث عن النّار وعقاب الكافرين فيها. [الآيات من ١ إلى ١٦]

٢- القسم الثّاني يُعدِّدُ نِعَمَ الجنّة التي أعدّها الله، عزّ وجلّ، للمتّقين، وفي هذه السّورة إشارةٌ إلى معظمِها. [الآيات من ١٧ – ٢٨]

٣- في القسم الثّالث من السّورة يقع الكلام عن نُبوّة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وما وَجّه إليه الأعداء من التُّهم، ويردّ عليها بنحوٍ موجز. [الآيات من ٢٩ إلى ٣٤]

٤- في القسم الرّابع بحثٌ عن التّوحيد باستدلالات واضحة. [الآيات من ٣٥ – ٤٣]

٥- في القسم الخامس عَودٌ على مسألة المَعاد، وبعض أوصاف يوم القيامة. [الآيات من ٤٤ – ٤٧]

٦- القسم الأخير من السّورة يختتم الأمور المذكورة آنفاً بأَمْر نبيّ الإسلام ﷺ، بالصّبر، والاستقامة، والتّسبيح، والحمد لله تعالى، ووعْدِه بأنّ الله، تبارك وتعالى، حاميه وناصرهُ. [الآيتان: ٤٨ – ٤٩]

(الشيخ مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل)

ثوابُ تلاوتها

١) عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (الطُّور) كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يُؤْمِنَهُ مِنْ عَذَابِهِ، وأَنْ يُنَعِّمَهُ فِي جَنَّتِهِ..**».

(الشيخ الطَّبْرِسِي، مجمع البيان)

٢) عن الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (الطُّور) جَمَعَ اللهُ لَهُ خَيْرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ».

(الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال)

تفسيرُ آياتٍ منها

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ الطّور:٤.

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ اللهَ وَضَعَ تَحْتَ العَرْشِ أَرْبعَ أَساطينَ وَسَمّاهُنَّ الضُّراحَ، وَهُوَ البَيْتُ المَعْمورِ، وَقالَ لِلمَلائِكَةِ: طوفوا بِهِ. ثُمَّ بَعَثَ مَلائِكَتَهُ، فَقال: ابْنوا في الأَرْضِ بَيْتاً بِمِثالِهِ وَقَدْرِهِ. وَأَمَرَ مَنْ في الأَرْضِ أَنْ يَطوفوا بِالبَيْتِ».

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ الطّور:٦.

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ يونُسَ لَمّا آذاهُ قَومُهُ (...) أَلْقى نَفْسَهُ فَالتَقَمَهُ الحوتُ، فَطافَ بِهِ البِحارَ السَّبْعَةَ حَتّى صارَ إلى البَحْرِ المَسْجور، وَبِهِ يُعَذَّبُ قارونُ».

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ الطّور:٩-١٠.

* سُئل الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن نفخ الصّور يوم القيامة، فقال: «أَمّا النَّفْخَةُ الأُولى، فَإِنَّ اللهَ يَأْمُرُ إِسْرافيلَ فَيَهْبِطُ إلى الدُّنْيا وَمَعَهُ صُورٌ (...) فَيَنْفُخُ فيهِ نَفْخَةً فَيَخْرُجُ الصَّوْتُ مِنَ الطَّرَفِ الّذي يَلي الأَرْضَ، فَلا يَبْقى في الأَرْضِ ذو روحٍ إلّا صُعِقَ وَماتَ، وَيَخْرُجُ الصَّوْتُ مِنْ إِسْرافيلَ، فَيَقولُ اللهُ لإِسْرافيلَ: يا إِسْرافيلُ مُتْ؛ فَيَموتُ إِسْرافيلُ، فَيَمْكُثونَ في ذلِكَ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ السَّماواتِ فَتَمُور، وَيَأْمُرُ الجِبالَ فَتَسيرُ».

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ الطّور:١٣.

* مَرّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بعَمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وهما يشربان ويغنّيان ببيتٍ من الشِّعر شماتةً بقتل حمزة عليه السلام، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «اللّهُمّ العَنْهُما، وَأَرْكِسْهُما في الفِتْنَةِ رَكْساً، وَدَعّهِما إلى النّارِ دَعّاً».

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ..﴾ الطّور:٢١.

١) عن الإمام الصّادق عليه السلام: «الَّذينَ آمَنُوا: النَّبيُّ صَلّى اللهُ عَليه وآلِه وأَميرُ الْمُؤْمِنينَ عَليه السّلام، وذُرِّيَّتُه الأَئِمَّةُ والأَوْصِياءُ - صَلَواتُ الله عَلَيْهِمْ - أَلْحَقْنَا بِهِمْ، ولَمْ نَنْقُصْ ذُرِّيَّتَهُمُ الْحُجَّةَ الَّتي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ صلّى الله عليه وآله في عَلِيٍّ عليه السّلام، وحُجَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وطَاعَتُهُمْ وَاحِدَةٌ».

٢) وعنه عليه السّلام: «إنّ أَطْفَالَ شِيعَتِنا مِنَ الْمُؤمِنينَ تُرَبّيهِم فَاطِمَة عَلَيها السَّلام».

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ الطّور:٢٦.

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «صَلّى أَميرُ الْمُؤْمِنينَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، بِالنّاسِ الصُّبْحَ بِالعِراقِ، فَلَمّا انْصَرَفَ وَعَظَهُمْ، فَبَكى وَأَبْكاهُمْ مِنْ خَوْفِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قالَ: أَمَا وَاللهِ، لَقَدْ عَهِدْتُ أَقْواماً عَلى عَهْدِ خَليلي رَسولِ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِنَّهُمْ لَيُصْبِحونَ وَيَمْشونَ شُعْثاً غُبْراً خُمُصاً، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَرُكَبِ المِعْزى، يَبيتونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً، يُراوِحونَ بَيْنَ أَقْدامِهِمْ وَجِباهِهِمْ، يُناجونَ رَبَّهُمْ وَيَسْأَلونَهُ فَكاكَ رِقابِهِمْ مِنَ النّارِ، وَاللهِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ مَعَ هَذا وَهُمْ خائِفونَ مُشْفِقونَ».

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ الطّور:٤٩.

١) الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ رَسولَ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كانَ يَقومُ مِنَ اللَّيْلِ ثَلاثَ مَرّاتٍ، فَيَنْظُرُ في آفاقِ السَّماءِ، وَيَقْرَأُ الخَمْسَ مِنْ آلِ عِمْرانَ الّتي آخِرُها: ﴿..إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، ثُمَّ يَفْتَتِحُ صَلاةَ اللَّيْلِ».

٢) وعنه عليه السّلام، في معنى التّسبيح عند إدبار النّجوم: «رَكْعَتانِ قَبْلَ الصُّبْحِ».

(الشيخ الحويزي، تفسر نور الثقلين)

(الطُّور) في كلام العرب هو الجبل، وقد غلب استعمالُ اللّفظ في الجَبل الذي كلّم اللهُ تعالى منه النّبيَّ موسى عليه السلام.

أسلوب العلّامة الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان)

تكاملُ المنهج بين العقليّ والغيبيّ

الشّيخ عارف هنديجاني فرد*

لقد تميّز أسلوبُ العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ قدس سره، في (تفسير الميزان) بالدّرجة العلميّة والرّوح الموضوعيّة معاً، إذ تَراه يستندُ في فَهمه للآيات القرآنيّة على مبادىء وأُسس ثابتة، سواء من القرآن الكريم، أم من السّنّة النّبويّة الشّريفة، وبالمأثور عن أئمّة أهل البيت عليهم السّلام.

وهذه المقالة التي نقدّمها للقارئ هي مقتطف من كتاب الشّيخ عارف هنديجاني فرد الصّادر تحت عنوان (علوم القرآن عند العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ).

كانت الآية الّتي استند إليها العلّامة الطّباطبائيّ، في منهجه لتفسير القرآن الكريم، هي قوله تعالى: ﴿..وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ النّساء:٨٢، حيث إنّها ناظرةٌ إلى حقيقة ما ينبغي أن ينطلقَ منه المُفسّر في فهم آيات الله تعالى وتفسيرها، فيما لو كان مُتوفّراً على الشّروط والصّفات الّتي تؤهّله لهذا التّفسير، لأنّه غالباً ما لا تكون للمُفسّر القدرات اللّازمة للولوج إلى هذا البحر العظيم الّذي لا يُدرَكُ قَعرُه، فهو كلامُ الله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصّلت:٤٢.

ثلاثة مصادر لفَهم القرآن

انطلاقاً من ذلك، نرى أنّ العلّامة الطبّاطبائيّ يختلف عن سائر المُفسّرين في كونه جمع إلى الإحاطة المعرفيّة الكاملة للقرآن، القدرة العقليّة الّتي تميّز بها في تناول آيات القرآن للكشف عمّا تهدي إليه، سواء في مجال الدّين أم في مجال الدّنيا.

يقول آية الله الشّيخ جوادي الآمليّ في كتاب (الطّباطبائيّ مفسّراً وفيلسوفاً): «إنّ العلّامة بنى تفسيره على ثلاثة مصادر يستحيل أن يتعارض معها القرآن، وهي:

أوّلاً: المُحكَمات من الآيات.

وثانياً: السُّنّة القطعيّة.

وثالثاً: المبادىء العقليّة والأصول اليقينيّة». (...)

إنّ الإحاطة العلميّة الواسعة للعلّامة الطّباطبائيّ بالقرآن والسُّنّة من جهة، وبعلوم الحياة من جهةٍ ثانية، مع ما رافق ذلك من تكاملٍ سلوكيّ في شخصيّته، كلّ ذلك جعل من أسلوبه في التّفسير أسلوباً كاشفاً عن كثيرٍ من الحقائق القرآنيّة.

وإذا كانت للعلّامة الطّباطبائيّ هذه الميزة، فهو إنّما ارتكز إلى حقيقة ما للقرآن من معانٍ وأبعاد تتجاوز العالم الحسّيّ، إلى عالم ما بعد المادّة، ذلك العالم الّذي أنزل منه القرآن على قلب رسول الله، صلّى الله عليه وآله، حيث تلقّى القرآن من لدن عليم حكيم.

وطالما أنّ لهذا القرآن هذا المعنى في عالَمي المُلك والملكوت، وأنّ ﴿..ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ..﴾ الإسراء:٩، وأنّه لو ﴿.. كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ..﴾ النّساء:٨٢، فقد أوضح هذا كلّه للعلّامة الطّباطبائيّ طريقة الوصول إلى الحقائق القرآنيّة، لأنّ ما ليس من عند الله تعالى يقع فيه الاختلاف. والّذي يهدي إلى الّتي هي أقوم تتجلّى فيه المعرفة الكاملة، خلافاً لبقيّة الكتب، وهذا دليل واضح على أنّ كلام الله تعالى لا يُشبه كلام الخَلق، كما لا تشبه أفعاله أفعالهم. (...)

لذا، فإنّ من أهمّ ما تميّز به أسلوب الطّباطبائيّ في تفسير

* عالم دين وباحث إسلامي من إيران

القرآن، فضلاً عن معرفته الكاملة للقرآن، هو إيمانه القويّ بالرّسول، صلّى الله عليه وآله، والأئمّة الأطهار، عليهم السّلام؛ إذ هو لم يكتفِ بعرض الآيات القرآنيّة على نحو ما اشتهر عنه من تفسيرٍ للقرآن بالقرآن، وإنّما سعى إلى تفسير الآيات بالسّنّة القطعيّة، لأنّ سنّة أهل البيت، عليهم السّلام، والقرآن مرتبطان بحقيقةٍ واحدة، هي حقيقة الحقّ المحض، فكيف يمكن أن تختلف السّنّة مع القرآن؟

وقد ثبت أنّ الثّقلَين، كتاب الله وعترة أهل البيت عليهم السّلام، لا يفترقان حتّى يَرِدا الحوض على النّبيّ صلّى الله عليه وآله، إلى غير ذلك من الأحاديث النّبويّة الّتي تساعد على التّجلّي في التّفسير للقرآن فيما انطوى عليه من عبادات ومعاملات وسياسات، ومنهج قويم، وكمال دين، حيث إنّ القرآن هو كتاب كامل نزل به الرُّوح الأمين على قلب رسول الله، صلّى الله عليه وآله، ليكون مُبشّراً ونذيراً، من خلال القرآن الّذي جعله الله تعالى تبياناً لكلّ شيءٍ، لا في مجال الهداية وحسب، كما هو مبنى ظاهر اللّفظ من البيان، وإنّما في ما هو كائن ويكون إلى يوم القيامة، وكما يرى الطّباطبائيّ أنّ هناك رواياتٍ لو صحّت تكشف عن أسرار وخبايا لا سبيل للفهم المُتعارف إليها.

المنهج العقليّ - الغيبيّ

إذاً، هناك ما يميّز أسلوب الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان)؛ فهو بالإضافة إلى قدراته العقليّة، واستيعابه الآيات القرآنيّة من حيث مدلولاتها وما تعرّضت له من مواضيع وحقائق، نرى أنّ الطّباطبائيّ أحاط بما سبقه من أهل التّفسير ومناهجهم، عارضاً لكثيرٍ من أغاليطهم في مجال الفهم والتّحليل، إضافة إلى المعارضة في ما عرضوا له، سواء لجهة فهم الآيات القرآنيّة بذاتها، أم لجهة الاستدلال عليها بالرّوايات الّتي لا تصلح لأن تكون دليلاً، وهذا ما أدّى إلى أن يكون القرآن عرضة للتّفسير بالرّأي، ولضَرب القرآن بالقرآن، ويكفي للتّدليل على هذا المعنى التّأمّل في ما عرض له كثير من المفسّرين في فهم الشّجرة الملعونة في القرآن، إلى غير ذلك من الآيات الّتي جزّأت الحقيقة الواحدة، ومنعت من فهم المُراد منها.

وممّا تجدر الإشارة إليه هنا، هو أنّ الطّباطبائيّ لم يسلك في تفسيره، وفي أسلوبه طريق الاستدلال بالآية على الآية وحسب، بل نراه يميّز في استدلالاته بين ما هو ناظرٌ إلى المعارف العقليّة، وبين آيات الأحكام العباديّة، نظراً لما كان يمتلكُه من منهجٍ عقليٍّ ميّز أسلوبه في التّفسير، وتجنّب من خلاله التّعارض مع الدّليل العقليّ القاطع، ولذا هو ميَّز بين الآيات الّتي لها بُعْدٌ عقائديّ، وبين الآيات ذات البُعْدِ التّشريعيّ العباديّ، على اعتبار أنّ العبادات ليست مجالاً للعمل العقليّ، وإنّما هي توقيفيّة.

وكان إذا لم يعثر على دليلٍ ضمنَ البحوث العقليّة، يفسّر الآية بحيث لا تتعارض مع أيّ دليلٍ عقليٍّ قاطع. ولا شكّ في أنّ المُتأمّل في تفسير الطّباطبائيّ يلحظ كيف أنّه لم يستغرق في آيات الأحكام والعبادات لكونه يعتبر التّفصيل بشأن أحكامها من اختصاص كُتُب الفقه، وهذا ما بيّنه في مقدّمة تفسيره مُفضّلاً عدم التّعرّض لها

بنى العلّامة تفسيره على ثلاثة مصادر يستحيل أن يتعارض معها القرآن، وهي: المُحكَمات من الآيات، والسُّنّة القطعيّة، والمبادىء العقليّة والأصول اليقينيّة.

لم يسلك الطّباطبائيّ في تفسيره، وفي أسلوبه طريق الاستدلال بالآية على الآية وحسب، بل نراه يميّز في استدلالاته بين ما هو ناظرٌ إلى المعارف العقليّة، وبين آيات الأحكام العباديّة.

فالقرآن، كما يرى الطّباطبائيّ، يؤيّد التّفكّر العقليّ ويعتبره جزءاً من التّفكير الدّينيّ، والتّفكّر العقليّ بعد أن يصادق على صدق نبوّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

إلاّ بالمقدار الّذي لا يُخلّ بعمليّة التّفسير، الّتي لا بدّ من التّواصل بها في سياق عرض الآيات في السّورة الواحدة. (...)

إنّ أدنى تأمّل في ما عرض له الطّباطبائيّ في تفسيره (الميزان)، يكشف عمّا بلغه من باعٍ في التّفسير، إذ استطاع أن يحدث قفزةً نوعيّةً في التّفسير القرآنيّ رغم أنّ هناك المئات من التّفاسير القرآنيّة وبمناهج متنوّعة، إلّا أنّ للـ (ميزان) ميزته وتفرّده بين هذه التّفاسير، لأنّه جمع إلى تفسير الآية بالآية، القدرة العقليّة المُتميّزة، لكون الطّباطبائيّ هو مِنَ الذين يؤمنون بأنّه لا تناقض بين العقل والوحي، لأنّ التّناقض معناه عدم قبول العقل القطعيّ، واعتبار الوحي الإلهيّ باطلاً، وهذا بحدّ ذاته يؤكّد استحالة التّضادّ بين حُجّتيْن من حُجَج الله سبحانه. وكيف يُمكن لباحث أن يستثنيَ العقلَ في تفسيره القرآن، وجميع المعارف الإلهيّة والحقائق الموجودة في القرآن مستندة إلى حقيقة واحدة، وهي أصلها جميعاً، كما يقول الطّباطبائيّ، وهي التّوحيد. فالقرآن، كما يرى الطّباطبائيّ، يؤيّد التّفكّر العقليّ ويعتبره جزءاً من التّفكير الدّينيّ، والتّفكّر العقليّ بعد أن يصادق على صدق نبوّة النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، يجعل الظّواهر القرآنيّة بما فيها الوحي السّماويّ، وأقوال النّبيّ وأهل البيت، عليهم السّلام، من موارد الحُجَج العقليّة.

لقد ابتعد الطّباطبائيّ، كما هو مشهودٌ له، عن التّفسير بالرّأي، أو بالرّوايات الّتي لم يصحّ سندها إلى النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، والأئمّة المعصومين، عليهم السّلام، كما أنّه ابتعد عن التّفسير العقليّ المحض رغم إيمانه بأنّ العلوم والمعارف الدّينيّة تتعلّق بما وراء الطّبيعة، باعتبار أنّها مُنزّهة عن الخضوع لقوانين الحركة والمادّة، فهي تتمتّع بأصلٍ ثابت، وبحقيقةٍ ثابتة غير مُتغيّرة.

ولعلّه لا يكون من المبالغة القول، إنّ أسلوب الطّباطبائيّ في (تفسير الميزان)، لو أنّه سبق للمُفَسِّرين أن اعتمدوه أو أخذوا بشيءٍ منه في سياق بحوثهم القرآنيّة، لاكتشفوا الكثير من أبكار الحقائق، ولكنّهم اكتفوا بحدود الرّوايات وما تفيده من دلالات في سياق المعنى الدّينيّ، ما أدّى إلى (أن تصبح) التّفاسير القرآنيّة شعراً منثوراً، أو ألفاظاً وقوالب مادّيّة لا يستبين فيها الأمر إلّا بمقدار ما يتعمّق فيه هذا المُفسّر أو ذاك في الكشف عن الأبعاد اللّغويّة، والبلاغيّة، والإعجازيّة التي ينطوي عليها القرآن الكريم.

ولكن، كما تبيّن لنا، في سياق عرضنا لأهمّ ما تميّز به أسلوب الطّباطبائيّ، أنّ كثيراً من التّفاسير أخرجت القرآنَ من كونه تجلّياً لتجعل منه تجافٍ، وتجاهلت أنّ الألفاظ إنّما وُضعت لأرواح المعاني، إلى غير ذلك ممّا لم يتنبّه له كثيرٌ من المُفسّرين، وخاصّة في مجال تجلّي القرآن، الّذي يرى فيه الطّباطبائيّ، تجلّياً طوليّاً ينتهي به إلى أمّ الكتاب. ولهذا، فإنّك تجده يركّز على معارف القرآن الطّوليّة، ويضع كلّاً منها في مرتبتِه الخاصّة به، وقد يطول الكلام فيما لو أردنا الحديث عمّا تميّز به أسلوب الطّباطبائيّ في تفسيره، الّذي جعل مُحكمات القرآن أساساً له، كما قال الإمام الرّضا عليه السّلام: «**مَن رَدَّ مُتَشابِهَ القُرْآنِ إلى مُحْكَمِهِ فَقَدْ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ**».

مناسبات شهر شوّال

إعداد: صافي رزق

١ شوّال

عيد الفطر المبارك.

٤ شوّال/ ٨ هجريّة

غزوة حُنين. (قيل في العاشر منه).

٥ شوّال

* ٣٦ هجريّة: خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى صِفّين.
* ٦٠ هجريّة: دخول مسلم بن عقيل إلى الكوفة.

٨ شوّال/ ١٣٤٤ هجريّة

الوهّابيّون يهدمون أضرحة أئمّة أهل البيت عليهم السلام، المدفونين في البقيع.

١٥ شوّال

* ٢ هجريّة: غزوة بني قَينُقاع.
* ٣ هجريّة: معركة أُحُد.
* ٥ هجريّة: غزوة الأحزاب أو الخندق.
* ٧ هجريّة: رَدُّ الشّمس الأوّل لأمير المؤمنين عليه السلام.

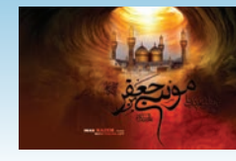

١٩ شوّال/ ١٦٩ هجريّة

سَجْنُ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بأمرٍ من هارون العبّاسيّ.

٢٠ شوّال/ ١٠ هجريّة

وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله. (قيل في الآخر منه).

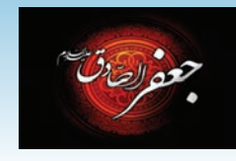

٢٥ شوّال/ ١٤٨ هـجريّة

شهادة الإمام جعفر الصّادق عليه السلام.

أبرزُ مناسبات شهر شوّال

❖ عيد الفطر. ❖ شهادة الامام الصّادق عليه السلام. ❖ سَجْنُ الإمام الكاظم عليه السلام.

❖ وفاة إبراهيم ابن الرّسول صلّى الله عليه وآله. ❖ معركتا أُحُد والأحزاب.

تُقدِّم «شعائر» مُقتطفات من أمّهات المصادر ترتبطُ بأبرزِ مناسبات شهر رمضان، كمَدخلٍ إلى حُسنِ التَّفاعل مع أيّامه المُباركة، مع الحِرْصِ على عنايةٍ خاصَّةٍ بالمناسبات المُرتبطة بالمعصومين عليهم السّلام.

اليوم الأوّل: عيدُ الفطر السّعيد

«العيد هو الفرحة بالطّاعة، والفوز بالرّضوان. إنّه يومُ توزيع الجوائز الإلهيّة على ضيوف الرّحمن. مَن كان صومُه حقيقياً فجائزتُه التّقوى، ومَن حافظَ فيه على أوقاتِ الصّلواتِ فجائزتُه استجابةُ اللهِ تعالى دُعاءَه، ومَن حَسّنَ فيه خُلُقَهُ استحقَّ جوائزَ المرورِ على الصّراط، ومَنْ أَكرمَ فيه يتيماً استحقَّ جائزةَ إكرامِ الله إيّاه يومَ يلقاه، ومَن وصلَ فيه رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللهُ تعالى برحمته، ومَن أكثر فيه من الاستغفارِ وطولِ السّجودِ استحقّ جائزةَ فكاكِ نَفسِهِ وحطّ الأوزار عن كاهله، ومَن أكثرَ فيه الصّلاةَ على النّبيّ صلّى الله عليه وآله، استحقَّ جائزةَ رجحان كفّته وثقل ميزانه يوم تخفّ الموازين.

ومن الجوائزِ في يوم العيد الحجُّ المبرور الّذي يُغفرُ معه الذّنبُ وتُكفّرُ السّيّئاتُ، والتّوفيقُ للشّهادة في سبيل الله تعالى، كما أنّ مَن ألحّ فيه على التّوبة وسعى أن تكونَ صادقة، مَنَّ الله تعالى عليه في يوم العيد بجائزةِ قبولها، وأكبر من ذلك أن يغفرَ الله ما سلف ويُسدّدَ في ما يأتي، ومِنْ أَعْظَمِ جوائزِ يوم العيد استحقاقُ إخراجِ حبِّ الدّنيا من القلب».

(كتاب شعائر، أعمال شهر رمضان)

كانت معركة الأحزاب حرباً اتّحدت فيها كلّ القبائل والفئات المختلفة الّتي تعادي الإسلام، للقضاء عليه؛ لقد كانت آخرَ مسعًى للكفر، وآخرَ سهمٍ في كنانته، وآخرَ استعراضٍ لقوى الشّرك..

اليوم الخامس والعشرون: شهادةُ الإمام الصّادق عليه السلام

«وكان الصّادق جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام، من بين إخوته خليفة أبيه محمّد بن عليّ، عليهما السلام، ووصيّه والقائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل، وكان أنبههم ذكراً، وأعظمهم قدراً، وأجلّهم في العامّة والخاصّة، ونقل النّاس عنه من العلوم ما سارت به الرّكبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم يُنقل عن أحدٍ من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرّواة عنه من الثّقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل. وكان له، عليه السّلام، من الدّلائل الواضحة في إمامته، ما بهرت القلوبَ، وأخرست المُخالفَ عن الطّعن فيها بالشّبهات.

وكان مولده، عليه السّلام، بالمدينة سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، ومضى، عليه السّلام، في شوّال من سنة ثمان وأربعين ومائة، وله خمس وستّون سنة، ودفن بالبقيع مع أبيه وجدّه وعمّه الحسن عليهم السلام».

(الإرشاد، الشّيخ المفيد)

اليوم التّاسع عشر: سَجْنُ الإمام الكاظم عليه السلام

* «قال كمال الدّين محمّد بن طلحة الشّافعيّ (المُتوفّى عام ٦٥٢ للهجرة) في حقّ الإمام الكاظم عليه السلام: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشّأن، الكثير التّهجُّد، الجادّ في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب على الطّاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت اللّيل ساجداً وقائماً، ويقطع النّهار مُتصدّقاً وصائماً،

ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دُعي كاظماً، كان يجازي المُسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني عليه بعفوه عنه، ولكثرة عباداته كان يُسمَّى بالعبد الصّالح، ويُعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله، لنجح المُتَوَسّلين إلى الله تعالى به؛ كراماته تحارُ منها العقول، وتقضي بأنَّ له عند الله تعالى قَدَمَ صدقٍ لا تَزِلُّ ولا تَزولُ».

(الأنوار البهيّة، الشّيخ عبّاس القمّيّ)

** «قال عليّ بن يقطين: كنت واقفاً على رأس هارون الرّشيد إذ دعا الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وهو يتلظّى عليه! فلمّا دخل حرّك الإمام شفتيه بشيءٍ، فأقبل هارون عليه ولاطفه وبرّه وأذن له في الرّجوع!

فقلتُ له: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك، إنّك دخلت على هارون وهو يتلظّى عليك، فلم أشكّ إلّا أنّه يأمر بقتلك، فسلّمك الله منه! فما الّذي كنت تحرّك به شفتيك؟

فقال عليه السّلام: **إنّي دَعَوْتُ بِدُعائَيْنِ، أَحَدُهُما خاصٌّ وَالآخَرُ عامٌّ، فَصَرَفَ اللهُ شَرَّهُ عَنّي**، فقلت: ما هما يا ابن رسول الله؟ فقال: **أَمّا الخاصُّ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ حَفِظْتَ الغُلامَيْنِ لِصَلاحِ أَبَوَيْهِما فَاحْفَظْني لِصَلاحِ آبائي. وَأَمّا العامُّ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَكْفي مَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَلا يَكْفي مِنْكَ أَحَدٌ، فَاكْفِنِيهِ بِما شِئْتَ، وَكَيْفَ شِئْتَ، وَأَنّى شِئْتَ؛ فَكَفاني اللهُ شَرَّهُ**».

(مهج الدّعوات، ابن طاوس)

اليوم العشرون: وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله

«عن محمود بن لبيد، قال: انكسفت الشّمس يوم مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال النّاس: انكسفت الشّمس لموت إبراهيم ابن النّبيّ صلى الله عليه وآله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله، حين سمع ذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: **أَمّا بَعْدُ، أَيُّها النّاسُ، إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتانِ مِنْ آياتِ اللهِ، لا تَنْكَسِفانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَياتِهِ، فَإِذا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزَعوا إِلى المَساجِدِ**، ودمعت عيناه، فقالوا: يا رسول الله تبكي وأنت رسول الله؟ فقال: **إِنَّما أَنا بَشَرٌ، تَدْمَعُ العَيْنُ وَيَحْزَنُ القَلْبُ، وَلا نَقولُ ما يُسْخِطُ الرَّبَّ تَبارَكَ وَتَعالى، يا إِبْراهيمُ إِنّا بِكَ لَمَحْزونونَ**.

وقال صلّى الله عليه وآله يوم ماتَ إبراهيم: **ما كانَ مِنْ حُزْنٍ في القَلْبِ أَو في العَيْنِ، فَإِنَّما هُوَ رَحْمَةٌ، وَما كانَ مِنْ حُزْنٍ بِاللِّسانِ، وَبِاليَدِ فَهُوَ مِنَ الشَّيْطانِ**».

(مستدرك الوسائل، الميرزا النّوريّ)

اليوم الخامس عشر: أُحُد، والأحزاب

*** معركة أُحُد (السّنة الثّالثة من الهجرة)**

«كان هناك جماعة من المسلمين – بعد معركة بدر، واستشهاد فريق من أبطال الإسلام – يتمنّون الموت، ويقولون: ليتنا نلنا الشّهادة في بدر، ومن الطّبيعيّ أن يكون بعض تلك الجماعة صادقين في تمنّيهم، والبعض الآخرون كاذبين يتظاهرون بهذه الأمنية، أو يجهلون حقيقة أنفسهم، ولكن لم يلبث هذا الوضع طويلاً، فسرعان ما وقعت معركة أُحُد المؤلمة، فقاتل المجاهدون الصّادقون بشهامةٍ وبسالةٍ وصدقٍ، وكرعوا كؤوس الشّهادة، وحقّقوا أمانيهم، ولكنّ الّذين كانوا يتمنّونها كذباً وتظاهراً ما إن رأوا علائم الهزيمة الّتي لحقت بالجيش الإسلاميّ في تلك الواقعة حتّى فرّوا خوفاً وجبناً، تاركين السّاحة للعدوّ الغاشم، فنزلت هذه الآية توبّخهم وتعاتبهم، إذ تقول: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ آل عمران:١٤٣، فلماذا فررتُم وهربتُم من الشّيء الّذي كنتم تتمنّونه طويلاً، وكيف يفرّ المرء من محبوبه، وهو يراه وينظر إليه؟».

**** معركة الأحزاب أو الخندق (السّنة الخامسة من الهجرة)**

«كانت معركة الأحزاب حرباً اتّحدت فيها كلّ القبائل والفئات المختلفة الّتي تعادي الإسلام، للقضاء عليه؛ لقد كانت آخِرَ مسعًى للكفر، وآخِرَ سهمٍ في كنانته، وآخِرَ استعراضٍ لقوى الشّرك، ولهذا قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: (**بَرَزَ الإيمانُ كُلُّهُ إِلى الشِّرْكِ كُلِّهِ**)، عندما تقابل أشرس محاربي العدوّ، وهو عمرو بن عبد ودّ، وبطل الإسلام الأوحد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لأنّ انتصار أحدهما على الآخَر كان يعني انتصار الكفر على الإيمان، أو الإيمان على الكفر، وبتعبيرٍ آخر: كان عملاً مصيريّاً يحدّد مستقبل الإسلام والشّرك، ولذلك فإنَّ المُشركين لم تقُم لهم قائمة بعد انهزامهم في هذه المواجهة العظيمة، وكانت المبادرة وزمامها بيد المسلمين بعدها دائماً».

(تفسير الأمثل، الشيخ مكارم الشّيرازيّ)

..وأنتَ وليُّ الإعطاءِ والمنع
رزقٌ تطلبُه، وآخَرُ يأتيك

إعداد: محمد ناصر

أحاديثُ شريفةٌ مختارة في طلب الرّزق؛ حلّيّته، وأسبابه، ومواطنه، يليها مقتطفٌ من كتاب (المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء) للفيض الكاشانيّ، حول تأثير اللّقمة الحلال في صفاء القلب، وفي التّوفيق للعمل الصّالح.

فضيلة طلب الرّزق الحلال

١) الإمام الباقر عليه السلام: «قالَ رسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: العِبَادَةُ سَبْعُونَ جُزْءاً أَفْضَلُهَا طَلَبُ الْحَلَالِ».

٢) وعنه عليه السّلام: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وقَدْ فَرَضَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ لَهَا رِزْقَهَا حَلَالاً يَأْتِيهَا فِي عَافِيَةٍ، وعَرَضَ لَهَا بِالْحَرَامِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، فَإِنْ هِيَ تَنَاوَلَتْ شَيْئاً مِنَ الْحَرَامِ قَاصَّهَا بِهِ مِنَ الْحَلَالِ الَّذِي فَرَضَ لَهَا، وعِنْدَ اللهِ سِوَاهُمَا فَضْلٌ كَثِيرٌ، وهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿.. وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْـلِهِۦٓ ..﴾ النّساء:٣٢».

٣) عن أبي بصير، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنِّي لأَعْمَلُ فِي بَعْضِ ضِيَاعِي حَتَّى أَعْرَقَ، وإِنَّ لِي مَنْ يَكْفِينِي، لِيَعْلَمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أَنِّي أَطْلُبُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ».

لا يُنال بِحيلةٍ

١) أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «لَوْ جَرَتِ الأَرْزاقُ بِالأَلْبابِ والعُقُولِ، لَمْ تَعِشِ البَهائِمُ وَالحَمْقَى».

٢) الإمام الصّادق عليه السلام: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَسَّعَ فِي أَرْزَاقِ الْحَمْقَى لِيَعْتَبِرَ الْعُقَلَاءُ، ويَعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَ يُنَالُ مَا فِيهَا بِعَمَلٍ ولَا حِيلَةٍ».

لا مفرَّ من الرّزق!

١) رسول الله صلى الله عليه وآله: «الرِّزْقُ أَشَدُّ طَلَباً لِلْعَبْدِ مِنْ أَجَلِهِ».

٢) وعنه صلّى الله عليه وآله: «لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ المَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ».

٣) أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام: «الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُه، ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِه أَتَاكَ..».

الإجمال في الطّلب

١) رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ مَا قَلَّ وكَفَى، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وأَلْهَى».

٢) الإمام الصّادق عليه السلام: «لِيَكُنْ طَلَبُكَ المَعِيشَةَ فَوْقَ كَسْبِ المُضَيِّعِ، وَدونَ طَلَبِ الحَرِيصِ الرّاضِي بِالدُّنيا المُطْمَئِنِّ إليها، وَلَكِنْ أَنْزِلْ نَفْسَكَ مِنْ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ المُنْصِفِ المُتَعَفِّفِ، تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَنْ منزِلَةِ الواهِي الضَّعيف، وتَكْتَسِبْ ما لا بُدَّ للمُؤْمِنِ مِنْهُ».

قال العلماء

«..فالذّنوب كلّها تُورِثُ قساوةَ القلب، وتمنعُ من قيام اللّيل، وأخصّها بالتّأثير تناولُ الحرام، وتؤثّر اللّقمةُ الحلال في تصفيةِ القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثّر غيرها، ويعرف ذلك أهلُ المراقبة للقلوب بالتّجربة بعد شهادة الشّرع له، ولذلك قال بعضُهم كم من أكلةٍ منعت قيام ليلة، وكم من نظرةٍ منعت قراءة سورة، وإنَّ العبد لَيأكلُ أكلةً، أو يفعل فعلةً، فيُحرَم بها قيامَ سنة، وكما أنَّ الصّلاة تَنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تَنهى عن الصّلاة وسائر الخَيرات».

(المحجّة البيضاء، الفيض الكاشانيّ)

من فتاوى الفقهاء

لا طريقَ إلى تصحيح عملِ الجاهل المقصِّر

إعداد: «شعائر»

وليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئيّ دام ظلّه

س: حكمُ أو فتوى الوليّ الفقيه إلى أيّ حدٍّ يقبل التّطبيق، وفي حالة المُخالفة مع رأي المرجع الأعلم، فالعمل والرّجَحان لأيّهما؟

ج: اتّباعُ حُكمِ وليّ أمر المسلمين واجبٌ على الجميع، ولا يُمكن لفَتوى مرجع التّقليد المخالِفة أن تعارضَه.

س: والدتي من السّادة، فلو تفضّلتم ببيان الأمور التّالية:

(١) هل (أُعدُّ) من السّادة؟

(٢) هل أولادي وإن نزلوا (يُعَدّونَ) من السّادة؟ [الأولاد وإنْ نزلوا، أي الأحفاد]

(٣) ما هو الفرق بين مَن كان سيّداً من جهة الأب، ومَن كان سيّداً من جهة الأمّ؟

ج: الميزان في ترتيب الآثار والأحكام الشّرعيّة للسّيادة هو الانتسابُ من جهة الأب، ولكنّ المنتسبين إلى رسول الله ﷺ، من جهة الأمّ يُعتبَرون أيضاً من أولاد الرّسول ﷺ.

س: هل في الهبَة وفي هديّة العيد (العيديّة) خُمس أم لا؟

ج: لا خمسَ في الهبة والهديّة، وإنْ كان الأحوط دفعُ خمسِ الفاضل منها عن مؤنة السّنة.

س: لو كان الشّخص مَديناً في نهاية السّنة الماليّة بنفس مقدار الفائض من دَخْلِه لتلك السّنة، فهل يتعلّق الخُمس بالفائض أم لا؟

ج: إذا كان الدَّين لمَؤونة معيشته لنفس تلك السّنة فإنّه يُستثنى من أرباح تلك السّنة، وإلّا فلا يُستثنى.

س: هل يتعلّق الخمس بالجوائز والهدايا الّتي يُعطيها الإنسان إلى معارفه وأقربائه؟

ج: لا يجب الخُمس في الجوائز والهدايا إذا لم تكن خطيرة، وأمّا الجوائز والهدايا الخطيرة فلا يبعد وجوبُ الخمس فيها.

س: مَن كان نائماً وفاتته صلاةُ الصّبح، فهل يُمكنه قضاء الصّبح قبل صلاة الظّهر أم يجب تقديم الظّهر؟

ج: يُمكنه الإتيان بالصّبح في وقت الظّهر، بل الأحوط استحباباً أن يقدّم القضاء على الحاضرة خصوصاً فائتة ذلك اليوم.

(عن الموقع الإلكترونيّ لمكتب الإمام الخامنئيّ دام ظلّه)

المرجع الدّيني، آية الله السّيّد عليّ السّيستانيّ دام ظلّه

س: يُخطئ بعض النّاس في غُسله أو وضوئه، ثمّ يكتشف خطأه بعد مُضيّ سنوات صلّى خلالَها وصامَ وحجّ، وحين يَسأل يُقال له: أعِد صلاتك وحجّك، ولمّا كانت عمليّة الإعادة هذه صعبة، فهل من حلّ يُصحّح صلاة وحجّ مَن اغتسل وتوضّأ معتقداً صحّة غُسله ووضوئه، تخفيفاً عنه وخوفاً عليه من التّمرّد الكلّيّ على الواجبات؟

ج: إذا كان جاهلاً قاصراً، فأَخَلَّ بما لا يضرّ الإخلالُ به في هذا الحال، كَعَدم رعاية التّرتيب بين غَسل الرّأس وسائر البدن في الغُسل، والمَسح بالماء الجديد في الوضوء، حكم بصحّة وضوئه وغُسله، وبالتّالي يحكم بصحّة صلاته وحجّه.

وأمّا إذا كان جاهلاً مقصّراً في تَعلُّم الأحكام، أو أخلّ بما يضرّ الإخلال به بصحّة العمل في مطلَق الأحوال، كتَرْكِ غَسلِ بعض ما يجب غَسلُه في الوضوء أو الغُسل، فلا طريقَ إلى تصحيح صلاتِه وحجّه، ولكنْ إذا كان يُخاف عليه من التّمرّد الكلّيّ، فلا يُستَحسن أمرُه بقضاء عباداته، لعلّ الله يُحدث بعد ذلك أمراً.

س: إذا اعتقد المكلّف بأنّه إذا نام فإنّه لا يستيقظ لصلاة الصّبح، فهل يجب عليه أن يبقى مستيقظاً لحين أداء الصّلاة؟ وهل يَأْثَم إذا نام فلم يستيقظ لصلاته بعد ذلك؟

ج: يُمكنه أن يكلّف أحداً بإيقاظه للصّلاة، أو يستخدم السّاعة المُنبّهة أو نحوها لهذا الغرض، وإن لم يُمكن ذلك لم يأثم بالنّوم، إلّا إذا عُدّ ذلك تساهلاً وتهاوناً بالصّلاة عُرفاً.

س: لو سافر مسافرٌ من بلده بعد أذان الظّهر مباشرة من دون أن يصلّي، ووصل لمقصدِه بعد الغروب، فهل يأثَم؟ وهل يجب عليه قضاء صلاة الظّهر؟

ج: نعم هو آثمٌ بتَركه الفريضةَ في الوقت، وعليه قضاؤها.

س: هل يجوز السّير في موكب جنازة غير مسلم لتَشييعه؟

ج: إذا لم يكن هو [أي الميت]، ولا أصحاب الجنازة، معروفين بمعاداتهم للإسلام والمسلمين، فلا بأسَ بالمشاركة في تشييعه، ولكنّ الأفضل المَشي خلفَ الجنازة، لا أمامَها.

(الفقه للمُغتربين)

الطّاعة قُربٌ، والمعصيةُ حرمان

للفقراء نِعَمٌ لا يملكُها الأغنياء

شيخ الفقهاء العارفين الشّيخ بهجت قدس سره

مُختاراتٌ من ترجمةٍ خاصّة بـ «شعائر» لكتاب (جرعة وصال) المطبوع بإجازةِ مكتب شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الرّاحل الشّيخ بهجت، ويَتضمّن الكتاب توجيهات مركزيّة مختصَرة جرى اختيارُها بعنايةٍ من كلماته رضوان الله تعالى عليه.

* نرجو من الله تعالى أن يخلقَ في قلوبنا **عشقاً للقرآن وأهل البيت، كلَيهما**، حتّى نكتشف، أوّلاً، الاتّحاد بين القرآن والعترة والمزيج المركّب منهما، فنطوف عاشقين حولَهما، ومع أخذنا إيّاهما بعين الاعتبار عند العمل، والاقتداء بهما، ثانياً؛ ونعلم أنّهما **يستحقّان العشق أكثر من أيّ معشوقٍ آخر**.

* بإمكان الإنسان أن ينال **مقاماتِ الأنبياء، عليهم السّلام، المُطْلَقة**، لا المقامات الخاصّة بأنبياء بعينِهم عليهم السّلام.

* كلّ ما في **الإنسان من نَقصٍ**، فهو بسبب **اتّباعه هوى نفسه**، وابتعاده عن تعاليم الأنبياء، عليهم السّلام.

* لا سبيل لنا لتسهيل الطّاعة واجتناب المعصية سوى أن **نعلم ونتيقّن** من أنّ **الطّاعة** هي قُرْبٌ من كافّة النّعم والمسرّات والعزّة والمالكيّة المُطْلَقة، وأنّ **المعصية** هي الحرمان والمُنغِّصات والفقر والمذلّة...

مَن رَضِيَ بما عنده، نالَ كلَّ ما يحتاجُه، حتّى وإنْ كان كثيرًا!

هل نحملُ همَّ المسلمين؟

* هل من الممكن أن **نشعر بالحاجة إلى الدّعاء** للمؤمنين لحلّ مشاكلِهم، كما نشعر بالحاجة إلى الماء والطّعام **عند الجوع والعطش**، بل أكثر من ذلك؟!

* هل بإمكاننا يا تُرى **أن نَصِلَ بِمتاعنا سالمين إلى مقصدنا**، من غير أن نُبالي بشؤون المسلمين والمؤمنين؟! هل من الممكن أن نصل إلى الهدف **دون الاكتراث بأمر المسلمين**؟!

* ينبغي على **الفقراء** أن **يصبروا ويُصابروا** عند الشُّحّ والنّدرة وفقر ذات اليد، ويعلموا بأنّهم يتمتّعون بِنِعَمٍ لا يتمتّع بها الأغنياء. وأنّ للأغنياء من الابتلاءات والورطات ما ليس للمستضعفين والمعوزين!

* ليست السّعادة والدّعَة في العيش بالرّاحة وزيادة المتاع، **فراحةُ النّفس ورفاهُ القلب وسعادتُه، لا تكون بامتلاك أسباب الرّاحة ودَعَة العيش**؛ بل ربّما تكون أسباب الرّفاهية نفسها عِللاً للقلق والاضطرابات النّفسيّة!

* يستحيل على الإنسان أن يجعل دَأْبَه عدم **القناعة**، ثمّ يَرضى بما عنده! وفي المقابل، فإنّ مَن يرضى بما عنده، يصل إليه كلّ **ما يحتاج إليه**، حتّى وإنْ كان كثيراً!

لا ندمَ مع الاحتياط

* لا تَعارُضَ بين الحزن والدّعاء والتّوسّل من جهة، وبين **التّسليم لقضاء الله وقَدَره تعالى، والرّضا به** من جهةٍ أخرى.

* إذا كان المرءُ **طالباً للمعرفة** وأهلاً لها، وجاداً في طلبه هذا ومخلصاً، فإنّ كلّ شيءٍ يُصبح معلِّمه بإذن الله، حتّى الباب والجدار!

* علَّمنا أئمّتُنا، عليهم السّلام، أن نعمل **باليقينيّات**، وأن **نتوقّفَ ونحتاطَ** في ما لا يقينَ لنا فيه.

* لا يتبع **النّدمُ** عملاً قد رافَقَه **الاحتياط**.

* من الجيّد أن يشارك الإنسان في كلّ **عملِ خير**، وأنْ يكتبَ اسمَه فيه، **فغداً يوم القيامة** لا يعرف أحدٌ أيّ الأعمال تُقبَل وأيّها تُرَدّ!

* ينبغي على الإنسان أن يُفكِّر في **عمل الخير وكيفيّة إنجازه**، وينبغي أن يكون تفكيرُه هذا **خلّاقاً**، بحيث يكون مفيداً للوصول إلى الهدف.

الملف

الإمام جعفر الصّادق عليه السلام
مدرسة الإسلام الكبرى

اقرأ في الملف

استهلال	من وصايا الإمام الصّادق عليه السلام
خازنُ علوم الدّين، وفقيه الوحي	المستشار عبد الحليم الجنديّ
المؤلّفات المنسوبة إلى الإمام الصّادق عليه السلام	«شعائر»
كتاب «منافع القرآن العظيم»	علي موسى الكعبيّ
روائع من كلام الإمام جعفر الصّادق عليه السلام	الحسين بن محمّد الحلوانيّ

دخل على الإمام الصادق رجلان في منازعة بينهما فلم يسمع لهما كلاماً، فقال عليه السلام:

أما إنه ما ظفر أحدٌ بخيرٍ من ظلم بالظلم

استهلال

في وصايا الصادق عليه السلام لمؤمن الطاق

يا ابن النعمان: ولا يكون العبد مؤمناً حتى تكون فيه ثلاث سنن:

سُنَّةٌ من الله، وسُنَّةٌ من رسوله، وسُنَّةٌ من الإمام،

فأمَّا السُّنَّة من الله جلَّ وعزَّ، فهو أن يكون كتوماً للأسرار،

يقول الله جلَّ ذِكرُه:

﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾

وأمَّا السُّنَّة من رسول الله فهو أن يُداري الناس ويعاملهم

بالأخلاق الحنيفية.

وأما التي من الإمام، فالصبر في البأساء والضرَّاء حتى يأتيه

الله بالفرج.

الأشفهاني، مكيال المكارم ٢/٢٦٦

الإمام جعفر الصّادق عليه السلام
خازنُ علوم الدّين، وفقيهُ الوَحي

المستشار عبد الحليم الجنديّ

هذا النّصّ المستعاد للمفكّر الإسلاميّ المصريّ المستشار عبد الحليم الجنديّ، مستلٌّ من الكتاب الشّهير الّذي وضعَه الجنديّ حول سيرة الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام، في سبعينيّات القرن العشرين المنصرم.

أهمّيّة هذا الكتاب والنّصّ الّذي اخترناه لهذا العدد أنّه يعكس مناخَ نخبةٍ واسعةٍ من مفكّري العالَمين العربيّ والاسلاميّ وعُلمائهم، حول المنزلة العظيمة الّتي يرتقيها الإمام الصّادق عليه السّلام في ضميرِهم الجَمعيّ ووجدانهم الدّينيّ.

وقد ارتأينا نشرَ هذا النّصّ الّذي وضعَه الكاتب تحت عنوان «المدرسة الكبرى»، وهو جزءٌ ممّا ورد في الفصل الأوّل من الكتاب.

«شعائر»

أخذَ الفروعَ والأصول عن الإمام جعفر جمعٌ غفيرٌ من ثقات الشّيعة، ورَووا ذلك لمَن بعدهم على سبيل التّواتر القطعيّ. ورواه هؤلاء، لمَن خلَفوهم قرناً بعد قرنٍ. فالصّادق يروي علمَ مَن قبله، ويروي الأئمّةُ من أبنائه علمَه، كما يرويه تلامذتُه. فهو الحلقةُ التي تتوسّط السّلسلة، أو العروة الوثقى بين كُتب آبائه وبين ما كتب بعده «الإماميّة».

المصحف الخاصّ، أو كتاب الأصول

آلى أمير المؤمنين عليه السّلام على نفسه بعد الفراغ من تجهيز الرّسول صلّى الله عليه وآله، ألّا يرتدي إلّا للصّلاة أو يجمع القرآن. فجمعه مرتّباً على حسب النّزول. وأشار إلى عامّه وخاصّه، ومُطْلَقه ومقيّده، ومُحكَمه ومُتشَابهه، وناسخِه ومَنسوخه، وعَزائمِه ورُخَصِه، وسُننِه وآدابِه، ونبّه على أسباب النّزول فيه.

ومن جلال شأن هذا الكتاب، قال فيه محمّد بن سيرين: «لو أصبتُ هذا الكتابَ، كان فيه العِلم». فهو كما يظهر من محتوياته مصحفٌ خاصّ، وكتابُ أصولٍ من صُنع عليّ عليه السّلام.

الجامعة

و(**الجامعة**): كتابٌ طولُه سبعون ذراعاً، من إملاء النّبيّ صلّى الله عليه وآله وخطّ عليٍّ عليه السّلام. فيه ما يحتاجُه النّاسُ من حلالٍ وحرامٍ وغيره، حتّى ليصلَ في التّفصيل إلى أَرْش الخدش [التّعويض عنه]. وقد وصفَها بذلك الباقر والصّادق عليهما السّلام. شهدها عندهما الثّقات من أصحابهما ومنهم أبو بصير.

قال الصّادق عليه السّلام: «**أَما وَاللهِ عِنْدَنا ما لا نَحْتاجُ إِلى أَحَدٍ، وَالنّاسُ يَحْتاجونَ إِلَيْنا، إِنَّ عِنْدَنا الكِتابَ بِإِمْلاءِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، وَخَطِّ عَلِيٍّ بِيَدِهِ. صَحيفَةٌ طولُها سَبْعونَ ذِراعاً، فيها كُلُّ حَلالٍ وَحَرام**».

وقال: «**إِنَّ الجامِعَةَ لَمْ تَدَعْ لِأَحَدٍ كَلاماً. فيها الحَلالُ وَالحَرامُ. إِنَّ أَصْحابَ القِياسِ طَلَبوا العِلْمَ بِالقِياسِ فَلَمْ يَزْدادُوا مِنَ الحَقِّ إِلّا بُعْداً. وَإِنَّ دينَ اللهِ لا يُصابُ بِالقِياسِ**».

قالوا: سُمِّيت: «الجامعة»، و«الصّحيفة»، و«كتاب عليّ»، و«الصّحيفة العتيقة».

كان أمير المؤمنين عليه السّلام يخطبُ النّاسَ فيقول: «**وَاللهِ ما عِنْدَنا كِتابٌ نَقْرَأُهُ عَلَيْكُمْ إِلّا كِتابَ اللهِ تَعالى، وَهَذِهِ الصَّحيفَة** - وكانت مُعلّقةً بسَيفه - **أَخَذْتُها عَنْ رَسولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**».

ولقد دعا الخليفة أبو جعفر المنصور [العبّاسيّ] بكتابٍ عليٍّ هذا، فجاءَ به الإمام الصّادق وقرأ فيه أنّ: **النّساء ليس لهنّ من عقار الرّجل، إذا توفّي عنهنّ، شيء**. وقال أبو جعفر [المنصور العبّاسيّ]: «**هَذا واللهِ، خَطُّ عَلِيٍّ وَإِمْلاءُ رَسولِ اللهِ، صلّى اللهُ عَلَيْهِ [وآلِه] وَسَلَّمَ**».

وأبو جعفر من العلماء كما قال عنه مالكٌ إمامُ المدينة، وكما أقرَّ له الجاحظ كبيرُ النَّقَدَة. فهو قد يقسمُ لأنّه قرأ كتابةً قبل ذلك لِعَلِيٍّ، أو لأنّ لديه من العلم، ما يُعرِّفُه أنّها بإملاء النّبيّ صلى الله عليه وآله.

كتاب الدّيات

وكتاب (الدّيات): وهو يغطّي ما يُسمّى في الفقه المعاصر «المسؤوليّة المدنيّة» عن الفعل الضّارّ بالجسم، أوردَ محتوياتِه ابنُ سعد في كتابه المعروف بـ (الجامع). وروى عنه أحمد بن حنبل في (المسند الأعظم)، وذكره البخاريّ ومسلم، ورَويا عنه.

ربّما كان اختلافُ مذاهب أهل السُّنّة في ما بينَهم وبين أنفسِهم أكثرَ ظهوراً، في بعض المسائل، من خلافِهم فيها مع فقهاء الشّيعة. وإذاً لاحظنا أنّ من الرّواة مَن قيل إنّه روى عشراتِ الآلاف من الحديث عن الإمام الصّادق عليه السلام، تجلّت كفايةُ التّراثِ الموثوق به عندَ الشّيعة لحاجاتِ الأمّة.

مصحف فاطمة عليها السّلام

ومن التّراث العلميّ عند الشّيعة ما يُسمّى «مصحف فاطمة». حدّثوا عن الصّادق عليه السلام إذ سُئل عنه: «**أَنَّ فاطِمَةَ مَكَثَتْ بَعْدَ رَسولِ اللهِ خَمْسَةً وَسَبْعينَ يَوْماً، وَكانَ قَدْ دَخَلَها حُزْنٌ عَلى أَبيها. وَكانَ جِبْريلُ يَأْتيها فَيُحْسِنُ عَزاءَها وَيُطيبُ نَفْسَها، وَيُخْبِرُها بِما يَكونُ بَعْدَها في ذُرِّيَّتِها، وَكانَ عَلِيٌّ يَكْتُبُ ذَلِكَ. فَهَذا مُصْحَفُ فاطِمَةَ**».

فليس هذا مصحفاً بالمعنى الخاصّ بكتاب الله تعالى، وإنّما هو أحدُ المدوّنات.

التّدوين

يروي «الصّدوق» في (الأمالي) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**المُؤْمِنُ مَنْ إِذا ماتَ تَرَكَ وَرَقَةً واحِدَةً عَلَيْها عِلْمٌ، تَكونُ تِلْكَ الوَرَقَةُ يَوْمَ القِيامَةِ سِتْراً بَيْنَهُ وَبَيْنَ النّارِ**».

وفي حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله أو حياة عليٍّ عليه السلام، اقتدت بعليٍّ عليه السلام شيعتُه في التّدوين. أو قل: هُديَت لتنفيذ أمر الرّسول صلى الله عليه وآله.

يقول ابنُ شهر آشوب: «أوّلُ مَن صنّفَ في الإسلام عليُّ بنُ أبي طالب، ثمّ سلمانُ الفارسيّ، ثمّ أبو ذرّ». والاثنان (من) شيعة عليٍّ عليه السلام.

والسّيوطيّ يروي أنّ عليّاً والحسنَ بن عليّ عليهما السلام، ممّن أباحوا كتابةَ العلم بين الصّحابة وفعّلوها.

وألّف أبو رافع مولى الرّسول صلى الله عليه وآله، وصاحبُ بيتِ مالِ عليٍّ عليه السلام بالكوفة، كتاب (السُّنن والأحكام والقضايا).

يقول موسى بن عبد الله بن الحسن: «سألَ أبي رجلٌ عن التّشهُّد، فقال أبي: هاتِ كتابَ أبي رافع. فأخرجَه فأملاه علينا».

أمّا عليُّ بنُ أبي رافع فكتبَ كتاباً في فنون الفقه على مذهب أهل البيت - أي آراء عليّ بن أبي طالب عليه السّلام - وكانوا يُعَظّمون شأنَ هذا الكتاب، ويحملون شيعتَهم عليه.

ومن الشّيعة:

* زَيدُ الجَهْضَمِيّ، حاربَ مع عليٍّ عليه السّلام، وألّف كتاباً يحوي خُطَبَه.
* ومنهم ربيعة بن سميع: له كتابٌ في زكاة النَّعَم.
* ومنهم عبد الله بن الحرّ الفارسيّ: له لمعةٌ في الحديث جمعَها في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله.
* ومنهم الأصبغُ بن نباتة، صاحبُ عليٍّ عليه السلام، روى عنه عهدَه إلى الأشتر النَّخْعيّ، ووصيّتَه إلى ابنه محمّد بن الحنفيّة.
* ومنهم سُلَيم بنُ قيس الهلاليّ صاحبُ أمير المؤمنين، له كتابٌ في الإمامة، وله مكانةٌ عُليا في المذهب من حيث الأصول.

وذات يومٍ كان الحكمُ بن عُيَينة عند الباقر يسأله، فقال [الإمام الباقر عليه السّلام]: «**يَا بُنَيَّ، قُمْ فَأَحْضِرْ كِتَابَ عَلِيٍّ**». فأحضر كتاباً مدرجاً عظيماً ففتحَه. وجعل ينظرُ حتّى أخرجَ المسألة، وقال: «**هَذَا خَطُّ عَلِيٍّ وَإِمْلَاءُ رَسُولِ الله**». وأقبلَ على الحكم، وقال: «**اذْهَبْ أَنْتَ وَسَلَمَةُ وَأَبُو المِقْدَام حَيْثُ شِئْتُمْ يَميناً وَشِمالاً. فَوالله لا تَجِدونَ العِلْمَ أَوْثَقَ مِنْهُ عِنْدَ قَوْمٍ كانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ جِبْرِيلُ**».

ومن قبل الإمام الباقر، وُجِدَت عند الإمام زين العابدين عليه السلام، الصّحيفةُ المسمّاة: (الصّحيفة الكاملة). وعن زين العابدين عليه السّلام آلَتْ إلى الشّيعة رسائلُ عدّة، منها: (رسالة الحقوق)، ورسالةٌ إلى ابن شهاب الزّهريّ.

وكذلك ألّف عمرو بن أبي المقدام جامعاً في الفقه، يَرويه عن الإمام زين العابدين عليه السّلام.

فلمّا صارت الإمامة للصّادق عليه السّلام، حضَّ على تدوينِ العلم أيّاً كان موضوعُه، دينيّاً أو دنيويّاً، فقهاً، عباداتٍ أو معاملاتٍ، أو علوماً تطبيقيّة. وكان يقول: «**القَلبُ يتّكِلُ عَلى الكِتابة**»، وكان يُملي على تلاميذه، ويَجيئهم بالدّواةِ والقرطاس، ويقول: «**اكتُبوا، فَإنّكُم لا تَحفظونَ حَتّى تَكتُبوا**».

ويلتمسُ سفيانُ الثّوريّ إليه أن يحدّثه بحديثِ خطبةِ الرّسول صلى الله عليه وآله بمَسجد الخيف، ويرجوه ليأمرَ له بقرطاسٍ ودواةٍ ليثبتَه، فيأمر له، ثمّ يُمليه: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم. خُطْبَةُ رَسولِ اللهِ في مَسْجِدِ الخَيْف. نَضَّرَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ مَقالَتي فَوَعاها، وَبَلَّغَها مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ. يا أَيُّها النّاسُ: لِيُبَلِّغِ الشّاهِدُ مِنْكُمُ الغائِبَ، فَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ لَيسَ بِفَقيهٍ، وَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ...**».

وكتب عبد الله الحلبيّ كتاباً عرضَه على «الصّادق عليه السّلام»، فصحّحَه واستحسنَه.

وسنرى حفيده الإمامَ العسكريّ يعرضُ عليه يونسُ بن عبد الرّحمن كتاب (يوم وليلة)، فيُصَحِّحه، ويأمرُ بالعمل به.

ولمّا غابَ «المهديّ عليه السّلام» في النّصف الثّاني من القرن الثّالث، أحوَجت «الغَيبةُ» إلى الرّجوع للمُدوّنات الّتي تزخرُ بها خزائنُ الشّيعة؛ إذ لم يَكن لديهم إمامٌ ظاهرٌ يسألونه، وكَثُرت الكتابةُ عندَهم في القرن الرّابع.

* * *

كان أوّلُ المستفيدين بالتّدوين الباكر أولئك الّذين يَلوذون بالأئمّة من أهل البيت عليهم السّلام، فيتعلّمون شفاهاً أو تحريراً، أي من فمٍ لفمٍ، أو بالكتابة.

فما تناقلتُه كُتبُ الشّيعة من الحديث، هو التّراثُ النّبويّ - في صميمِه - بلغَ الشّيعةَ في يُسْرٍ طَوَّعَ لعلمِهم الازدهار. في حين لم يجمع أهلُ السُّنّة هذا التّراث إلّا بعد أن انكبَّ عليه علماؤهم قرناً ونصف قرن، حتّى حصّلوا ما دوّنوه في المدوّنات الأولى. ثمّ ظلّوا قروناً أخرى، يجوبون الفَيافي والقفارَ في كلّ الأمصار، فتطابقت السُّنّةُ - في مجموعها - عند هؤلاء وأولاء، إلّا أموراً لا تتّصلُ بأصل الدِّين، وخلافاتٍ في الفروع ليست بِدْعاً في الأمّة.

وربّما كان اختلافُ مذاهب أهل السُّنّة في ما بينَهم وبين أنفسِهم أكثرَ ظهوراً في بعض المسائل من خلافِهم فيها مع فقهاء الشّيعة. وإذاً لاحظنا أنّ من الرّواة مَن قيل إنّه روى عشراتِ الآلاف من الحديث عن الإمام، تجلّت كفايةُ التّراثِ الموثوق به عندَ الشّيعة لحاجاتِ الأُمّة. «..»

والشّيعةُ يَكفيهم أن يصلوا بالحديث إلى الإمام، لا يطلبون إسناداً قبل الإمام جعفر الصّادق، بل لا يطلبون إسناداً قبل

الأئمّة عموماً. لأنّ الإمام بين أن يكون يَروي عن الإمام الّذي أوصى له، وبين أن يكون قرأ الحديثَ في كُتُب آبائه - إلى ذلك - فإنّ ما يقولُه سُنّةٌ عندَهم. فهو ممحَّصٌ من كلّ وجه. فليست روايتُه للحديث مجرّدَ شهادةٍ به، بل هي إعلانٌ لصحّتِه. «..»

ولا مريةَ كان منهجُ عليٍّ عليه السلام ومَن تابعَه في التّدوين خيراً كبيراً للمسلمين، منعَ المساوئَ المنسوبةَ إلى بعض الرّوايات، وأقفلَ الباب دون افتراء الزّنادقة والوضّاعين. فالسّبقُ في التّدوين فضيلةُ الشّيعة. ولمّا أجمعَ العلماءُ بعد زمانٍ طويلٍ على الالتجاء إليه، كانوا يُسَلّمون بهذه الفضيلة - بالإجماع - لِعَلِيٍّ وبَنيه. والسُّنّة شارحةٌ للكتاب العزيز، وهو مكتوبٌ بإملاء صاحب الرّسالة، فهي كَمثله حقيقةٌ بالكتابة.

إنّما كان المحدِّثون من أهل السُّنّة في القرون الأولى مضطرّين لسُماع لفظ الحديث من الأَشيُخ، أو عرضِه عليهم، لأنّ السُّنن لم تكن مدوَّنة. فكانت الرّحلةُ إلى أقطار العالَم لتلقّي الحديث على العلماء وسيلتُهم الأكيدة. ولم يغيِّر ذلك النّظرَ انتشارُ التّدوين في نهاية القرن الثّاني ومنتصفِ الثّالث، وكَثْرة الحديثِ المدوَّنِ في المَسانيد والمجاميع والصّحاح الّتي أُلِّفت بعد تلك الفترة، ومنها مسند أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١ للهجرة)،

لا مريةَ كان منهجُ عليٍّ عليه السّلام ومَن تابعَه في التّدوين خيراً كبيراً للمسلمين، منعَ المساوئَ المنسوبةَ إلى بعض الرّوايات، وأقفلَ الباب دون افتراء الزّنادقة والوَضّاعين. فالسّبقُ في التّدوين فضيلةُ الشّيعة. ولمّا أجمع العلماء بعد زمانٍ طويلٍ على الالتجاء إليه، كانوا يسلّمون بهذه الفضيلة - بالإجماع - لعليٍّ عليه السّلام وبَنيه. والسُّنّة شارحةٌ للكتاب العزيز، وهو مكتوبٌ بإملاء صاحب الرّسالة، فهي كَمثله حقيقةٌ بالكتابة.

حوى ثلاثين ألفاً دون المكرّر. اختارها من ثلاثة أرباع مليون جمعَها من أفواه العلماء من أقصى الأرض وأدناها، وحدّث بها تلاميذَه لينقلوها إلى الأجيال التّالية. وكان في أواخر أيّامه يستوثقُ لنفسه، فيَروي للنّاس الحديثَ ويطلبُ المسندَ يقرأُ فيه.

ثمّ جاءت أجيالٌ تأخذُ الحديثَ من الصُّحفِ الموثوقِ بصَحّةِ صدورِها من صاحبِها دون أن يُرتَحَلَ إليه. وهذا ما أطلقوا عليه الوَجادة [لفظ مولَّد من «وجد» غير مسموع من العرب] يقولون: «وَجَدنا بخطّ فلان». وفي القرن الرّابع اعتبر ابن يونس الصّفديّ (ت: ٣٤٧ للهجرة) إماماً حافظاً للحديث، وإنْ لَم يَرحَل. «..»

***

وفي كتابنا (الإمام الشّافعيّ) أجملَنا الكلام عن موضعِ الإمام من الإسلام كلِّه في كلمات: «الإمام جعفر.. يمثّلُ صميمَ الإسلام «..» وهو إمامٌ في الدّينِ والفقه، وبحرٌ في العلوم الطّبيعيّة». «..»

وهذا البحر «..» إمامٌ يَهتدي بهَديِه واجتهادِه أئمّةُ أهل السّنّة كافّة. أمّا الشّيعة الإماميّة، فقَولُ الإمام المعصوم يَجري عندَهم مَجرى قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله، من كَوْنه حُجّةً على العباد. ولقد توسّعَ علماؤهم في اصطلاح السُّنّة إلى ما يشملُ «قولَ كلِّ واحدٍ من المعصومين، وفعلَه، وتقريرَه». فالأئمّةُ المعصومون ليسوا، بهذه المنزلة، من قبيل رُواة السُّنن، بل هم مَنصوبون من الله تعالى، على لسان النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، لتبليغ الأحكام عن طريق الإلهام، كالنّبيّ بطريقِ الوَحي إليه، وهو خاصٌّ به، أو عن طريق التّلقّي من المَعصوم الّذي يسبق. أمّا فعلُ المعصوم فَدليلٌ على الإباحة. وأمّا تَرْكُه فَدليلٌ على عَدم الوجوب.

المؤلّفات المنسوبة إلى الإمام الصّادق عليه السلام

تحدّث الرّواة والمؤرّخون عن الكثير ممّا نُسب إلى الإمام الصادق عليه السلام من مؤلّفات في مجال العلوم الدّقيقة والمعارف الإلهيّة المختلفة. ومن إجمالي ما ورد من أحاديث ومدوّنات أصحاب الإمام وما نقل عنهم المحقّقون نورد ما يلي:

«شعائر»

١- رسالةٌ في شرائع الدِّين.

٢- وصاياه للإمام الكاظم عليه السّلام.

٣- رسالةٌ في الغَنائم ووجوبِ الخمس.

٤- (توحيد المفضَّل).

٥- كتاب (الإهليلجة).

٦- كتاب (مصباح الشّريعة).

٧- كتاب (مفتاح الحقيقة).

٨- رسالةٌ إلى أصحابه.

٩- رسالةٌ إلى أصحاب الرّأي والقياس.

١٠- رسالةٌ لمحمّد بن النّعمان.

١١- أخرى لعبد الله بن جُنْدب.

١٢- رسالةٌ في وجوه المَعايش للعباد، ووجوه إخراج الأموال.

١٣- رسالةٌ في احتجاجه على الصّوفيّة فيما يَنهون عنه من طلب الرّزق.

١٤- رسالةُ حِكَمٍ قصيرة.

والرّسالتان الأخيرتان في الاقتصاد والاجتماع، يدلّان على منهاج الإمام في صلاح الدّنيا بالعمل والعبادة معاً.

١٥- الرّسائل العلميّة المقترنة بجابر بن حيّان.

١٦- أمّا كتابُ (الجَفْر) المنسوب إلى الإمام الصّادق عليه السلام، فيقول عنه ابنُ خلدون: «واعلم أنّ كتاب (الجَفْر) كان أصلُه أنّ هارونَ بنَ سعيد العِجليّ - وهو رأسُ الزّيديّة - كان له كتابٌ يَرويه عن جعفر الصّادق، وفيه علمُ ما سَيقعُ لأهلِ البيت على العموم، ولبعضِ الأشخاص منهم على الخصوص. وقعَ ذلك لجَعفر ونظائره من رجالاتِهم على طريق الكرامة والكَشف الّذي يقعُ لمثلِهم. وكان مكتوباً عند جَعفر في جِلْدِ ثَورٍ صغيرٍ، فَرواه عنه هارون العِجليّ وكتبَه وسمّاهُ (الجَفْر)، باسم الجلد الّذي كُتِبَ عليه، لأنّ الجَفْرَ في اللّغة هو الصّغير، وصارَ هذا الاسمُ علَماً على الكتاب عندَهم. وكان فيه تفسيرُ القرآن وما في باطنِه من غرائب المَعاني مرويّةً عن جعفر الصّادق. وهذا الكتاب لم تتّصل روايتُه ولا عُرِف عينُه، وإنّما يظهرُ منه شَواذٌّ من الكلماتِ لا يصحبُها دليل. ولو صحّ السَّنَدُ إلى جعفر الصّادق لكانَ نِعْمَ المستنَد من نفسِه أو من رجالِ قَومِه، فَهُم أهلُ الكرامات. وقد صحَّ عنه أنّه كان يحذِّرُ بعضَ قرابتِه بوقائع تكونُ لهم، فتُصبح كما يقول».

والرّواياتُ متضافرةٌ على أنّ (الجَفْرَ) غيرُ (الجَامعة). والبعض يقول إنّ (الجَفْر) من مؤلّفات عليٍّ عليه السلام، أملاه عليه النّبيّ صلى الله عليه وآله. وهو جَفْران: الأبيض، وهو وعاءٌ من أَدَمٍ فيه علومُ الأنبياء والوصيّين والّذين مَضوا من علماء بني إسرائيل، والأحمر فيه علمُ الحوادثِ والحروب.

يقول ابنُ خلدون:

«واعلم أنّ كتاب (الجَفْر) فيه علمُ ما سَيقعُ لأهلِ البيت على العموم، ولبعضِ الأشخاص منهم على الخصوص.

كتاب «منافعُ القرآن العظيم»

حقائق حول هذا المؤلَّف المنسوب للإمام جعفر الصّادق عليه السلام

علي موسى الكعبي*

لا يَخفى أنّ حديثَ أهل البيت عليهم السلام هو أحدُ المفاتيح الأساسيّة التي يعوَّل عليها في فهم النّصّ القرآنيّ، ومعرفة أسرار بلاغتِه، وروعة تعبيره، وتَحَرّي مواضع الدّقّة فيه، ذلك لأنّهم عليهم السّلام أعدالُ القرآن الكريم، وقرناؤه في الفضل، وشركاؤه في الهداية بنصّ حديث الثَّقلَين المقطوع بصحّة صدوره عند الفريقَين.

وعليه فإنّ مَن يريد أن يفهم كتاب الله تعالى، ويقف على معانيه الدّقيقة، ومراميه السّامية، وأسرار إعجازه، لا يُمكنه أن يستغنيَ عن حديث الرّاسخين في العلم - النّبيّ المصطفى وعترته الميامين عليهم السّلام - كي يَستضيءَ به في تدبُّر معاني الكتاب الكريم، والتّفكُّر في مقاصده وأهدافه وخصائصِه وآثاره، باعتبارهم أدلّ النّاس على سُموّ قدره، وأعرفِهم بمنزلتِه، وأعلمِهم بفضله. قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «**وَاللهِ ما نَزَلَتْ آيَةٌ إلّا وَقَدْ عَلِمْتُ فيما نَزَلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَعَلى مَنْ نَزَلَتْ، إنَّ رَبّي وَهَبَ لي قَلْباً عَقولاً، وَلِساناً طَلِقاً سَؤولاً**».

وقال الإمام الباقر عليه السّلام: «**إنَّ رَسولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَفْضَلُ الرّاسِخينَ في العِلْمِ، قَدْ عَلِمَ جَميعَ ما أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزيلِ وَالتَّأْويلِ، وَما كانَ اللهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْويلَهُ، وَأَوْصِياؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمونَهُ كُلَّهُ**».

وقال الإمام الصّادق عليه السّلام: «**نَحْنُ الرّاسِخونَ في العِلْمِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ تَأْويلَهُ**».

ولقد اعتاد أغلبُ المفسّرين بالمأثور، والمصنّفون في علوم القرآن الكريم والحديث الشّريف، إيرادَ فريدٍ من أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله وعترتِه المعصومين عليهم السّلام التي تتضمّنُ بيانَ فضائل سُوَر القرآن الكريم ومنافعِها وخواصّها، وما لها من آثارٍ على النّفس والبَدَن، وسائرِ أحوال الإنسان.

وتلك الأحاديث هي مصاديقُ واضحةٌ لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ..﴾ الإسراء:٨٢، وقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس:٥٧، وغيرِها من الآيات الدّالّة على أنّ القرآن الكريم شفاءٌ للنّفس والبَدن، وضياءٌ للرّوح، وتهذيبٌ للأخلاق.

وجاء في الحديث الشّريف ما يؤكّد هذه المعاني أيضاً، فقد أخرجَ ابنُ ماجه وغيرُه من حديث ابن مسعود، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **عَلَيْكُمْ بِالشِّفاءَيْنِ: العَسَلِ، وَالقُرْآنِ**».

وأخرج أيضاً من حديث أمير المؤمنين عليه السّلام، قال: «**خَيْرُ الدَّواءِ القُرآنُ**».

وجاء عنه عليه السّلام في (نهج البلاغة): «**عَلَيْكُم بِكِتَابِ الله، فَإِنَّه الحَبْلُ المَتِينُ، وَالنّورُ المُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ...**».

وقال عليه السّلام: «**إِنَّ فيهِ شِفاءً مِنْ أَكْبَرِ الدّاءِ، وَهُوَ الكُفْرُ وَالنِّفاقُ، وَالغَيُّ وَالضَّلالُ...**».

وقد أكّدت البحوثُ الطّبّيّةُ الحديثةُ أنّ الطّبَّ الرّوحانيّ من أهمّ الأسباب المؤدّية إلى تخفيفِ الأمراض النّفسيّة المُستَعصية، والكثيرةِ الشّيوع في زماننا هذا، ولا ريبَ في أنّ القرآن الكريم والدّعاء يقفان على رأس مفردات

* باحث ومحقق إسلامي

من قال: من فعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به

الطّبّ الرّوحانيّ والعلاج النّفسانيّ، لما لهما من الأثر البالغ في نفوس المؤمنين المعتقدين. أخرج ابنُ ضُريَس عن سعيد بن جبير، أنّه قرأ على رجلٍ مجنونٍ سورةَ (يس)، فبَرِئ.

على أنّ الآثار العلاجيّة وغيرَها المترتّبة على القراءة أو التّعوّذ بسورةٍ أو آيةٍ قرآنيّة، تتوقّفُ بالدّرجة الأولى على شرطِ الإيمان والاعتقاد، وأن تجريَ على لسان الأبرار من الخَلْق ليَحصلَ بها الشّفاء، أو يترتّبَ عليها الأثرُ بإذن الله تعالى، قال سبحانه: ﴿..قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى..﴾ فصلت:٤٤.

أوّلُ مَن صنّفَ في فضائل القرآن، وخواصّه

أفردَ كثيرٌ من مُصنِّفي العامّة والخاصّة هذا العلمَ بتأليفٍ خاصّ، وقد ذكرَ ابنُ النّديم الكُتُبَ المصنّفةَ في فضائل القرآن، وعدَّ منها كتاب أُبَيّ بن كَعب الأنصاريّ، المتوفّى سنة ٢١ للهجرة. فيَظهر من كلامه أنّ أُبيّاً أوّلُ مَن ألّف في فضائل القرآن، لأنّ الذين ذكرَهم مع أُبَيّ، طبقتُهم متأخّرةٌ عنه.

وهذا يعارضُ وينقضُ ما نُقل عن السّيوطيّ، وما ذكره حاجي خليفة من أنّ أوّل مَن صنّف في علم فضائل القرآن، هو الإمام محمّد بن إدريس الشّافعيّ المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة، في كتابه (منافع القرآن).

ولو فرَضنا عدمَ صحّة ما نقلَه ابن النّديم، فإنّ الشّافعيّ مسبوقٌ بالإمام الصّادق عليه السّلام المتوفّى سنة ١٤٨ للهجرة، في هذا الكتاب المنسوب إليه (خواصّ القرآن العظيم) والذي أشار إليه حاجي خليفة في مَوضِعٍ آخر من (كشف الظّنون)، لكنّه لم يذكر تقدُّمَه في هذا المضمار.

نسبةُ الكتاب

نُسِبَ كتاب (خواصّ القرآن) إلى الإمام أبي عبدالله، جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام في النّسخة المخطوطة التي اعتمدناها في تحقيقنا، فقد جاء على صَفحتها الأُولى: «كتابٌ فيه خواصُّ القرآن العظيم، لجَعفر الصّادق رضي [الله] عنه، ونفعَ به». ثمّ جاء بعد البَسملة اسمُ الإمام الصّادق عليه السّلام موصلاً نسبَه إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

وذكر حاجي خليفة، المتوفّى سنة ١٠٦٧ للهجرة، في (كشف الظّنون) جماعةً ممّن أفردوا (منافع القرآن) بالتّصنيف، ثمّ قال: «وفيه مختصَرٌ مرويٌّ عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام». والظّاهر أنّه يريدُ كتابنا هذا، لأنّه وردَ بالاسمين في نسخة الأصل، فقد جاءَ في أوّلها: (كتابٌ فيه خواصّ القرآن العظيم)، وفي آخرها: (تَمّ منافع القرآن العظيم).

وعبّر عنه بعضُ علمائنا عند النّقل عنه تارةً بعنوان (منافع القرآن)، وتارةً بعنوان (خواصّ القرآن).

هذا هو أهمّ ما جاء في نسبة الكتاب إلى الإمام الصّادق عليه السّلام، ويُضاف إليه تأكيدُ النّاقلين عن الكتاب على تلك النّسبة، وسيأتي بيانُه.

النّقل عن الكتاب

لم نَجِد أحاديثَ كتاب (خواصّ القرآن) المنسوب إلى الإمام الصّادق عليه السّلام في شيءٍ من كُتب الرّواية المتقدّمة عند الإماميّة، كالكُتب الأربعة والأُصول السّابقة أو المَجاميع الحديثيّة المعاصرة لها. ويبدو أنّ أوّل مَن نقل عنه هو السّيّد ابن طاوس، المتوفّى سنة ٦٦٤ للهجرة، فقد وجدنا في كتابه (الأمان من الأخطار) بعضَ النّقول عن الإمام الصّادق عليه السّلام، تُطابق ما ورد في كتابنا هذا، نقلَها عن كتابه (السّعادات بالعبادات التي ليس لها أوقات معيّنات) من دون أن يشير إلى كتاب (الخواصّ).

* ونقل السّيّد هبة الله بن أبي محمّد الحسن الموسويّ الرّاونديّ، المعاصر للعلّامة الحلّيّ المتوفى سنة ٧٢٦ للهجرة، في كتابه (المجموع الرّائق من أزهار الحدائق) عدّة أحاديث في خواصّ القرآن الكريم، مرويّةً عن الإمام الصّادق عليه السّلام، وبعضُها يطابقُ ما وردَ في كتابنا هذا.

* ونقلَ عن كتاب (الخواصّ) المنسوب إلى الإمام الصّادق عليه السّلام، الشّهيدُ الأوّل الشّيخ محمّد بن مكّيّ العامليّ، الشّهيد سنة ٧٨٦ للهجرة، في مجموعته، عدّةَ أحاديث في خواصّ القرآن الكريم، مرويّةً عن الإمام الصّادق عليه السّلام، وبعضُها يطابق ما جاءَ في كتابنا هذا.

وذكر المحدِّث النّوريّ بعد نقله بعضَ تلك الأحاديث عن (مجموعة الشّهيد)، أنّ الشّهيد قد صرّح في (مجموعته) أنّ ما ذكره من خواصّ القرآن مَرويٌّ عن الإمام الصّادق عليه السّلام. ولهذا نجدُ أنّ المحدّث النّوريّ عندما ينقل عن (خواصّ القرآن) بواسطة مجموعة الشّهيد، يصرّح بنسبة الكتاب إلى الإمام الصّادق عليه السّلام حيث يقول: «من (خواصّ القرآن) المنسوب إلى الإمام الصّادق عليه السّلام»، ويُسمّيه في بعض المواضع: (منافع القرآن).

* ونقل الشّيخ إبراهيم بن عليّ الكفعميّ، المتوفى سنة ٩٠٥ للهجرة، في كتابه (جنّة الأمان الواقية) عن كتاب (خواصّ القرآن) مختصَراً من أحاديث الإمام الصّادق عليه السّلام، يطابقُ من حيث المضمون ما جاء في كتابنا هذا، وبعضُه يطابقُه في اللّفظ أيضاً. ونقل عنه المحدّث النّوريّ بعض تلك الأحاديث في (مستدرك الوسائل)، وقال: «الكفعميّ في (الجنّة) نقلاً عن كتاب (خواصّ القرآن)، والظّاهر أنّه المنسوب إلى الصّادق عليه السّلام».

* ونقل السّيّد هاشم البحرانيّ، المتوفّى سنة ١١٠٧ للهجرة، في (البرهان في تفسير القرآن) عدّة أحاديث في خواصّ السّوَر وفضائلِها مرويّةً عن الإمام الصّادق عليه السّلام، ومصرّحاً بأنّها من (خواصّ القرآن)، وأغلبُها يطابق ما وردَ في كتابنا هذا لفظاً ومضموناً. «..»

وما دمنا في معرض ذكر المصادر التي نقلت عن هذا الكتاب، لابدّ من الإشارة إلى أنّه قد ورد في (المجموع الرّائق)، و(مجموعة الشّهيد)، و(جنّة الأمان)، و(تفسير البرهان) الكثير من الأحاديث المنقولة عن كتاب (خواصّ القرآن) لكنّها لم تَرِد في كتابناهذا، وبعضُها مرويٌّ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وبعضُها في خواصّ الآي، لا خواصّ السّوَر. ولا يخلو ذلك من احتمالَين:

الأوّل: أنّ كتابنا هذا هو الأصلُ المُعَوَّلُ عليه، والكتابُ الذي نَقلوا عنه هو كتابٌ آخر، قد ضمّنَه مؤلِّفُه بعضَ الأصل المنسوب إلى الإمام الصّادق عليه السّلام، أو كلَّه، وأضافَ إليه ما تَسنّى له من أحاديث في هذا المضمون.

الثّاني: أنّ الكتاب الذي نقلوا عنه هو الأصل المعوّل عليه والأكثر انتشاراً بين العلماء، ثمّ إنّ بعضَهم اختصَره فكان كتابنا هذا. واللهُ العالمُ بحقيقة الحال.

نُسَخ الكتاب

لهذا الكتاب نسختان مخطوطتان، كِلاهما في «دار الكتب الظّاهريّة» بدمشق، الأُولى تامّة وقد اعتمدنا مصوّرةً لها في تحقيقنا هذا، والثّانية ناقصة مخرومةُ الأوّل والآخر، وفي ما يلي مواصفات كِلا النّسختين:

* **النّسخة الأُولى: رقمُها في المكتبة الظّاهريّة (٧٣٦٥).**

أوّلها: «قال الإمام أبو عبد الله، جعفر الصّادق بن محمّد بن عليّ زين العابدين بن الحسين الشّهيد بن عليّ بن

أبي طالب رضي الله عنهم: **مَنْ كَتَبَ سورَةَ البَقَرَةِ وَعَلَّقَها عَلَيْهِ زالَتْ عَنْهُ الأَوْجاعُ كُلُّها، وَإِنْ عُلِّقَتْ عَلى صَغيرٍ زالَتْ عَنْهُ الأَوْجاعُ وَهانَ عَلَيْهِ الفِطامُ، وَلَمْ يَخَفْ هَوامّاً بِإِذْنِ اللهِ تَعالى، وَإِنْ عُلِّقَتْ عَلى المَصْروعِ زالَ عَنْهُ الصَّرْعُ بِإِذْنِهِ تَعالى؛ وَفيها مِنَ المَنافِعِ ما لا حَدّ لَهُ وَلا نِهايَة»** .

آخرُها: «سورَةُ الفاتِحَةِ مَنْ قَرَأها في كُلِّ ساعَةٍ تُغْفَرُ [له] جَميعُ الذُّنوبِ. وَهِيَ لِكُلِّ مَرَضٍ يُقْرَأُ عَلَيْهِ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللهِ تَعالى. تمّ منافعُ القرآن العظيم» .

أوصافُها: «نسخةٌ من القرن الثّامن الهجريّ مكتوبةٌ بخطٍّ نُسَخيّ معتاد. أسماء السّوَر مكتوبةٌ بالأحمر. توجَد هذه النّسخة في مجموعٍ يَحوي منافعَ القرآن في المنام، ومنافع القرآن للتّميميّ».

والمجموع مفروط الأوراق. الورقة الأولى والورقتان الأخيرتان من المجموع مكتوبةٌ بخطٍّ مغايرٍ للأصل، على الورقة الأولى قيدُ تملُّك باسم محمّد بن محسود لطف الله، تاريخه سنة ١٠٠٩ للهجرة. وقيد تملُّك آخر باسم محمّد عطا الأيوبيّ، وثالث باسم محمّد سعيد الأيوبيّ، ثمّ مجموعة من الفوائد المختلفة. على الورقة الأخيرة، وقيد مطالعة باسم سليمان القادريّ تاريخه ١١٩٨، وقيود تملّك بأسماء أحمد مهدي بن محمّد الأيوبيّ، وآخر باسم محمّد أمين الأيوبيّ سنة ١١٩٥.

*** النّسخة الثّانية: رقمُها في المكتبة الظّاهريّة (٩٥٩٤).**

أوّلها: «في قرطاسٍ بمِسكٍ وماءِ وَرد. وجعلَها في أنبوبة قصَب ريحيّ قد قُطعت قبلَ طلوع الشّمس، وشُدَّت بشَمع، وعلّقَها على طِفل، أَمِنَ من الشّيطان ومن جَميعِ الحَوادث. سورة النّساء: عن جعفر الصّادق رضي الله عنه أنّ **مَن كتبَها وجعلَها في منزلٍ أربعينَ ليلة...»**.

آخرها: «سورةُ القارعة: إذا كُتبَت وعُلِّقت على مَن هو مقتّر الرّزق، رزقَه اللهُ».

أوصافها: «نسخةٌ من القرن العاشر الهجريّ، كُتبت بخطٍّ نسخيّ جيّد مشكول. أسماء السّوَر والفواصل بين الآيات مكتوبة بالذّهب. أُصيبت بالرّطوبة الشّديدة وبالتّلَف، وقد رُمّمت بعضُ الأوراق قديماً وبخاصّة في أوائلها وأواخرها».

وواضحٌ أنّ هذه النّسخة تختلفُ عن النّسخة المتقدّمة، لأنّ الحديثَين اللّذَين في (النّساء) و(القارعة) يخالفان من حيث اللّفظ متنَ الحديثَين في النّسخة الأُولى، كما أنّ المقطعَ الذي في أوّلها لم يرِد في النّسخة الأُولى، ممّا يدلّ على احتمال كَون هذه النّسخة هي المزيدة والمتضمّنة لأحاديث الإمام الصّادق عليه السّلام.

عملُنا في الكتاب

١) قام الأخ الشّيخ اللّبّان باستنساخ الكتاب عن مصوَّرةِ الأصل، واشترَكنا معاً بتَخريج أحاديث الكتاب باعتماد المصادر التي نقلتْ عنه أو عن نسختِه المزيدة، ولم نَجِد في بعض تلك المصادر تطابقاً تامّاً في ألفاظ الحديث، وخصوصاً كتاب (الجنّة الواقية) للشّيخ الكفعميّ، حيث أخرج مختصَراً منه يشتمل على مضامينه .

٢) قابلنا نسخة الأصل بنُقُول مؤلّفي المصادر عن كُتُب أُخرى، وخصوصاً نُقُول السّيّد البحرانيّ في كتاب (البرهان في تفسير القرآن) والتي تطابق ما جاء في كتابنا هذا في أغلب مواردها لفظاً ومحتوىً، وأثبتنا الاختلافات الضّروريّة في هامش الكتاب، ولم نُعوّل على المصادر إلّا في الموارد التي لا تساعدُ فيها نسخة الأصل .

٣) قطّعنا النّص، ورقّمنا الأحاديث بحسب الخواصّ الواردة في كلّ سورة .

٤) شرَحنا الغريبَ الوارد في الكتاب باعتماد أهمّ مصادر اللّغة .

٥) خلّصنا النّصّ من موارد التّصحيف والتّحريف، مع الإشارة إلى الأصل في هامش الكتاب .

الحِكَمُ الصّادقة

روائع من كلامِ الإمام جعفر الصّادق عليه السلام

الحسين بن محمّد الحلوانيّ*

يتضمّن النّص التّالي سبعين حكمةً ممّا ورد في الرّوايات عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام، وقد اقتُبست هذه الحِكَم من روائع ما وردَ عنه عليه السّلام في ميادين العبادة والسّياسة والاجتماع والأخلاق. وسيَظهر للقارئ العزيز إلى أيّ مدى يحتاج فيه الأفراد والجماعات في مجتمعاتنا الإسلاميّة، بل في المجتمع البشريّ بعامّة، إلى مثل هذه الأنوار الهادية إلى سبيل الصّلاح والنّجاة.

وفي ما يلي مختاراتٌ من هذه الرّوائع التي ارتَأينا أن نوردَها، على شكلٍ مُتَتالٍ، طبقاً لوقوعها في النّص الأصليّ للرّوايات.

«شعائر»

١- قال الإمام الصّادق عليه السّلام: «مَنْ تَطَأْطَأَ للسُّلْطانِ تَخَطّاهُ، وَمَنْ تَطاوَلَ عَلَيْهِ أَرْداهُ».

٢- وقال عليه السّلام: «الاسْتِرْسالُ إلى المُلوكِ مِنْ عَلامَةِ النُّوكِ [أي الحُمق]، وَالحَوائِجُ فُرَصٌ فَخُذوها عِنْدَ إِسْفارِ الوُجوهِ، وَلا تَعْرُضوا لَها عِنْدَ التَّعْبيسِ وَالتَّقْطيبِ».

٣- وقال عليه السّلام: «لَوْ عَلِمَ سَيِّءُ الخُلُقِ أَنَّهُ يُعَذِّبُ نَفْسَهُ لَتَسَمّحَ في خُلُقِهِ».

٤- وقال عليه السّلام: «ما ارْتَجَّ امْرُؤٌ، وَأَحْجَمَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ، وَأَعْيَتْ بِهِ الحِيَلُ، إِلّا كانَ الرِّفْقُ مِفْتاحَهُ».

٥- وقال عليه السّلام: «آفَةُ الدِّينِ العُجْبُ وَالحَسَدُ وَالفَخْرُ».

٦- وقال عليه السّلام: «مَنِ اعْتَدَلَ يَوْماهُ فَهُوَ مَغْبونٌ، وَمَنْ كانَ غَدُهُ شَرَّ يَوْمَيْهِ فَهُوَ مَفْتونٌ، وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّدِ النُّقْصانَ في نَفْسِهِ دامَ نَقْصُهُ، وَمَنْ دامَ نَقْصُهُ فَالمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ، وَمَنْ أَذْنَبَ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ كانَ للعَفْوِ أَهْلاً».

٧- وسُئل عليه السّلام عن الرّقّة؟ فقال عليه السّلام: «مَنْعُ اليَسيرِ، وَطَلَبُ الحَقيرِ». [في مصادر أخرى: طلبُ اليَسير، ومَنعُ الحقير، وردت تفسيراً من الإمام الحسن المجتبى عليه السّلام للدَّنيئة]

٨- وقال عليه السّلام: «لا تَكْمُلُ هَيْبَةُ الشَّريفِ إِلّا بِالتَّواضُعِ».

٩- وقال عليه السّلام: «لا يُحْفَظُ الدّينُ إِلّا بِعِصْيانِ الهَوى، وَلا يُبْلَغُ الرِّضا إِلّا بِخيفَةٍ أَوْ طاعَةٍ».

١٠- وقال عليه السّلام: «مَنْ كانَ الحَزْمُ حارِسَهُ، وَالصِّدْقُ جَليسَهُ، عَظُمَتْ بَهْجَتُهُ وَتَمّتْ مُروءَتُهُ، وَمَنْ كانَ الهَوى مالِكَهُ، وَالعَجْزُ راحَتَهُ، عاقاهُ عَنِ السَّلامَةِ، وَأَسْلَماهُ إِلى الهَلَكَةِ».

١١- قيل: وسأله بعضُ الملحدين، فقال: ما يفعلُ ربّك في هذه السّاعة؟ فقال عليه السّلام: «يَسُوقُ المَقاديرَ إِلى المَواقيتِ». وسأل آخر فقال: ما فعل ربّك؟ فقال عليه السّلام: «فَسَخَ العَزْمَ، وَكَشَفَ الغَمْرَ».

* من أعلام القرن الخامس، تلميذ الشّريف أبو يعلى الجعفريّ خليفة المفيد، والنّصّ من كتابه (نزهة النّاظر وتنبيه الخاطر).

١٢- وقال عليه السّلام: «اطْلُبوا العِلْمَ وَلَوْ بِخَوْضِ اللُّجَجِ، وَشَقِّ المُهَجِ».

١٣- وقال عليه السّلام: «جاهِلٌ سَخِيٌّ، أَفْضَلُ مِنْ ناسِكٍ بَخيلٍ».

١٤- وقال عليه السّلام: «ثَلاثَةٌ لا يُصيبونَ إلّا خَيْراً: أُولو الصَّمْتِ، وَتارِكو الشَّرِّ، وَالْمُكْثِرونَ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.. وَرَأْسُ الحَزْمِ التَّواضُعُ»، فقال له بعضُهم: وما التّواضع؟ قال عليه السّلام: «أَنْ تَرْضى مِنَ المَجْلِسِ بِدونِ شَرَفِكَ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلى مَنْ لَقِيتَ، وَأَنْ تَتْرُكَ المِراءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً».

١٥- وسُئل عليه السّلام عن فضيلةٍ لأمير المؤمنين، صلوات الله وسلامه عليه، لم يَشرَكْهُ فيها غيرُه، فقال عليه السّلام: «فَضَلَ الأَقْرَبينَ بِالسَّبْقِ، وَسَبَقَ الأَبْعَدينَ بِالقَرابَةِ».

١٦- وقال عليه السّلام: «خُذْ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِطَرَفٍ، تُرَوِّحُ بِهِ أَمْرَكَ، وَتُرَوِّحُ بِهِ قَلْبَكَ».

١٧- وقال عليه السّلام: «المُؤْمِنُ الذي إذا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ مِنْ حَقٍّ، وَإِذا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضاهُ في باطِلٍ، وَالذي إذا قَدَرَ لَمْ يَأْخُذْ أَكْثَرَ مِمّا لَهُ».

١٨- وقال عليه السّلام: «امْتَحِنْ أَخاكَ عِنْدَ نِعْمَةٍ تَتَجَدَّدُ لَكَ، أَوْ نائِبَةٍ تَنوبُكَ».

١٩- وقال عليه السّلام: «مِنْ حَقِّ أَخيكَ أَنْ تَحْتَمِلَ لَهُ الظُّلْمَ في ثَلاثَةِ مَواقِفَ: عِنْدَ الغَضَبِ، وَعِنْدَ الذِّلَّةِ، وَعِنْدَ الهَفْوَةِ».

٢٠- وقال عليه السّلام: «مَنْ ظَهَرَ غَضَبُهُ ظَهَرَ كَيْدُهُ، وَمَنْ قَوِيَ هَواهُ ضَعُفَ حَزْمُهُ».

٢١- وقال عليه السّلام: «مَنْ أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ رُضِيَ حَكَماً لِغَيْرِهِ».

٢٢- وقال عليه السّلام: «مَنْ لَمْ يُقَدِّمِ الامْتِحانَ قَبْلَ الثِّقَةِ، وَالثِّقَةَ قَبْلَ الأُنْسِ، أَثْمَرَتْ مُروءَتُهُ نَدَماً».

٢٣- وقال عليه السّلام: «لا تَتَّبِعْ أَخاكَ بَعْدَ القَطيعَةِ وَقيعَةً فيهِ، فَتَسُدَّ عَلَيْهِ طَريقَ الرُّجوعِ إِلَيْكَ، وَلَعَلَّ التَّجارِبَ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيْكَ».

٢٤- وقال عليه السّلام: «لَحْظُ الإِنْسانِ طَرَفٌ مِنْ خَبَرِهِ».

٢٥- وقال عليه السّلام: «أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ هَواكَ».

٢٦- وقال عليه السّلام: «العُجْبُ يَكْلِمُ [أي يجرح] المَحاسِنَ، وَالحَسَدُ للصَّديقِ مِنْ سُقْمِ المَوَدَّةِ، وَلَنْ تَمْنَعَ النّاسَ مِنْ عِرْضِكَ إِلّا بِما تَنْشُرُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلِكَ».

٢٧- وقيل له عليه السّلام: بمَ يُداوى الحرص؟ فقال عليه السّلام: «لَنْ تَنْتَقِمَ مِنْ حِرْصِكَ بِمِثْلِ القَناعَةِ».

٢٨- وكان عليه السّلام يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ بِما أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ (مِنَ) العَفْوِ، أَوْلى مِنِّي بِما أَنا لَهُ أَهْلٌ مِنَ العُقوبَةِ».

٢٩- وقال عليه السّلام: «اسْتَحِ مِنَ اللهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ، وَخَفْهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ».

٣٠- وقال عليه السّلام: «كِتابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْياءَ: عَلى العِبارَةِ، وَالإِشارَةِ، وَاللَّطائِفِ، وَالحَقائِقِ، فَالعِبارَةُ للعَوامِّ، وَالإِشارَةُ للخَواصِّ، وَاللَّطائِفُ لِلأَوْلِياءِ، وَالحَقائِقُ لِلأَنْبِياءِ».

٣١- وقال عليه السّلام: «مَنْ سَأَلَ فَوْقَ قَدْرِهِ اسْتَحَقَّ الحِرْمانَ».

٣٢- وقال عليه السّلام: «العِزُّ أَنْ تَذِلَّ للحَقِّ إِذا أَلْزَمَكَ».

٣٣- وقال عليه السّلام: «صَلاحُ مَنْ جَهِلَ الكَرامَةَ في هَوانِهِ».

٣٤- وقال عليه السّلام: «**المُؤمِنُ مَن يُدَارِي، وَلَا يُمَارِي**».

٣٥- وقال عليه السّلام: «**مَنْ أَكْرَمَكَ فَأَكْرِمْهُ، وَمَنْ اسْتَخَفّ بِكَ فَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْهُ**».

٣٦- وقال البراديّ: قلت للمفيد الجرجرائيّ: رُوي عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال: «**الحَزْمُ سوءُ الظَّنِّ**». ورُوي عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه قال: «**مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ رَوَّحَ قَلْبَه**». فما هذه المضادّة؟

قال: يريدون بسوء الظّنّ أن لا تَستنيم [أي لا تستريح] إلى كلّ أحَد، فتودعَه سرَّك وأمانتَك، ويريدون بحُسن الظّنّ أن لا تُسيءَ ظنَّك بأحدٍ أظهرَ لك نُصحاً، وقال لك جميلاً، وصحَّ عندك باطنُه، وهو مثلُ قولِهم: «**احمِلْ أمرَ أخيكَ عَلى أحسَنِه، حتّى يبدوَ لكَ ما يغلبُك عليه**».

٣٧- وقال عليه السّلام: «**مِنْ أَخْلاقِ الجاهِلِ الإِجابَةُ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ، وَالْمُعارَضَةُ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ، وَالحُكْمُ بِما لا يَعْلَمُ**».

٣٨- وقال عليه السّلام: «**مِنْ أَدَبِ الأَديبِ دَفْنُ أَدَبِهِ**». [هكذا في المصدر، ولم نعثر عليها في غيره، وقد وجّهها بعض الباحثين بأنّ على الأديب ألّا يُبالغ في إظهار أدبه، من قبيل قولهم: البلاغةُ الإيجاز]

٣٩- وقال عليه السّلام: «**سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ، فَلا يَجْرِيَنَّ في غَيْرِ أَوْداجِكَ**».

٤٠- وقال عليه السّلام: «**صَدْرُكَ أَوْسَعُ لِسِرِّكَ**».

٤١- وقال عليه السّلام: «**أَوْلى النّاسِ بِالعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلى العُقوبَةِ، وَأَنْقَصُ النّاسِ عَقْلاً مَنْ ظَلَمَ مَنْ دونَهُ، وَمَن لَمْ يَصْفَحْ عَمَّنْ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ**».

٤٢- وقال عليه السّلام: «**القادِرُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ سُلْطانٌ**».

٤٣- وقال عليه السّلام: «**المُسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ مَوقوفٌ عَلى مَداحِضِ الزَّلَلِ**».

٤٤- وقال عليه السّلام: «**حِشْمَةُ الانْقِباضُ أَبْقى لِلعِزِّ مِنْ أُنْسِ التَّلاقِ**».

٤٥- وقال عليه السّلام: «**إِيّاكَ وَسَقْطَةَ الاسْتِرْسالِ، فَإِنَّها لا تُسْتَقالُ**».

٤٦- وقال عليه السّلام: «**القُرْآنُ أَنيقٌ، وَباطِنُهُ عَميقٌ**».

٤٧- وقال عليه السّلام: «**الهَوى يَقْظانُ، وَالعَقْلُ نائِمٌ**».

٤٨- وقال عليه السّلام: «**لا تَكونَنَّ أَوَّلَ مُشيرٍ، وَإِيّاكَ وَالرَّأْيَ الفَطيرَ** [الفطير: كلّ شيء أعجلتَه عن إدراكه]، **وَتَجَنَّبِ ارْتِجالَ الكَلامِ، وَلا تُشِرْ عَلى مُسْتَبِدٍّ بِرَأْيِهِ، وَلا عَلى وَغْدٍ، وَلا عَلى مُتَلَوِّنٍ، وَلا عَلى لَجوجٍ. وَخَفِ اللهَ في مَواقِعِ هَوَى المُسْتَشيرِ، فَإِنَّما التِماسُ مُوافَقَتِهِ لُؤْمٌ، وَسوءُ الاسْتِماعِ مِنْهُ جِنايَةٌ**».

٤٩- وكان عليه السّلام يقول في سُجوده: «**اللَّهُمَّ احْفَظْ إِقْرارِي لَكَ بِالوَحْدانِيَّةِ، وَإِقْرارِي إِيّاكَ بِالعبادَةِ، وَرَجائِي لَكَ في الشِّدَّةِ**».

٥٠- وقال عليه السّلام: «**إِنَّ القَلْبَ يَحْيا وَيموتُ، فَإِذا حَيَّ فَأَدِّبْهُ بِالتَّطَوُّعِ، وَإِذا ماتَ فَاقْصِرْهُ عَلى الفَرائِضِ**».

٥١- أنفذ أبو عبد الله كاتبُ المهديّ رسولاً إلى الصّادق عليه السّلام بكتابٍ منه يقول فيه: وحاجتي إلى أن تهدي إليّ من تبصيرِك على مداراةِ هذا السّلطان، وتدبير أمري، كحَاجتي إلى دعائك لي.

فقال عليه السّلام لرسوله: قُل له: «**احْذَرْ أَنْ يَعْرِفَكَ السُّلْطانُ بِالطَّعْنِ عَلَيْهِ في اخْتِيارِ الكُفاةِ، وَإِنْ أَخْطَأَ في**

اخْتِيارِهِمْ، أَوْ مُصافاةِ مَنْ يُباعِدُ مِنْهُمْ وَإِنْ قَرُبَتِ الأَواصِرُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّ الأُولى تُغْرِيهِ بِكَ، وَالأُخْرى تُوحِشُهُ مِنْكَ، وَلَكِنْ تَتَوَسَّطُ في الحالَيْنِ. وَاكْتَفِ بِعَيْبِ مَنِ اصْطَفَوْا لَهُ [أي من اصطفاهم السّلطان]، وَالإمْساكِ عَنْ تَقْرِيظِهِمْ عِنْدَهُ، وَمُخالَفَةِ (وَمُخالَطَة) مَنْ أُقْصوا بِالتَّنائي عَنْ تَقْرِيبِهِمْ.

وَإِذا كِدْتَ فَتَأَنَّ في مُكايَدَتِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ عَنَّفَ بِخَيْلِهِ كَدَحَتْ فيهِ بِأَكْثَرَ مِنْ كَدْحِها في عَدُوِّهِ، وَمَنْ صَحِبَ خَيْلَهُ بِالصَّبْرِ وَالرِّفْقِ كانَ قَمِناً [أي خليقاً وجديراً] أَنْ يَبْلُغَ بِها إرادَتَهُ، وَتَنْفُذَ فيها مِكائِدُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً، فَإِنْ جاوَزَهُ كانَ سَرَفاً، وَإِنْ قَصُرَ عَنْهُ كانَ عَجْزاً، فَلا تَبْلُغْ بِكَ نَصيحَةُ السُّلْطانِ إِلى أَنْ تُعادِيَ لَهُ حاشِيَتَهُ وَخاصَّتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَلَكِنَّ الأَقْضى لِحَقِّهِ، وَالأَدْعى إِلَيْكَ لِلسَّلامَةِ أَنْ تَسْتَصْلِحَهُمْ جُهْدَكَ، فَإِنَّكَ إِذا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَكَرْتَ نِعْمَتَهُ، وَأَمِنْتَ حُجَّتَهُ، وَطَلَبَ عَدُوُّهُ عِنْدَكَ (عَدُوِّكَ عِنْدَه).

وَاعْلَمْ أَنَّ عَدُوَّ سُلْطانِكَ عَلَيْكَ أَعْظَمُ مَؤونَةً مِنْهُ عَلَيهِ (عليكَ)، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَكيدُهُ في الأَخَصِّ مِنْ كُفاتِهِ وَأَعْوانِهِ، فَيُحْصي مَثالِبَهُم وَيَبْلُغُ آثارَهُم، فَإِنْ نَكَأَهُ فيكَ وَسَمَكَ بِعارِ الخِيانَةِ وَالغَدْرِ، وَإِنْ نَكَأَهُ بِغَيْرِكَ أَلْزَمَكَ مَؤونَةَ الوَفاءِ وَالصَّبْرِ».

٥٢- وقال عليه السّلام: «يُهْلِكُ اللهُ سِتّاً بِسِتٍّ: الأُمَراءَ بِالجَورِ، وَالعَرَبَ بِالعَصَبِيَّةِ، وَالدَّهاقينَ بِالكِبَرِ، وَالتُّجّارَ بِالخِيانَةِ، وَأَهْلَ الرُّسْتاقِ [الرُّستاق والرُّزداق: أطراف المناطق والقرى، معرّب] بِالجَهالَةِ، وَالفُقَهاءَ بِالحَسَدِ».

٥٣- وقال عليه السّلام: «لا تُحَدِّثْ مَنْ تَخافُ أَنْ يُكَذِّبَكَ، وَلا تَسْأَلْ مَنْ تَخافُ أَنْ يَمْنَعَكَ، وَلا تَأْمَنْ مَنْ تَخافُ أَنْ يَغْدُرَ بِكَ. وَمَنْ لَمْ يُواخِ إِلّا مَنْ لا عَيْبَ فيهِ قَلَّ صَديقُهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنْ صَديقِهِ إِلّا بِإيثارِهِ إِيّاهُ عَلى نَفْسِهِ دامَ سَخَطُهُ، وَمَنْ عاتَبَ عَلى كُلِّ ذَنْبٍ كَثُرَ تَعَبُهُ».

٥٤- وقال عليه السّلام: «دِراسَةُ العِلْمِ لِقاحُ المَعرِفَةِ، وَطولُ التَّجارِبِ زِيادَةٌ في العَقْلِ، وَالشَّرَفُ التَّقْوى، والقُنوعُ راحَةُ الأَبْدانِ».

٥٥- وقال عليه السّلام: «مُرُوَّةُ الرَّجُلِ في نَفْسِهِ نَسَبٌ لِعَقِبِهِ وَقَبيلَتِهِ».

٥٦- وقال عليه السّلام: «مَن صَدَقَ لِسانُهُ زَكا عَمَلُهُ، وَمَنْ حَسُنَتْ نِيَّتُهُ زِيْدَ في رِزْقِهِ، وَمَنْ حَسُنَ بِرُّهُ بِأَهْلِ بَيْتِهِ زيدَ في عُمُرِهِ».

٥٧- وقال عليه السّلام: لبَعض شيعته يُوصيه، لَمّا أخبره أن السّلطان قد قبلَه وأقبلَ عليه:

«اعْلَمْ أَنَّ التَّشاغُلَ بِالصَّغيرِ يُخِلُّ بِالْمُهِمِّ. وَإِفْرادَ الْمُهِمِّ بِالشُّغْلِ يَأْتي عَلَى الصَّغيرِ وَيُلْحِقُهُ بِالكَبيرِ. وَإِنَّما يُمْنى بِهاتَيْنِ الخَلَّتَيْنِ السُّلْطانُ الذي تَحمِلُهُ قِلَّةُ الثِّقةِ عَلى تَرْكِ الاسْتِكْفاءِ، فَيكونُ كَالنَّهرِ بَيْنَ الأَنْهارِ الصِّغارِ، تَتَفَجَّرُ إِلَيْهِ عِظامُ الأَوْدِيَةِ، فَإِنْ تَفَرَّدَ بِحَمْلِ ما تُؤَدّي إِلَيْهِ لَمْ يَلبَثْ أَنْ يَغْمُرَهُ فَيَعودَ نَفْعُهُ ضَرَراً، فَإِن تَشَعَّبَتْهُ مَجارٍ تَعْلَقُ بِهِ، حَمَلَ بَعضُهُ بَعْضاً، فَعادَ جَنابُهُ خَصْباً. فَابْدَأْ بِالْمُهِمِّ، وَلا تَنْسَ النَّظَرَ في الصَّغيرِ، وَاجْعَلْ لِلأُمورِ الصِّغارِ مَنْ يَجْمَعُها وَيَعْرِضُها عَلَيكَ دُفْعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ عَلى كَثْرَتِها وَقِلَّتِها، وَانْصِبْ نَفْسَكَ لِشُغْلِ اليَومِ قَبلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ شُغْلُ غَدٍ، فَيَمْتَلِئَ النَّهْرُ الذي قَدَّمْتُ ذِكْرَهُ. وَتَلَقَّ كُلَّ يَوْمٍ بِفَراغِكَ فيما قَدْ رَسَمْتَهُ لَهُ مِنَ الشُّغْلِ في أَمْسِ. وَرَتِّبْ لِكُفاتِكَ في كُلِّ يَوْمٍ ما يَعمَلونَهُ في غَدٍ. فَإِذا كانَ في غَدٍ فَاسْتَعرِضْ مِنْهُمْ ما رَتَّبتَهُ لَهُمْ بِالأَمْسِ، وَأَخْرِجْ إِلى كُلِّ واحِدٍ بِما يوجِبُهُ فِعلُهُ مِن كِفايةٍ أَوْ عَجْزٍ، فَامْحُ العاجِزَ وَأَثْبِتِ الكافي. وشَيِّعْ جَميلَ الفِعْلِ بِجَميلِ القَوْلِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَستَميلَ العاقِلَ بِمِثْلِ الإِحْسانِ. وَاجْعَلْ إِحْسانَكَ إِلى الْمُحْسِنِ تُعاقِبُ بِهِ الْمُسيءَ؛ فَلا عُقوبَةَ لِلمُسيءِ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يَراكَ قَدْ أَحْسَنْتَ إِلى غَيْرِهِ وَلَمْ تُحْسِنْ إِلَيْهِ، وَلا سِيَّما إِنْ كانَ ذَلِكَ مِنْكَ بِاسْتِحْقاقٍ؛ فَإِنَّ الْمُسْتَحِقَّ يَزيدُ فيما هُوَ عَلَيْهِ، وَالْمُقَصِّرَ يَنْتَقِلُ عَمّا هُوَ فيهِ. وَمِلاكُ أَمْرِ السُّلْطانِ مُشاوَرَةُ النُّصَحاءِ، وَحِراسَةُ شَأْنِهِمْ، وَتَرْكُ الِاسْتِقْراءِ (الاسْتِفْزازِ)، وَاسْتِثْباتُ الأُمورِ».

٥٨- وقال عليه السّلام: «تَأْخيرُ التَّوْبَةِ اغْتِرارٌ، وَطولُ التَّسْويفِ حَيْرَةٌ، وَالِاعْتِلالُ عَلَى اللهِ هَلَكَةٌ، وَالإِصْرارُ [عَلَى الذَّنْبِ] أَمْنٌ، وَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلّا القَوْمُ الخاسِرونَ».

٥٩- وروي أنّه عليه السّلام قال، وقد قيلَ بمجلسه: جاورْ مَلِكاً أو بَحراً. فقال عليه السّلام: «هَذا كَلامٌ مُحالٌ، وَالصَّوابُ: لا تُجاوِرْ مَلِكاً وَلا بَحْراً؛ لِأَنَّ المَلِكَ يُؤْذيكَ، وَالبَحْرَ لا يَرْويكَ».

٦٠- وقال عليه السّلام لزُرارة بن أعين: «يا زُرارَةُ، أُعْطيكَ جُمْلَةً في القَضاءِ والقَدَرِ؟»، قال زرارة: نعم جُعِلتُ فداك. قال عليه السّلام: «إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ وَجَمَعَ اللهُ الخَلائِقَ، سَأَلَهُمْ عَمّا عَهِدَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَسأَلْهُمْ عَمّا قَضى عَلَيْهِمْ».

٦١- وروى حريز بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السّلام، أنه قال: «النّاسُ في القَدَرِ عَلى ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ: رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ تَعالى أَجْبَرَ خَلْقَهُ عَلَى المَعاصي، فَهَذا قَدْ أَظْلَمَ اللهَ تَعالى في حُكْمِهِ، فَهُوَ كافِرٌ. ورَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ الأَمْرَ مُفَوَّضٌ إِلَيْهِمْ، فَهَذا أَوْهَنُ في سُلْطانِ اللهِ، فَهُو مُنافِقٌ. وَرَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ تَعالى كَلَّفَ العِبادَ ما يُطيقونَ، ولَم يُكَلِّفْهُمْ ما لا يُطيقونَ، فَإِذا أَحْسَنَ حَمِدَ اللهَ، وَإِذا أَساءَ اسْتَغْفَرَ اللهَ تَعالى، فَهُوَ مُسْلِمٌ بالِغٌ».

٦٢- وقال عليه السّلام لهشام بن الحكَم: «إِنَّ اللهَ لا يُشْبِهُ شَيْئاً، وَلا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَكُلُّ ما وَقَعَ في الوَهْمِ فَهُوَ بِخِلافِهِ».

٦٣- وقال عليه السّلام: «ما كُلُّ مَنْ أَرادَ شَيْئاً قَدَرَ عَلَيهِ، ولا كُلُّ مَنْ قَدَرَ عَلى شَيْءٍ وُفِّقَ لَهُ، ولا كُلُّ مَنْ وُفِّقَ أَصابَ لَهُ مَوْضِعاً، فَإِذا اجْتَمَعَتِ النِّيَّةُ وَالقُدْرَةُ وَالتَّوْفيقُ وَالإِصابَةُ، فَهُناكَ تَجِبُ السَّعادَةُ».

٦٤- وقال عليه السّلام: «مَنْ أَمَّلَ رَجُلاً هابَهُ، وَمَنْ قَصَرَ عَن شَيْءٍ عابَهُ».

٦٥- وقال عليه السّلام: «لا يَزالُ العِزُّ قَلِقاً حَتّى يَدْخُلَ داراً قَدْ أَيِسَ أَهْلُها مِمّا في أَيدي النّاسِ، فَيُوطِنُها».

٦٦- وقال عليه السّلام: «إِنّ الزُّهّادَ في الدُّنْيا نورُ الجَلالِ عَلَيهِم، وَأَثَرُ الخِدْمَةِ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ، وَكَيْفَ لا يَكونونَ كَذلِكَ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْقَطِعُ إِلى بَعْضِ مُلوكِ الدُّنْيا فَيُرَى أَثَرُهُ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ لِمَنْ يَنقَطِعُ إِلى مَلِكِ المُلوكِ لا يُرَى أَثَرُهُ عَلَيْهِ؟».

٦٧- وقال عليه السّلام: «صِلَةُ الرَّحِمِ تُهَوِّنُ الحسابَ يَوْمَ القِيامَةِ؛ قالَ اللهُ تَبارَكَ وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ الرّعد: ٢١».

٦٨- وقال عليه السّلام: «ما مِنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن رَجُلٍ سَلَفَت مِنّي إِلَيْهِ يَدٌ أَتْبَعْتُها أُخْتَها، وَأَحْسَنْتُ رَبَّها، لِأَنّي رَأَيْتُ مَنْعَ الأَواخِرِ يَقطَعُ لِسانَ شُكْرِ الأَوائِلِ». [في بحار الأنوار: وأحسنتُ ربَّها: أي تربيتها بعَدم المنع بعد ذلك العطاء..]

٦٩- وقال عليه السّلام: «يَنْبَغي للمُؤْمِنِ أَنْ يَكونَ فيهِ ثَمانُ خِصالٍ: وَقورٌ عِندَ الهَزاهِزِ، صَبورٌ عِنْدَ البَلاءِ، شَكورٌ عِنْدَ الرَّخاءِ، قانِعٌ بِما رَزَقَهُ اللهُ، لا يَظْلِمُ الأَعْداءَ، ولا يَتَحامَلُ للأَصْدِقاءِ، بَدَنُهُ مِنْهُ في تَعَبٍ، والنّاسُ مِنْهُ في راحةٍ».

٧٠- وقال عليه السّلام: «إِنَّ العِلْمَ خَليلُ المُؤْمِنِ، وَالحِلمَ وَزيرُهُ، وَالعَقلَ أَميرُ جُنودِهِ، والرِّفْقَ أَخوهُ، وَالبِرَّ والِدُهُ».

فاضلة الرجال قبل أن تقولوا

ألا أَحْبُوكَ كلمات؟

من أدعية الفرَج، والاحتجاب

إعداد: «شعائر»

تحفلُ مُصنّفات الحديث والفقه برواية الأدعية المُختلفة، وبيان مَعانيها، وتَبويبها وفق موضوعاتها، ومن ذلك الأدعية الواردة تحت عنوان: «أدعية الفَرَج»، أو «أدعية الفَرَج ودَفْع الأعداء ورَفْع الشّدائد»، وهي كثيرة، اخترنا منها ثلاثة؛ مرويّة عن رسول الله، صلّى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين، عليه السّلام، وعن الإمام الصّادق، عليه السّلام.

أَخلِص ضميرَك، وادعُ بهذا الدّعاء

«جاء رجلٌ إلى النّبيّ ﷺ، وقال: يا رسولَ الله، إنّي كنتُ غنيّاً فافتقرتُ، وصَحيحاً فمرضتُ، وكنتُ مقبولاً عند النّاس فصرتُ مَبغوضاً، وخفيفاً على قلوبهم فصرتُ ثقيلاً، وكنت فَرْحانَ فاجتَمَعَت عَلَيَّ الهموم، وقد ضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبت، وأجولُ طولَ نهاري في طلبِ الرّزق فلا أَجِدُ ما أتقوّتُ به، كأنّ اسمي قد مُحِيَ من ديوان الأرزاق. (...) فقال له النّبيّ ﷺ:

اتَّقِ اللهَ وَأَخْلِصْ ضَمِيرَكَ، وَادْعُ بِهَذا الدُّعاءِ، وَهُوَ دُعَاءُ الفَرَجِ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، إِلَهي طُمُوحُ الآمَالِ قَد خَابَتْ إِلَّا لَدَيْكَ، ومَعاكِفُ الهِمَمِ قَدْ تَقَطَّعَتْ إِلَّا عَلَيْكَ، وَمَذاهِبُ العُقولِ قَدْ سَمَت (سُدَّتْ) إِلَّا إِلَيْكَ، فَإِلَيْكَ الرَّجاءُ، وَإِلَيْكَ المُلْتَجَأُ، يا أَكْرَمَ مَقْصودٍ، وَيا أَجْوَدَ مَسْؤولٍ، هَرَبْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسي يا مَلْجَأَ الهَارِبينَ، بِأَثْقالِ الذُّنوبِ أَحْمِلُها عَلى ظَهْري، وَلا أَجِدُ لي شَافِعاً، سِوَى مَعْرِفَتي بِأَنَّكَ أَقْرَبُ مَنْ رَجاهُ الطَّالِبونَ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ المُضْطَرُّون، وَأَمَّلَ ما لَدَيْهِ الرَّاغِبونَ.

يا مَنْ فَتَقَ العُقُولَ بِمَعْرِفَتِهِ، وَأَطْلَقَ الأَلْسُنَ بِحَمْدِهِ، وَجَعَلَ ما امْتَنَّ بِهِ عَلى عِبَادِهِ كَفَاءً (كِفَايَةً) لِتَأْدِيَةِ حَقِّهِ، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، ولا تَجْعَلْ لِلهُمومِ عَلى عَقْلي سَبيلاً، ولا لِلبَاطِلِ عَلى عَمَلي دَليلاً، وَافتَحْ لي بِخَيْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ يا وَلِيَّ الخَيْرِ.

فلمّا دعا به الرّجلُ وأخلصَ نيّتَه، عادَ إلى أحسنِ حالاته».

(مستدرك الوسائل، المحدّث النّوريّ)

ألا أحبوك كلماتٍ؟

«..عن عبد الله بن جعفر، قال: قال لي عمّي عليُّ بن أبي طالب عليه السّلام: **أَلا أَحبُوكَ كَلِماتٍ، وَاللهِ ما حَدَّثْتُ بِها حَسَناً وَلا حُسَيْناً، إِذا كانَتْ لَكَ إِلى اللهِ حاجَةٌ تُحِبُّ قَضاها، فَقُل: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَما فيهِنَّ وَما بَيْنَهُنَّ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ مَلِكٌ مُقْتَدِرٌ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَا تَشَاءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ)، ثمّ تسأل حاجتَك».**

(المحاسن، البرقي)

دعاءُ الحجاب من جَميع الأعداء

«دعاء الحجاب هذا، هو الّذي احتجبَ به الإمام الصّادق عليه السلام لمّا بعث المنصور [العبّاسيّ] إليه، إلى المدينة، ليقتلَه في المرّة التّاسعة، وهو:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ الإسراء:٤٥-٤٦، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِالاسْمِ الَّذِي بِهِ تُحْيِي وَتُمِيتُ، وَتَرْزُقُ وَتُعْطِي وَتَمْنَعُ، يَا ذَا الجَلالِ والإكرامِ، أَللَّهُمَّ مَنْ أَرادَنا بِسُوءٍ مِنْ جَميعِ خَلْقِكَ فَأَعْمِ عَنَّا عَيْنَهُ، وَاصْمُمْ عنَّا سَمْعَهُ، وَاشْغَلْ عَنَّا قَلْبَهُ، وَاغْلُلْ عنَّا يَدَهُ وَاصْرِفْ عَنَّا كَيْدَهُ، وَخُذْهُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ تَحْتِهِ، وَمِنْ فَوْقِهِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرامِ.

قال موسى [الإمام الكاظم] عليه السلام: **قالَ أبي عَلَيْهِ السَّلامُ: إِنَّهُ دُعاءُ الحِجابِ مِن جَميعِ الأَعْداءِ».**

(مهج الدّعوات، السّيّد ابن طاوس)

مناجاة مع الإمام صاحب العصر والزّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

أَنْتَ المرادُ في دعاء السَّحَر

آية الله الملَكي التّبريزي قدس سره

«أللَّهُمَّ إنَّ هَذا الْمَقامَ لِخُلَفائِكَ وَأَصْفِيائِكَ، وَمَواضِعَ أُمَنائِكَ في الدَّرَجَةِ الرَّفيعَةِ الَّتي اخْتَصَصْتَهُمْ بِها، قَدِ ابْتُزُّوها..».

من وَحي هذه الفجيعة الّتي يُعلنها الإمام السّجّاد عليه السلام في دعائه يومَ الجمعة ويومَ الأضحى، يستحضر آية الله الملَكيّ التّبريزيّ، في كتابه (المراقبات)، يُتْمَ الموالي الصّادق وغربتَه لفَقد إمامه الغائب، حين يخرج لصلاة العيد، ننقل بعضاً ممّا سطّره يَراعُه بتصرّفٍ يسير.

إذا أَرَدْتَ أَنْ تَخْرُجَ إلى صَلاةِ العيدِ مَع إمامٍ، أَوْ كُنْتَ أَنْتَ إماماً للنّاسِ، فَعَلَيْكَ أنْ لا تَغْفلَ عَمّا وَرَدَ عَلَيْكَ مِنَ المُصيبَةِ بِغَيْبَةِ إمامِ زَمانِكَ، حَيْثُ إنَّ صَلاةَ العيدِ حَقُّهُ الخاصُّ بِهِ، وَهِيَ مِنْ مَقاماتِهِ المَعْروفَةِ.

فَانْظُرْ إلى ما صارَ الحالُ إلَيْهِ حَتّى اسْتُبْدِلَتِ الصَّلاةُ مَعَ الإمامِ عليه السلام، بِالصَّلاةِ مَعَكَ وَأَمْثالِكَ، وَتَفَكَّرْ في زَمَنِ حُضورِهِ، وَاجْتِماعِ المُؤْمِنينَ لِصلاتِهِ، وَصَلاتِهِمْ مَعَهُ، وَقَدِّرْ في نَفْسِكَ كَيْفَ يَكونُ حالُ المُؤْمِنِ إذا كانَ الخَطيبُ إمامَهُ، يُعاينُ جَمالَهُ، وَيَسْمَعُ كَلامَهُ، وَيَتَلَقّى مِنْ عُلومِهِ.

ثُمَّ انْظُرْ إلى ما وَرَدَ في الأَخْبارِ مِنْ بَرَكاتِ زَمَنِ حُضورِهِ وَأَنْوارِهِ، وَنَشْرِ العَدْلِ، وَطَيِّ الجَوْرِ وَالبَغْيِ، وَعِزَّةِ الإسْلامِ، وَحُرْمَةِ القُرآنِ، وَرَواجِ الإيمانِ، وَتَكْميلِ العُقولِ، وَتَزْكِيَةِ القُلوبِ، وَتَحْسينِ الأَخْلاقِ، وَرَفعِ الشِّقاقِ، وَدَفْعِ النِّفاقِ. فَنادِهِ بِعالي صَوْتِكَ، وَتَوَجَّهْ بِلِسانِ شَوْقِكَ إلى مُقَدَّسِ حَضْرَتِهِ: «**هَلْ إلَيْكَ يا ابْنَ أَحْمَدَ سَبيلٌ فَتُلْقى؟! مَتى يَتَّصِلُ يَوْمُنا مِنْكَ بِعِدَةٍ فَنَحْظى، مَتى نَرِدُ مِناهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرْوى، مَتى نَنْتَقِعُ مِنْ عَذْبِ مائِكَ فَقَدْ طالَ الصَّدى؟**».

مَوْلاي، يا سَيِّدي، مَتى تَرانا وَنَراكَ، وَقَدْ نَشَرْتَ لِواءَ النَّصْرِ..؟

مَوْلاي، مَتى تَرانا وَنَراكَ فَتَقِرَّ عُيونُنا بِزيارَتِكَ، وَنَهْتَدِيَ بِهُداكَ، فَتُخْبِرَنا عَمّا أَشْكَلَ عَلَيْنا مِنْ حَقائِقِ الأُمورِ، وَتَنْحَلَّ عَلى يَدَيْكَ المُسْتَعْصِياتُ مِنَ المُشْكِلاتِ، وَتَرْتَفِعَ بِكَ الجَهالاتُ، وَتَتِمَّ الكَمالاتُ؟

سَيِّدي وَمَوْلاي، يا أَمَلي وَرَجائي، لَيْتَ شِعْري إلامَ تصيرُ عاقِبَةُ أَمْري؟ أَتَقَرُّ عَيْني بِنورِ جَمالِكَ، وَأُرْوى مِنْ عَذبِ وِصالِكَ، أَمْ أَذْهَبُ بِهَذِهِ الغُصَصِ إلى قَبْري، فَأَموتُ بِغُصَّةٍ بَعْدَ غُصَّةٍ، وَبِحَسْرَةٍ بَعْدَ حَسْرَةٍ؟

سَيِّدي لَوْلا ما بَلَغَنا مِنْ أَنَّ الفَرَجَ يَأتي بَعْدَ الشِّدَّةِ، لَكانَتْ هَذِهِ الشَّدائِدُ أَشَدَّ مِنْ أَنْ تَتَحَمَّلَها قُلوبُنا وَنُفوسُنا، وَلَكِنْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّها مِنْ عَلائِمِ الفَرَجِ، يَهونُ عَلَيْنا، بَلْ رُبَّما نَشْتاقُ إلَيْها لِنَصِلَ بِها إلَيْكُمْ.

سَيِّدي قَدْ طالَتِ المُدَدُ، وَمُدَّ الأَمَدُ، نَنْتَظِرُ أَمْرَكُمْ، وَنَحْيا بِذِكْرِكُمْ، وَنَتَرَقَّبُ آثارَ ظُهورِكُمْ.

سَيِّدي! اشْتَدَّ الأَمْرُ، وَكَثُرَ الظُّلْمُ وَالجَوْرُ، وَ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..﴾ الروم:٤١، وَلَمْ يُرَ، مِثْلَ اليَوْمِ، فَسادٌ في الأَرْضِ؛ بَرِّها وَبَحْرِها.

..أيا ويحَ قَلبي!

سَيِّدي إذا تَفَكَّرْتُ في وِصالِكَ، وَلَذَّةِ لِقائِكَ، وَتَأَمَّلْتُ في أَحْوالِ مَنْ قَرَّبْتَهُمْ مِنْ جِوارِكَ، وَفَتَحْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ إفْضالِكَ، وَشَرَّفْتَهُمْ بِرُؤْيَةِ جَمالِكَ، وَأَكْرَمْتَهُمْ بِتَعْليمِكَ، وَمَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ سَقَيْتَهُمْ مِنْ كَأْسِ التَّوْحيدِ، وَشَرَّفْتَهُمْ بِمَقامِ الجَمْعِ مَعَ أَهْلِ التَّوْحيدِ، كادَ أَنْ يَنْصَدِعَ قَلْبي مِنَ الحَسْرَةِ، وَيَنْشَقَّ فُؤادي مِنَ الغيرَةِ.

آهٍ آهٍ، «أيا وَيْحَ قَلْبي مَنْ بِهِ مِثْلُ ما بيا؟!».

سَيِّدي! لَيْسَ حالُ طالِبي حَضْرَتِكَ كَأَحْوالِ سائِرِ المُشْتاقينَ، لِأَنَّ جَمالَكَ لا يُقاسُ بِجَمالِ سائِرِ المَعْشوقينَ، وَجَلالَكَ لَيْسَ كَسائِرِ الجَلالاتِ، إذْ لَيْسَ مَطْلوبٌ وَمَحْبوبٌ، غَيْرَكَ، هُوَ عِلَّةُ إيجادِ مُحِبِّهِ وَطالِبِهِ، مُحْتاجٌ إلَيْهِ، في كُلِّ حالاتِهِ، في جَميعِ شُؤونِهِ، بَلْ لَيْسَ في

عالَمِ الحسِّ جَمالٌ إلّا وَهُوَ مَظْهَرُ شَيْءٍ مِنْ جَمالِكَ، وَلا جَلالٌ إلّا وَهُوَ أَثَرٌ مِنْ آثارِ جَلالِكَ... لِأَنَّ جَمالَكَ مَظْهَرُ جَمالِ اللهِ الجَميلِ، وَجَمالَ غَيْرِكَ مِنْ مَظاهِرِ جَمالِكَ، وَهَكذا جَلالُكَ مَظْهَرُ جَلالِ (اللهِ) الجَليلِ، وَجَلالُ غَيْرِكَ مُقْتَبَسٌ مِنْ جَلالِكَ، وَأَنْتَ أَصْلُ كُلِّ جَمالٍ وَجَلالٍ، وَأَنْتَ المُرادُ بِأَبْهى البَهاءِ، وَأَجْمَلِ الجَمالِ، وَأَجَلِّ الجَلالِ في دُعاءِ السَّحَرِ، وَأَنْتَ نورُ اللهِ الأَنْوَرُ، وَضِياؤُهُ الأَزْهَرُ.

وَأَيْضاً، لَيْسَ هَجْرُكَ وقِلاكَ مِثْلَ هَجْرِ غَيْرِكَ مِنَ المَطْلوبينَ، لِأَنَّ مَهْجورَ غَيْرِكَ يَنسُبُ الهَجْرَ إلى المَطْلوبِ وَلا مَلامَ عَلَيْهِ في هَجْرِ مَحْبوبِهِ إيّاهُ، وَمَهْجورِكَ ملومٌ في نَفْسِهِ، وملومٌ عِنْدَ النّاسِ وَلا سَلْوَةَ لَهُ، لِأَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَنسُبَ إلَيْكَ أَنَّكَ غَيْرُ وَفِيٍّ، أَوْ أَنَّكَ غَيْرُ مُحِبٍّ لِمُحِبِّكَ؛ وَجَميعُ مُحِبّيكَ يَعْتَقِدونَ أَنَّ حُبَّكَ وَوَفاءَكَ لهم، أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِمْ وَوَفائِهِمْ لك، فَإِذا هَجَرْتَهُمْ يَكْشِفُ ذَلِكَ عَنْ تَقْصيرِهِمْ، وَقُصورُ حُبِّهِمْ يَكْشِفُ عَنْ عَدَمِ تَمْييزِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ، فَمَهْجورُكَ أَخْسَرُ الخاسِرينَ، إلّا أَنْ يُسيءَ نَفْسَهُ بِالتَّسْويفِ، وَطَلَبِ زِيادَةِ الثَّوابِ، وَلَكِنْ أَيُّ ثَوابٍ عِنْدَ المُحِبِّ أَعْظَمُ مِنْ لِقائِكَ؟!

مَوْلايَ! فِداكَ جَميعُ مَن سِواكَ، «**بِنَفْسي أَنْتَ مِنْ أَثيلِ مَجْدٍ لا يُجارى، بِنَفْسي أَنْتَ مِنْ نَصيفِ شَرَفٍ لا يُساوى، إلى مَتى أَحارُ فيكَ يا مَوْلايَ؟ وَإِلَى مَتى؟ وَأَيِّ خِطابٍ أَصِفُ فيكَ وَأَيِّ نَجْوى..**»، عَزيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى غَيْرَكَ مُتَصَرِّفاً في مَمْلَكَتِكَ، حاكِماً في رَعِيَّتِكَ، بِمَرْأى مِنْكَ وَمَسْمَعٍ، وَهُمْ يَلوذونَ وَيَسْتَغيثونَ بِكَ فَلا يُجابونَ.

سلطانُ الكافرين، وكَيدُ المُخالفين

سَيِّدي! هَذِهِ مَمالِكُنا دَخَلَتْ إليها الكُفّارُ مِنْ غَيْرِ إِذْنِنا، يَحْكُمونَ فينا وَفي أَنْفُسِنا وَأَمْوالِنا بِما يُريدونَ، وَهَذا سُلْطانُنا كَالأَسيرِ المُمْتَهَنِ، فَيا لله مِنْ هَذِهِ المَصائِبِ الفَجيعَةِ، وَالشَّدائِدِ المُهْلِكَةِ، فَإِنّا لله وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعونَ، مِنْ مُصيبَةِ فَقْدِكَ وَطولِ غَيْبَتِكَ، وَقَدْ صارَ حالُ شيعَتِكَ كَقُطْعانِ غَنَمٍ غابَ عَنْها راعيها، وَشَدَّتْ عَلَيْها الذِّئابُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ، تَأْخُذُ مِنْها ما تُريدُ أَكْلَهُ، وَتَقْتَلُ الباقي لِمَنْ بَعْدَها.

سَيِّدي! هَذِهِ مَصائِبُنا، وَالَّذي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْها أَوْجَعُ لِنُفوسِنا، وَآلَمُ لِقُلوبِنا مِمّا يَصِلُ إِلَيْنا، لِأَنّا نَعْلَمُ رَأْفَتَكُمْ بِشيعَتِكُمْ، وَغيرَتَكُمْ، وَرِقَّةَ قَلْبِكُمْ، أَلَيْسَ جَدُّكَ أَميرُ المُؤْمِنينَ يَشْكو مِمّا أَخَذَهُ عَسْكَرُ مُعاوِيَةَ بْنِ أَبي سُفْيانَ مِنْ خَلْخالِ الذِّمِّيَّةِ، وَيقولُ:«**فَلَوْ أَنَّ مُؤْمِناً ماتَ مِنْ دونِ هَذا أَسَفاً ما كانَ عِنْدي مَلوماً..**» فَكَيْفَ بِكُمْ إِذا عَلِمْتُمْ ما يُفْعَلُ بِالْمُسْلِماتِ مِنَ السَّبْيِ؟ ساعَدَ اللهُ قَلْبَكَ يا مَوْلايَ، إلى اللهِ المُشْتَكى، وَإلى سَيِّدِ الوَرى مُحَمَّدٍ المُصْطَفى، وَإلى عَلِيٍّ المُرْتَضى، وَإلى سَيِّدَةِ النِّساءِ، وَإلى آبائِكَ الطّاهِرينَ أَئِمَّةِ الهُدى وَلُيوثِ الوَغى، وَإلى حَمْزَةَ سَيِّدِ الشُّهَداءِ، وَإلى الطَّيّارِ في المَلَإِ الأَعْلى، مِنْ هَذا الخَطْبِ العَظيمِ، وَالشَّأْنِ الفَظيعِ.

فَأَغِثْ، يا غِياثَ المُسْتَغيثينَ، عَبيدَكَ المُبْتَلَينَ، وَأَرِهِمْ سَيِّدَهُمْ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ، وَأَزِلْ عَنْهُمْ بِهِ ظُلْمَ الظّالِمينَ، وَسُلْطانَ الكافِرينَ، وَكَيْدَ المُخالِفينَ، وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ بِفَرَجِ وَلِيِّكَ سُلْطانِ السَّلاطينَ، سَيِّدِ الخَلائِقِ أَجْمَعينَ، وَامْلَأِ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً وَقَدْ مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً.

وَأَقِرَّ عُيونَ المُؤْمِنينَ بِجَمالِ وَلِيِّ الدّينِ، وَأَوْفِرْ نَصيبَهُمْ بِظُهورِ جَلالِهِ في العالَمينَ، وَأَظْهِرْ عَدْلَكَ الأَعْظَمَ، وَسُلْطانَكَ الأَجَلَّ الأَفْخَمَ، فَأَقِمْ بِهِ الحَقَّ، وَادْحَضْ به الباطِلَ، وَأَدِلْ بِهِ أَوْلِياءَكَ، وَأَذْلِلْ بِهِ أَعْداءَكَ، وَانْتَقِمْ بِهِ مِنْ ظالِمي أَوْلِيائِكَ، وَمُعانِدي أَصْفِيائِكَ، وَعَجِّلْ بِإِظْهارِ ما وَعَدْتَهُ مِنْ نَصْرِ المُؤْمِنينَ، وَالعاقِبَةِ لِلْمُتَّقينَ، يا أَصْدَقَ الصّادِقينَ، وَيا أَقْدَرَ القادِرينَ.

لا تَغفل عمّا وردَ عليكَ من المُصيبة بغَيبةِ إمامِ زَمانِك.

يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ! إلامَ تصيرُ عاقِبَةُ أَمْري؟ هَل سَأُرْوى مِنْ عَذبِ وِصالِكَ، أَمْ سأموتُ وفي قلبي حسرةُ لقائك؟

الإمام الصّادق عليه السلام: «..هكذا صَلِّ..»

«إنّكم لتعرفون من جيرانكم... مَن لو كان يصلّي لِبعضِكُم ما قَبِلَها منه»

الشّيخ بهاء الدّين العامليّ قدس سره

أورد الشّيخ بهاء الدّين العاملي، رضوان الله عليه، ضمنَ «أحكام الصّلاة» من كتابه الفقهيّ (الحبل المتين)، مجموعةً من الرّوايات تحت عنوان: «في ذكر نُبذ من أفعال الصّلاة وآدابها، على وجه الإجمال»، اخترنا منها هاتَين الرّوايتَين، عن الإمام أبي عبد الله الصّادق عليه السلام.

«عَن حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام يَوْماً: **يَا حَمَّادُ، تُحْسِنُ أَنْ تُصَلِّيَ؟** قَالَ فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي أَنَا أَحْفَظُ كِتَابَ حَرِيزٍ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: **لَا عَلَيْكَ يَا حَمَّادُ، قُمْ فَصَلِّ.**

قَالَ: فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَوَجِّهاً إِلَى الْقِبْلَةِ، فَاسْتَفْتَحْتُ الصَّلَاةَ فَرَكَعْتُ وسَجَدْتُ، فَقَالَ: **يَا حَمَّادُ لَا تُحْسِنُ أَنْ تُصَلِّيَ، مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ يَأْتِي عَلَيْهِ سِتُّونَ سَنَةً أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً فَلَا يُقِيمُ صَلَاةً وَاحِدَةً بِحُدُودِهَا تَامَّةً**، قَالَ حَمَّادٌ: فَأَصَابَنِي فِي نَفْسِي الذُّلُّ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَعَلِّمْنِي الصَّلَاةَ.

فَقَامَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ مُنْتَصِباً، فَأَرْسَلَ يَدَيْهِ جَمِيعاً عَلَى فَخِذَيْهِ، قَدْ ضَمَّ أَصَابِعَهُ وقَرَّبَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ، حَتَّى كَانَ بَيْنَهُمَا قَدْرُ ثَلَاثِ أَصَابِعَ مُنْفَرِجَاتٍ، وَاسْتَقْبَلَ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ جَمِيعاً الْقِبْلَةَ لَمْ يُحَرِّفْهُمَا عَنِ الْقِبْلَةِ، وقَالَ بِخُشُوعٍ (**اللهُ أَكْبَرُ**).

ثُمَّ قَرَأَ (الْحَمْدَ) بِتَرْتِيلٍ و(قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ)، ثُمَّ صَبَرَ هُنَيَّةً بِقَدْرِ مَا يَتَنَفَّسُ وهُوَ قَائِمٌ.

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ وقَالَ (**الله أَكْبَرُ**) وهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ رَكَعَ ومَلأَ كَفَّيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ مُنْفَرِجَاتٍ ورَدَّ رُكْبَتَيْهِ إِلَى خَلْفِهِ حَتَّى اسْتَوَى ظَهْرُهُ، حَتَّى لَوْ صُبَّ عَلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ أَوْ دُهْنٍ لَمْ تَزُلْ لِاسْتِوَاءِ ظَهْرِهِ، ومَدَّ عُنُقَهُ وَغَمَّضَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ سَبَّحَ ثَلَاثاً بِتَرْتِيلٍ، فَقَالَ: (**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وبِحَمْدِهِ**)، ثُمَّ اسْتَوَى قَائِماً، فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنَ الْقِيَامِ قَالَ: (**سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ**)، ثُمَّ كَبَّرَ وهُوَ قَائِمٌ ورَفَعَ يَدَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ.

ثُمَّ سَجَدَ وبَسَطَ كَفَّيْهِ مَضْمُومَتَيِ الأَصَابِعِ بَيْنَ يَدَيْ رُكْبَتَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ فَقَالَ: (**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وبِحَمْدِهِ**) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ولَمْ يَضَعْ شَيْئاً مِنْ جَسَدِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْه، وسَجَدَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَعْظُمٍ؛ الْكَفَّيْنِ، والرُّكْبَتَيْنِ، وأَنَامِلِ إِبْهَامَيِ الرِّجْلَيْنِ، والْجَبْهَةِ، والأَنْفِ، وقَالَ: **سَبْعَةٌ مِنْهَا فَرْضٌ يُسْجَدُ عَلَيْهَا وهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا الله فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ:** ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ الجنّ:١٨، **وهِيَ الْجَبْهَةُ، والْكَفَّانِ، والرُّكْبَتَانِ، والإِبْهَامَانِ، ووَضْعُ الأَنْفِ عَلَى الأَرْضِ سُنَّةٌ.** ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَه مِنَ السُّجُودِ، فَلَمَّا اسْتَوَى جَالِساً قَالَ (الله أَكْبَرُ)، ثُمَّ قَعَدَ عَلَى فَخِذِهِ الأَيْسَرِ وقَدْ وَضَعَ ظَاهِرَ قَدَمِهِ الأَيْمَنِ عَلَى بَطْنِ قَدَمِهِ الأَيْسَرِ، وقَالَ: (**أَسْتَغْفِرُ الله رَبِّي وأَتُوبُ إِلَيْهِ**)، ثُمَّ كَبَّرَ وهُوَ جَالِسٌ وسَجَدَ السَّجْدَةَ الثَّانِيَةَ، وقَالَ كَمَا قَالَ فِي الأُولَى، ولَمْ يَضَعْ شَيْئاً مِنْ بَدَنِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ فِي رُكُوعٍ ولَا سُجُودٍ، وكَانَ مُجَنِّحاً ولَمْ يَضَعْ ذِرَاعَيْهِ عَلَى الأَرْضِ

فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ عَلَى هَذَا ويَدَاه مَضْمُومَتَا الأَصَابِعِ وهُوَ جَالِسٌ فِي التَّشَهُّدِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ التَّشَهُّدِ، سَلَّمَ فَقَالَ: **يَا حَمَّادُ هَكَذَا صَلِّ**».

إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْحَسَنَ

عن الإمام الصّادق عليه السلام: «**وَاللهِ، إِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَى الرَّجُلِ خَمْسُونَ سَنَةً وَمَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ صَلَاةً وَاحِدَةً، فَأَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، والله إِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ مِنْ جِيرَانِكُمْ وأَصْحَابِكُمْ مَنْ لَوْ كَانَ يُصَلِّي لِبَعْضِكُمْ مَا قَبِلَهَا مِنْه لِاسْتِخْفَافِه بِهَا، إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْحَسَنَ، فَكَيْفَ يَقْبَلُ مَا يُسْتَخَفُّ بِهِ**».

الصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وآله
واجبة كُلمّا ذُكِرَ، ووجوبها فوريّ

السّيّد عليّ خان المدنيّ الشّيرازيّ رحمه الله

يعرض السّيّد عليّ خان المدنيّ الشّيرازيّ (ت: ١١٢٠ هجريّة) في موسوعته القيّمة (رياض السّالكين في شرح صحيفة سيّد السّاجدين عليه السلام) جملةً من آراء علماء الإسلام، سنّةً وشيعةً، في مسألة وجوب أو استحباب الصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وآله كلّما وردَ ذِكرُه الشّريف، سواء في أذانٍ أو صلاةٍ أو مطلقاً، مُتبنّياً الوجوب ولزوم التّكرار عند كلّ ذِكر.

الصّلاةُ على رسول الله صلى الله عليه وآله في غير الصّلاة، وعندَ عدمِ ذكرِه «مُستحبَّةٌ» عند جميعِ أهل الإسلام، ولا يُعرَفُ مَن قال بوجوبها غير «الكرخيّ»، فإنّه أوجبَها في العمر مرّةً، كما في الشّهادتَين، وأمّا في «الصّلاة» فأجمعَ علماؤنا، رضوان الله عليهم، على وجوبِها في التّشهّدَيْن معاً. وقال الشّافعيّ: «هي مُستحبّةٌ في [التّشهّد] الأوّل، واجبةٌ في الثّاني». وقال أبو حنيفة، ومالك: «هي مُستحبّةٌ فيهما معاً».

وأمّا عند ذكره، صلى الله عليه وآله فظاهرُ كثير من الأخبار - كقوله صلّى الله عليه وآله: «**مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ دَخَلَ النّارَ**»، وقولُه: «**مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فَدَخَلَ النّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ**» - أنّها تَجِبُ كلّما ذُكِر، وكلّما سُمِعَ ذكرُه، لأنّ الوعيدَ أمارةُ الوجوب، وهو [أي القول بالوجوب] مختارُ ابن بابويه [الصدوق]، والمقداد من أصحابنا، والطّحاويّ من العامّة. قال الزّمخشريّ: «وهو الّذي يقتضيه الاحتياط».

ومنهم مَن أوجبَها في كلّ مجلسٍ مرّةً، ومنهم مَن أوجبَها في العمر مرّةً. والأَولى «الوجوب» عند كلّ ذِكر، للأخبار الكثيرة الصّريحة بالأمر بها، كلّما ذُكِرَ صلّى الله عليه وآله، والأصلُ في الأمر، الوجوب.

مناقشةُ القَول بالاستحباب

وأمّا القولُ بالاستحباب مُطلقاً، كما ذهبَ إليه جماعةٌ مُستدلّينَ بالأصلِ والشّهرة المُستندَين إلى عدم تعليمِه عليه السّلام للمؤذّنين [أي تعليم النّبيّ صلى الله عليه وآله للمؤذّنين الصّلاةَ عليه عند فقرة أشهد أنّ محمّداً رسول الله]، وتَرْكِهم ذلك مع عدمِ وقوعِ نكيرٍ عليهم - كما يفعلون الآن - ولو كان لنُقِل.

ففيه: إنّ عدمَ التّعليم ممنوع، وكذا عدم النّكير، كَعَدَمِ النّقل، فقد روى ثقةُ الإسلام في (الكافي) في باب «بدء الأذان والإقامة»، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام: «**إِذا أَذَّنْتَ، فَأَفْصِحْ بِالأَلِفِ وَالهاءِ، وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ كُلَّما ذَكَرْتَهُ، أَوْ ذَكَرَهُ ذاكِرٌ في أَذانٍ وَغَيْرِهِ**».

على أنّ عدمَ النّقل لا يدلُّ على عَدَمِه [عدم التعليم]، و«أصالةُ البراءة» لا يصحُّ التّمسّكُ بها بعدَ ورود القرآن والأخبار به.

ثمّ الظّاهرُ من بعض الأخبار، كقَول الإمام الصّادق عليه السلام: «**إِذا ذُكِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَكْثِرُوا الصَّلاةَ عَلَيْهِ**» - حيث رتّب الأمر بالصّلاة على الذّكر بالفاء التّعقيبيّة- هو إيقاعُها على الفَور، فلو أهملَ الفورَ أثِمَ، على القول بالوجوب، ولم تسقط، وكذا الظّاهر أنّ الأمرَ بها عامٌّ لكلِّ أحد، وعلى كلِّ حالةٍ، حتّى في الصّلاة.

فلَو تركَ الامتثال واشتغلَ بالقراءة فيها، هل تبطلُ الصّلاةُ على تقدير الوجوب أم لا؟

فإنْ قلنا: إنّ الأمرَ بالشّيء نهيٌ عن ضدّه الخاصّ، والنّهيُ في العبادة يقتضي الفساد، بَطلتْ، وإن قلنا بعدمه [عدم وجوب الامتثال] فلا تبطُل، وهو الرّاجح.

فلو تكرّر الذِّكرُ [ذكر النّبيّ] تكراراً كثيراً بحيث يخرج بالاشتغال بالصّلاة عليه صلّى الله عليه وآله عن كونه مُصلِّياً، لا يبعدُ القول بسقوط التّكليف بها، لأنّ الفعلَيْن إذا تضيّقا وتعذّر الجمعُ بينهما عَلِمْنا أنّ أحدَهما ليسَ بواجبٍ قطعاً، ولمّا كان مُشتغلاً بالصّلاة، ووجبَ إتمامُها والاستمرارُ فيها، كان ما يُنافيه غيرَ مأمورٍ به، فَلْيَتأمَّل. (مختصَر)

﴿..لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

الإمامة في القرآن الكريم

إعداد: شعائر

آية الله الشّيخ محسن الآراكيّ

(نظريّة النّصّ على الإمامة في القرآن الكريم) عنوان كتاب صادر عن «المجمع العالميّ لأهل البيت عليهم السّلام»، وهو حصيلة أربع محاضرات لآية الله الشّيخ محسن الآراكيّ، ألقاها في «قاعة دار الإسلام» في لندن سنة ١٤١٨ للهجرة، وقد عملت «شعائر» على اقتباس أبرز مطالب الكتاب، مستعرضةً إيّاها بصورة السّؤال والجواب.

*** ما معنى الإمامة في القرآن الكريم؟**

الإمامة في القرآن الكريم تَعني قيادةَ الإنسان إلى ذروة الكمالِ المُمكن له. وهي ليست إمامةً في الدّين بمعنى العبادات فقط، كما أنّها ليست إمامةً في الدّنيا، أي ما سوى العبادات من أمور الحياة فحسب، وإنّما هي إمامةُ الإنسان في كلّ أفعاله الاختياريّة. وبعبارةٍ أخرى: هي إمامةٌ في كلّ فعلٍ يَقبلُ أن يكون عدلاً أو ظلماً، سواء أكان اجتماعيّاً أم فرديّاً، دُنيويّاً أم أخرويّاً.

*** ما هي مواصفاتُ الإمامة الّتي وردَتْ في القرآن الكريم؟**

الإمامة في القرآن الكريم لها مواصفاتٌ ثلاث:

الأولى: أنّها شاملةٌ لكلّ ما يختلفُ فيه النّاس.

الثّانية: أنّها شاملةٌ لكلّ ما يحتملُ العدلَ أو الظّلم.

الثّالثة: أنّها شاملةٌ للإنسان، مجتمَعاً وفرداً.

ثمّ إنّ هذا المفهوم الّذي يحدّده القرآن الكريم للإمامة يَكفي بنفسه دليلاً على ضرورة النّصّ على الإمام، وأن يكون منصوباً من قِبل الله سبحانه وتعالى، لأنّ الإنسان في أفعاله الاختياريّة نحو الفضيلة والكمال الأسمى، لا يُمكن أن يعرف أهلَها إلّا بالوحي والنّصّ الإلهيّ، قال تعالى: ﴿..فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ النّجم:٣٢.

*** كيف دلّت الآياتُ القرآنيّة على أنّ الإمامة لا تكونُ إلّا بالنّصّ، وبتَعيينٍ من الله عزّ وجلّ؟**

الآيات في هذا المجال كثيرة، منها «**آياتُ الأمر**»، وهي الّتي تدلّ على أنّ «**الأمر**» خاصٌّ بالله تعالى، يقول سبحانه: ﴿..بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا ..﴾ الرّعد:٣١، ويقول: ﴿..أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ..﴾ الأعراف:٥٤، والمقصود بِكَون «**الأمر**» له سبحانه وتعالى، أنّ السّلطة والحكمَ بيَدِه لا بيد غيره، فهو الّذي يحدّد مصيرَ السّلطة والحُكم في المجتمع البشريّ، وهو الّذي يعيّنُ للحكم والإمارة أهلَها، وهو الّذي يحقّ له، دون غيره، تعيينُ الحاكم والإمام والأمير.

ومنها «**آيات الحُكم**»، وهي الّتي تدلّ على أنّ الحكم لله وليس لغيره، فالحكمُ خاصٌّ به، وهو الّذي يحكم، وليس لغيره ذلك، وهذا ما صرّحَ به قولُه تعالى: ﴿..أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ ..﴾ الأنعام:٦٢، وقوله: ﴿..إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ..﴾ يوسف:٤٠، وقوله: ﴿..وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ الكهف:٢٦.

ومنها «**آيات المُلك**»، وهي الّتي تحصر المُلكَ في الله وحده، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ ..﴾ آل عمران:٢٦، فالآية صريحةٌ في أنّ المُلك لله وحدَه، وهو الّذي يُؤتيه من يشاء، وينزعُه عمّن يشاء.

ومنها «**آيات الولاية**»، وهي الّتي تدلّ على أنّ الولاية بيَد الله تعالى، وهي كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ..﴾ الشّورى:٩، فالولاية له خاصّة على النّاس أجمعين، وهو الّذي يُعيّن للنّاس من يتولّى أمورهم.

وسوى ذلك من الآيات، كـ «**آيات الطّاعة: النّساء/ ٨٠؛ وغيرها**»، و«**آية الاختيار: القصص/ ٦٨**»، و«**آية التّحكيم: النّساء/ ٦٥**»، و«**آيات الإيتاء: آل عمران/ ٢٦؛ وغيرها**».

*** آية الاختيار هي قولُه تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ القصص:٦٨، والّتي تعني أنّه سبحانه هو الّذي يختار للإنسان، ويعيّن له ما هو الخير وما هو الحقّ، ومن ذلك الإمام المفترض الطّاعة. كيف نوفّق بين ذلك وبين قوله تعالى: ﴿..وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ..﴾ الشّورى:٣٨؟**

آية (الشّورى) المذكورة تدلّ على أنّ صاحب القرار الشّرعيّ ينبغي أن يستشيرَ غيرَه في اتّخاذ القرار، فإذا نصّب الله سبحانه إماماً على النّاس، كرسول الله صلّى الله عليه وآله، فإنّ عليه أن يُشاور المؤمنين في ما يريد أن يتّخذه من قرار، ثمّ إنّ القرار النّهائيّ بيَده هو بعد المشورة، فله أن يتّخذ القرار الّذي يخالف رأيَ أصحاب المشورة، إذا رأى أنّ آراءهم لا توافق الحقّ والمصلحة. ثمّ إنّ الآية لا تتحدّث عمّن يتّخذ القرار، فقوله تعالى: ﴿..وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ..﴾، تعني أنّ عليهم أن يتشاوروا في ما يعرض لهم من الأمر قبل اتّخاذ القرار، لكنّها لا تتعرّض لمن يصلُح أن يكون صاحبَ القرار، وكذلك قوله تعالى: ﴿..وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ..﴾ آل عمران:١٥٩، تدلّ على أنّ القرار ليس بيَد من استُشيروا، وإنّما هم «أصحاب شورى الأمر الّذي بيَدهم»، والموكولُ إليهم هو أن يُشيروا إذا استُشيروا، فالشّورى تكون مع النّاس، لكنّ القرار بيد الله سبحانه وتعالى، ومَن ينصّبه.

*** ماذا عن النّصّ على الأئمّة في القرآن الكريم؟**

لقد أشار القرآن الكريم إلى عمليّة النّصّ على الإمام أو على الأئمّة عليهم السّلام، في صِيغ كثيرة متنوّعة، يمكن ترتيبها ضمن صيغ ثلاث:

الأولى: هي الآيات التي دلّت على «الأئمّة على مدى التّاريخ»، إذ أكّدت أنّ هنالك أئمّةً نُصّبوا من قِبل الله سبحانه وتعالى على مدى تاريخ البشريّة، وأنّ الله سبحانه أمَر النّاس بطاعتهم. من تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ..﴾ النّحل:٣٦، والمقصود بـ «العبادة» في هذه الآية - كما هو واضح، وكما هو معناها اللُّغويّ - إنّما هو الخضوعُ التّامّ لله سبحانه، وهو يشملُ كلّ الأفعال الإراديّة للإنسان، فالإمامة في واقعها إمامةُ النّاس في عبادة الله سبحانه في كلّ شؤونهم، وهذا هو الّذي يقفُ على النّقيض من «**الطّاغوت**»، ويعارضُه، وينافيه، فإنّ معنى «الطّاغوت» الكثير الطّغيان، الّذي يدعو النّاس إلى الخروج عن طاعة الله. فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا..﴾، أنّنا بعثنا في كلّ أمّةٍ قادةً إلهيّين سياسيّين، يحكمون بما أمَر الله، ويدعون النّاس إلى عبادة الله، والخضوع لحُكمه، ورفض حكومة الطّواغيت، وعدم الخضوع لهم.

الإمامة في القرآن الكريم
تَعني قيادةَ الإنسان إلى ذروة
الكمالِ المُمكن له

الثّانية: هي آياتُ النّصّ على «**الأئمّة من آل إبراهيم**»، وهي كثيرةٌ ومتنوّعة.

فمنها ما دلّت على بشارة الله تعالى لإبراهيم بجَعْلِه وذرّيته أئمّةً صالحين، يَهدون بأمر الله، استجابةً لدعائه الّذي دعاه وهو في شبابه، وفي أوج صراعه مع المشركين والكافرين من قومه، ومع عمّه بالذّات. قال تعالى في سورة (الشّعراء): ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ الشّعراء:٦٩-٨٣.

فهذا الدّعاء، دعا به إبراهيمُ عليه السّلام ربّه عندما كان شابّاً، وكان عمُّه حيّاً، وكان في صراعٍ مع قومه ومع عمّه، وكان إذ ذاك في بابل، فقد سألَ الله أن يهبَ له حُكماً، وأن يجعلَه إماماً يحكمُ

بين النّاس بالحقّ، ويَهديهم إلى عدلِ الله وصراطِه المستقيم. وقد قرَن دعاءَه هذا بدعاءٍ آخر، وهو أن يرزقه الله ذرّيّةً صالحةً تواصلُ دربَه، وتحمل رسالتَه إلى الأجيال كافّة، فقال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ الشعراء:٨٤.

ومن آيات النّصّ على أنّ الأئمّة من آل إبراهيم، الآيةُ المعروفة من سورة (البقرة): ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة:١٢٤، ففي هذه الآية طلَبُ إبراهيم عليه السّلام من ربّه تعالى أن يجعل الإمامةَ في ذرّيته، وسؤالُ الأنبياء الله، وطَلَبُهم منه، عزّ وجلّ، مأذونٌ به من قِبل الله سبحانه وتعالى، أي أنّهم لا يطلبون إلّا ما يعلمون برضى الله به، وإذنه لهم بطَلَبِه وسؤاله.

فقد أُذن لإبراهيم أن يدعو الله بجعل الإمامة في ذرّيته، واللهُ سبحانه حكيمٌ في الإجابة، كريمٌ في العطاء، فقد استجابَ لدعاء إبراهيم وسؤاله الّذي سأله بإذنٍ من الله تعالى: ﴿..وَمِن ذُرِّيَّتِي..﴾، فجاءه الجوابُ من الله سبحانه: ﴿..لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقد استجابَ تعالى لإبراهيم دعاءه، وجُعلت الإمامة مستمرّة في ذرّيته ضمن شرطٍ اقتضَته الإرادة الإلهيّة، وهو شرطُ العدالة التّامّة.

الآيات التي دلّت على «الأئمّة على مدى التّاريخ» كثيرة، وأكّدت أنّ هنالك أئمّةً نُصِّبوا من قِبل الله سبحانه وتعالى على مدى تاريخ البشريّة، وأنّ الله سبحانه أمَر النّاس بطاعتهم.

*** كيف عرفنا أنّ الله سبحانه قد استجاب لإبراهيم عليه السّلام، وجعَل الإمامة في ذرّيته بالفعل؟**

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم دلّت بوضوح على أنّ الله سبحانه قد جعل الإمامة في ذرّيّة إبراهيم استجابةً لدعائه، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ الأنبياء:٧١-٧٣.

فهذه النّافلة، وهي هذه الذّرّيّة الطّيّبة، جعلَهم اللهُ أئمّةً استجابةً لدعائه: ﴿..وَمِن ذُرِّيَّتِي..﴾، فقد جاءت الآية تؤكّد هذه الاستجابة بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

ومن الآيات الدّالّة أيضاً على استجابة الله تعالى لإبراهيم بجَعل الأئمّة من ذرّيته، قولُه تعالى في سورة (النّساء): ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾ النّساء:٥٤، فدلّت هذه الآية على أنّ الله سبحانه قد استجاب دعاء إبراهيم، فآتى آلَ إبراهيم مُلكاً عظيماً، وهي «**الإمامة**»، زائداً على ما آتاهم من الكتاب والحكمة، وهي النّبوّة.

النّصّ على أئمّة أهل البيت عليهم السّلام

وبالعودة إلى السّؤال عن ذِكر نصّ القرآن على الأئمّة عليهم السّلام، فقد قلنا إنّ ذلك جاء بصِيَغ ثلاث: النّصّ العامّ، النّصّ على الأئمّة من ذرّيّة إبراهيم، والثّالثة، هي النّصّ على الأئمّة من أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله بالإشارة والوَصف. ومن الأمثلة على الصّيغة الثّالثة «آية الولاية»، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ المائدة:٥٥، وقد اتّفق المفسّرون عامّة على نزول هذه الآية في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، ودلالتُها على الإمامة واضحةٌ لا لُبْسَ فيها، والحَصرُ الواردُ في الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ..﴾ يُلغي كلّ احتمالٍ آخر في معنى الولاية، غير معنى السُّلطة والحُكم، فإنّ أيّ معنًى آخر من معاني الولاية لا يُتصوَّر كونه خاصّاً بالله ورسوله وعليّ أمير المؤمنين.

ومن الآيات الّتي نصّت على إمامة أهل البيت عليهم السّلام – كذلك – «**آيةُ التّطهير**»، وهي قولُه تعالى: ﴿..إِنَّمَا يُرِيدُ

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب:٣٣، وهي تدلُّ على طهارة أهل البيت من الرِّجْس كلِّه، وخلاصةُ الأمر المتيقّن من معنى «الرّجس» أنّه كلّ ما ينبغي اجتنابه، ولا شكّ في أنّ معصية الله، صغيرةً كانت أم كبيرة، هي ممّا ينبغي الاجتنابُ عنه، فيكون معنى تطهيرهم من الرّجس أنّهم مُطهَّرون من الذّنوب كلّها، صغيرِها وكَبيرِها.

وقد اتّفقت كلمةُ المسلمين، وتَواترت الرّواياتُ الصّحيحة أنّ الآية نزلتْ بشأن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السّلام.

*** أين تكمن دلالةُ آية التّطهير على إمامة أهل البيت عليهم السّلام؟**

لقد دلّت آية ﴿..لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة:١٢٤، على اشتراط العِصمة في الإمام، والعِصمةُ لا تُعرَف إلّا من الله، ولم يدلّ دليلٌ من الله تعالى على عِصمة غير هؤلاء، وقد دلّت هذه الآية على عِصمتهم، فتدلّ، إذاً، على إمامتهم.

*** لماذا كان النّصّ القرآنيّ على إمامة أهل البيت عليهم السّلام بالصّفة، وليس بالاسم الصّريح؟**

الحكمة في ذلك معلومةٌ وواضحة، ويدلّ عليها الواقع الّذي مرّت به الأمّة الإسلاميّة بعد عصر الرّسول صلّى الله عليه وآله، لا سيّما في زمن الحُكم الأمويّ، والحُكم العبّاسيّ، فلو كان القرآنُ الكريمُ قد صرّح باسم أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام، وأسماء الأئمّة من بعده، لَمُزِّقَ تمزيقاً في حياة الرّسول نفسه، مثلما أنّ العترة الّتي أوصى بها، قُتِّلت وحُوربَت بعد حياته صلّى الله عليه وآله.

أليس الإمام الحسينُ عليه السّلام من ذرّيّة الرّسول صلّى الله عليه وآله الّذين أوصى بهم القرآن الكريم بقوله: ﴿..قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ..﴾ الشّورى:٢٣؟

أليس التّاريخ القطعيّ، لا سيّما في القرنَين الأوّل والثّاني بعد الرّسول صلّى الله عليه وآله، يحدّثنا عن القتل الذّريع لذرّيّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله؟ أليس هؤلاء هم «**القُربى**» الذّين قُتِّلوا بصورة وحشيّة؟

مَن أرادَ الحقّ في الإمامة ورجعَ إلى القرآن، لَوَجدَ الحقّ واضحاً لا لُبس فيه بين آيات القرآن، والسّنّة الثّابتة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فيتّبعه

فلَو كان القرآن قد ذكر اسمَ الإمام عليّ صراحةً لَمُزِّقَ ولم يبقَ منه أثرٌ أبداً، فحكمةُ الحفظ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر:٩، دعَتْ إلى أن يدلَّ كتابُ الله على الحقّ وعلى الإمام بالطّريقة التي تحُول دون تحريف القرآن الكريم والمسّ بكرامته. فمَن أرادَ الحقّ في الإمامة ورجعَ إلى القرآن، لَوَجدَ الحقّ واضحاً لا لُبس فيه بين آيات القرآن، والسّنّة الثّابتة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فيتّبعه. ولم يدَع اللهُ سبحانه ذريعةً بيد الانتهازيّين والمُعاندين والمُغرضين ليَنالوا من كرامة القرآن، فحافظَ على سلامته من جهة، ودلّ على الحقيقة من جهةٍ أخرى، وهذا هو السّبب في ما نجدُه في القرآن المجيدِ من استعمال أسلوب الكناية في التّدليل على الإمام من بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

الكبائر والصّغائر

تحديداتها، وما قاله فيها المتكلّمون

أستاذ الفقهاء الشّيخ ضياء الدّين العراقيّ دام عزّه

في ما يلي بحثٌ حول الكبائر والصّغائر، والجدل الكلاميّ والفقهيّ الّذي دار حوله، حيث جرى تناول آراء متكلّمي المعتزلة والإماميّة في هذا الخصوص، نقلاً مختصراً عن كتاب (شرح تبصرة المتعلّمين - كتاب القضاء) لأستاذ الفقهاء الشّيخ ضياء الدّين العراقيّ دام عزّه.

ذهب أهلُ الاعتزال إلى الاعتراف بوجود صغائر الذّنوب إلى جنب كبائرها، حسبما ورد في كلام الشّيخ المفيد، وهكذا صرّح به الشّيخ الطّوسيّ في (التّبيان)، فأصبح هذا القول شعاراً للمعتزلة تجاه مذهب الإماميّة.

نعم ذهب إليه أيضاً بعض أصحابنا الإماميّة، كالفقيه البحرانيّ [في الحدائق النّاضرة]، وصاحب (الجواهر) الشّيخ محمّد حسن النّجفيّ، وتلميذه المولى عليّ الكَنى، استناداً إلى ظواهر آياتٍ وروايات، ولكن حيث كان أصل اختيار هذا المذهب للمعتزلة، وهم سبقوا غيرهم في أصول الاستدلال عليه بما لم يتركوا لَمن بعدهم شيئاً يُذكر، كان من الواجب النّظر في ما قالوه تحديداً بهذا الصّدد.

قال القاضي عبد الجبّار، هو من أكابر شيوخ الاعتزال: «فإن قيل: وما تلك الدّلالة الشّرعيّة الّتي دلّتكم على أنّ في المعاصي ما هو كبير وفيها ما هو صغير، أفي كتاب الله تعالى أم في سُنّة رسوله صلى الله عليه وآله، أم في اتّفاق الأمّة؟

قيل له: أمّا اتّفاق الأمّة، فظاهرٌ على أنّ أفعال العباد تشتمل على الصّغير والكبير. غير أنّا نتبرّك به، ونتلو آياتٍ فيها ذِكرُ الصّغير والكبير، وما في معناه:

* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿..مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا..﴾ الكهف:٤٩.

* وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ القمر:٥٣.

* وقال: ﴿..وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ..﴾ الحجرات:٧.

فرتّب المعاصي هذا التّرتيب، بدأ بالكفر الّذي هو أعظمُ المعاصي، وثنّاه بالفسق، وختمَ بالعصيان. فلا بدّ من أن يكون قد أراد به الصّغائر، وقد صرّح بذكر الكفر والفسق قبلَه.

* وقال أيضاً: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ..﴾ النّجم:٣٢. فلا بدّ من أن يكون المراد باللّمم الصّغائر، وإلّا كان لا يكون للاستثناء معنًى وفائدة، إذ المُستثنى لا بدّ من أن يكون غير المستَثنى منه.

* وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ..﴾ النّساء:٤٨. وأراد به الصّغيرة، على ما شرحه المفسّرون.

فبهذه الوجوه الّتي ذكرناها، عُلم أنّ في المعاصي صغيراً كما أنّ فيها كبيراً، وإلّا فلو خُلّينا وقضية العقل، لكنّا نقطع على أنّ الكلّ كبير».

وزاد في (جواهر الكلام) [تقدّم أنّ صاحب الجواهر من القائلين بثنائيّة الصّغائر والكبائر] الاستشهاد بروايات تعداد الكبائر، وبما ورد من التّصريح بالصّغائر، وأنّها مغفورةٌ عند اجتناب الكبائر أو بالأعمال الصّالحة.

تفنيد أدلّة القاضي المعتزلي

هذا ما استندَ إليه أهل الاعتزال، على الرّغم من أنّه لا موضعَ في الآيات ولا في الرّوايات، للاستدلال بها على إثبات الصّغائر بإزاء الكبائر، أللّهمّ إلّا بالنّسبة وباعتبار الإضافة.

* أمّا آية الكهف، التي استدلّ بها القاضي المعتزلي: ﴿.. مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا..﴾، فالاستشهادُ بها موقوفٌ على إرادة صغائر السّيّئات وكبائرها، في حين أنّ المقصود جزئيّات الأمور وكلّيّاتها، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق:١٨.

وهذا كقوله تعالى ﴿..وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ..﴾ البقرة:٢٨٢. وقوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا

﴿كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ..﴾ التوبة:١٢١.

وقوله ﴿..وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يونس:٦١.

ومن ثمَّ تعقّبت الآية بقوله: ﴿..وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا..﴾ الكهف:٤٩. وهكذا آية: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ القمر:٥٢-٥٣.

* وأمّا آية الحجرات: ﴿..وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ..﴾، فالكفرُ هو جحودُ الحقّ، والفسوق هو الخروجُ عن القَصد والاعتدال، والعصيان هو التّمرّد على المَولى الكريم. وليست الثّلاثة مانعةَ الجَمع، بعد قابليّة انطباق بعضها على بعض وتصادقها جميعاً، كما صحّ الافتراق في البعض. فهذه عناوين سيّئة لا يرتضيها ربّ العالمين لعباده الأكرمين، سواء تصادقت كما في الكافر الاصطلاحيّ، جاحدٌ وفاسقٌ وعاصٍ، أم تفارقت، كما في المؤمن العاصي بالإصرار على الذّنوب، أو الفاسق بارتكاب حرام.

* وقد سبق تفسير اللّمَم من آية النّجم [فسّره بالمَرويّ عن الإمام الصّادق عليه السّلام: «**اللّمَم: الرَّجُلُ يُلِمُّ بِالذَّنْبِ فَيَستَغْفِرُ الله**». ثمّ قال المحقّق العراقيّ: كأنّه لم يُرِد إيقاعه، وإنّما وقع منه وقوعاً على خلاف طبعِه]

* وكذلك آية النّساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ..﴾، حيث كانت بياناً للفارق الكبير بين معصية الإشراك وغيره، فإنّها معصية لا تُغفَر أبداً إذا مات صاحبُها عليها. أمّا غيرها من المعاصي فقابلة للغفران مهما كان كبيراً أو عظيماً.

محدّدات الكبائر

على فرض وجود صغائر بالذّات بإزاء الكبائر، فهل نستطيع تحديد هذه الكبائر وتمييزها عن الصّغائر، بحيث يمكننا وضع اليد على واحدة واحدة من المعاصي فنقول: هذه صغيرة مغفورة وتلك كبيرة مغلَّظٌ تحريمُها؟ هَهنا عدّة تحديدات وضوابط، هي:

١) أحسن تحديد ضابط ورد بهذا الشّأن، ما ورد عن الإمام الصّادق عليه السّلام، في تفسير الآية (٣١) من سورة النّساء. قال عليه السّلام: «**الكبائرُ، الّتي أوجبَ اللهُ عزّ وجلّ عليها النّارَ**». هذا هو المعروف في لسان روايات أهل البيت عليهم السّلام، وعليه أكثر أصحابنا الإماميّة في مصنّفاتهم الفقهيّة. لكن هل هذا تحديدٌ للكبيرة بحيث يفصلها عن الصّغيرة ويميّزها عنها من بين السّيّئات، كي نستطيع بعدها تقسيم السّيّئات إلى قسمَين، فنقول: هذه صغيرة وتلك كبيرة؟! أَوَليس قد أوعد اللهُ على جميع المعاصي نار جهنّم: ﴿..وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ الجنّ:٢٣.

إذاً، فكلّ معصيةٍ تستوجبُ ناراً، وقد أوعدَ اللهُ عليها النّار، وقد اتّحد هذا التّعريف مع المأثور عن ابن عبّاس: «كلّ ما نهى الله عنه فهو كبيرة». وعليه فكلّ معصية هي كبيرة، كما هو مذهب أصحابنا الإماميّة المحقّقين.

وربّما فهم بعضُهم من قوله عليه السّلام: «**الّتي أوجبَ اللهُ عليها النّار**»، أو «**أوعدَ اللهُ عليها النّار**»، الإيعاد عليها بالخصوص، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ النّساء:١٠. لكنْ لا وجهَ لهذا التّخصيص بعد عموم اللّفظ، وكون كلّ معصية ممّا أوعدَ اللهُ عليها النّار، فكأنّ الغرض تعميم الكبائر لجميع المعاصي، فلا صغيرةَ فيها.

هذا مضافاً إلى النّقض بكثيرٍ من الكبائر لم يتوعّد عليها بالنّار بالخصوص: مثل شرب الخمر، وترك صوم شهر رمضان، وشهادة الزّور، وإيواء عين المشركين، والتّجسّس لهم، إلى كثير من أشباه ذلك، ممّا ورد على أكثرها حدٌّ شرعيّ.

وقيلَ في تحديد الكبيرة أيضاً:

٢) «كلُّ ذَنْبٍ كان له حدٌّ شرعيّ». لكن لا مستندَ له مع كثرة النّقوض عليه.

٣) «كلّ ذنبٍ علمتَ حرمتَه بدليلٍ قاطع». وهي جميع الذّنوب المعروفة.

٤) «كلّ معصية تؤذِن بقلّة اكتراث فاعلها بالدِّين». هذا في كلّ المعاصي على سواء.

٥) «كلّ معصية عدّها أهلُ الشّرع كبيرة». وهو إيكالٌ إلى فَهم المتشرّعة.

٦) وقالت المعتزلة: «الكبيرة ما يكون عقابُ فاعله أكثر ممّا فعلَه من المثوبات. والصّغيرة ما كان ثواب فاعله أكثر من العقاب الّذي ترتّب على تلك المعصية». وهذا رجمٌ بالغيب وإيكالٌ إلى مجهول مختلف الأحوال بالنّسبة إلى الأشخاص.

وبالتّأسيس على ما تقدّم، نقول إنّ الصّحيح هو عدم وجود صغائر بالذّات بإزاء الكبائر، ومن ثمَّ فلا واقع لها كي يُمكن تحديدها.

تَهويدُ مدينة القدس

التّاريخ العربيّ، بأقلام مؤرّخين صهاينة

إعداد: «شعائر»

مدينة القدس ويظهر الإستيطان الصهيوني في داخلها وعلى أطرافها

منذ أن قامت (إسرائيل) باحتلال مدينة القدس عام ١٩٦٧م، وهي تعمل جاهدة للسّيطرة عليها وتغيير معالمها بهدف تهويدها وإنهاء الوجود العربيّ فيها، وقد استخدمت لأجل ذلك الكثير من الوسائل، وقامت بالعديد من الإجراءات ضدّ المدينة وسكّانها، حيث الاستيطان في المدينة وفي الأراضي التّابعة لها أحد أهمّ الوسائل لتحقيق هدفها الأساسيّ، وسطَ صمتٍ عربيٍّ مُريب.

هذا المقال، يُلقي الضّوء على جانبٍ من الإجراءات الصّهيونيّة الرّامية إلى مَسْخ الهويّة الإسلاميّة للقدس، وقد تمّ إعداده بعد الرّجوع إلى عدّة مصادر تناولت مساعي تهويد المدينة المقدّسة.

عند احتلال مدينة القدس في العام ١٩٦٧م، باشرت سلطات الاحتلال الصّهيونيّ بضمّ أراضي ٢٨ قرية ومدينة فلسطينيّة، وإخراج جميع التّجمّعات السّكّانيّة الفلسطينيّة من حدود المدينة، مفتتحةً المرحلة الأولى من عمليّة تهويد القدس.

وقد سعت (إسرائيل) خلال العقود الماضية إلى استكمال مخطّطها الاستيطانيّ بهدف السّيطرة الكاملة على مدينة القدس، من خلال توسيع حدود المدينة شرقاً وشمالاً، وضمّ مستوطنات صهيونيّة من كلّ الجهات إلى أراضي القدس، وبذلك قلّلت بشكلٍ ملحوظ نسبة السّكّان الفلسطينيّين إلى اليهود.

ويبلغ عدد المستوطنات الصّهيونيّة في القدس، ٢٩ مستوطنة، ١٤ منها في حدود ما تُسمّيه سلطات الاحتلال «القدس الشّرقيّة»، وتنتشر هذه المستوطنات في محافظة القدس على شكل دائريّ حول المدينة. كما أنّ الحدود البلديّة لما يُسمّى بـ «القدس الغربيّة» جرى توسيعها بشكل رسميّ، وتمّ الاستيلاء على ٧٢ كم٢ بقرارات مختلفة.

وفي مرحلة لاحقة استصدرت سلطات الاحتلال «قانون التّنظيم والتّخطيط»، الذي انبثقت عنه مجموعة من الخطوات الإداريّة والقانونيّة المعقّدة والتّعجيزيّة في مجالات التّرخيص والبناء، ما حوّل أكثر من ٤٠٪ من مساحة القدس إلى مناطق خضراء يُمنع الفلسطينيّون من البناء عليها.

وفي العام ١٩٩٣م، بدأت مرحلة أخرى من تهويد القدس، وهي عبارة عن رسم حدود جديدة للمدينة (المتروبوليتان)، وتشمل أراضٍ مساحتها ٦٠٠ كم٢، لتبدأ حلقة جديدة من

إقامة مستوطنات خارج حدود المدينة، هدفها الأساسي السّيطرة الكاملة عليها.

نتائج الاستيطان اليهوديّ في القدس وضواحيها

يمكن إجمال هذه النتائج بالنّقاط التاليّة:

١) مصادرة آلاف الدّونمات من أراضي القرى الفلسطينيّة.

٢) تطويق التّجمّعات السّكنيّة الفلسطينيّة، والحدّ من توسّعها الأفقيّ والعموديّ.

٣) تهديد بعض التّجمّعات السّكّانيّة الفلسطينيّة بالإزالة، وخاصّة تلك التي تعترض تنفيذ المخطّط الإسرائيليّ الرّامي إلى دمج العديد من المستوطنات المحيطة بالقدس.

٤) إبقاء فِلَسطينيّ مدينة القدس وضواحيها في حالة خوف ورعب من خلال اعتداءات المستوطنين عليهم.

٥) عزل مدينة القدس وضواحيها عن محيطها الفلسطينيّ.

٦) فصل شمال الضّفّة عن جنوبها، والتّحكّم في حركة الفلسطينيّين بين شمال الضّفة الغربيّة وجنوبها.

٧) قطع التّواصل الجغرافيّ بين أنحاء الضّفّة الغربيّة وتقسيمها إلى بُقع متناثرة، وبالتّالي الحيلولة دون إقامة دولة فلسطينيّة ذات سيادة ومتواصلة جغرافيّاً.

٨) تشويه النّمط العمرانيّ الرّائع للقدس العتيقة والقرى الفلسطينيّة المحيطة، الضّاربة جذورها في أعماق التّاريخ، وذلك بإدخال النّمط العمرانيّ الحديث.

الكُتل الاستيطانيّة داخل القدس

عمد الكيان الصّهيوني إلى إنشاء تجمّعات استيطانيّة داخل الحدود الموسّعة لمدينة القدس – فضلاً عن التي خارجها – منها على سبيل المثال:

١) **الحي اليهوديّ**: داخل أسوار البلدة القديمة. أُقيم على أنقاض حارة الشّرف عام ١٩٦٨م.

٢) **جيلو**: أكبر المستوطنات الواقعة في الجزء الجنوبيّ الغربيّ من مدينة القدس، تأسّست عام ١٩٧٢م على مساحة ٢٧٠٠ دونم.

٣) **الجامعة العبريّة**: أُقيمت على أراضي قرية العيسويّة، ويقيم فيها حوالى ٢٥٠٠ شخص.

٤) **مُستعمرة جبل أبو غنيم (هارحماه)**: مساحتها ٢٠٥٨ دونم، صودرت أراضيها من القرى العربيّة.

ومن إجراءات تهويد مدينة القدس، تهجيرُ الفلسطينيّين منها، وقد وضعت الحكومات المتعاقبة لدولة الاحتلال مخطّطات من أجل تنفيذ هذه السّياسة، منها:

١) التّصريحات التي يعلنها قادة العدوّ بأنّ القدس ملكٌ (لإسرائيل).

٢) ما أعلنه شيمون بيريز حول ضرورة التّهجير الجماعيّ للفلسطينيّين من مدينة القدس.

٣) بيان صادر عن مجلس وزراء دولة الاحتلال بعنوان «خطة تنمية القدس»، تضمّ تنفيذ مخطّط استيطانيّ جديد يشمل هدم ٦٨ مسكناً فلسطينيّاً، وتشريد ٢٠٠ عائلة من سكّانها، بحي البستان في بلدة سلوان.

٤) مخطّط لجذب أموال اليهود الأميركيّين الأثرياء، لشراء ممتلكات في القدس في صفقات مشبوهة.

٥) مشروع قرار مجلس الشّيوخ الأميركيّ، الذي يشترط الاعتراف بمدينة القدس عاصمة موحّدة (لإسرائيل)، مقابل الاعتراف بالدّولة الفلسطينيّة مستقبلاً، محاولاً فرض أمر واقع على الأرض، ما يشكّل انتهاكاً صارخاً للقرارات والقوانين الشّرعيّة الدّوليّة، حيث ينصّ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ على أنّ القدس المحتلّة والضّفّة الغربيّة والقطاع، ضمن الأراضي العربيّة المحتلّة عام ١٩٦٧م .

هذا، وعملت الحكومات (الإسرائيليّة) المتعاقبة على تنفيذ توصية اللّجنة الوزاريّة (الإسرائيليّة) لشؤون القدس لعام ١٩٧٣م، والتي تقضي بأن لا يتجاوز عدد السّكّان الفلسطينيّين في القدس ٢٢٪ من المجموع العام للسّكّان، وذلك لإحداث خَلل في الميزان الدّيمغرافيّ في المدينة.

انحياز الولايات المُتّحدة (لإسرائيل) بشأن القدس

تحاول الولايات المتحدة فرض سياسة الأمر الواقع على مدينة القدس كعاصمة موحّدة لـ (إسرائيل) من خلال جملة من الخطوات، أهمّها نجاح «لجنة العلاقات العامّة الأميركيّة – الإسرائيليّة» (إيباك)، في دفع أحد رجال الكونغرس إلى تقديم مسودّة مشروع قرار يطالب بالإعتراف بالقدس كعاصمة (لإسرائيل) لا تقبل التّقسيم.

وفي هذا المشروع توصّل الكونغرس إلى النّتائج التّالية:

١) لقد كانت القدس عاصمة الشّعب اليهوديّ لأكثر من ٣ آلاف عام، ولم تكن أبداً عاصمة لأيّ دولة أخرى غير الشّعب

اليهوديّ، وقد ذكرت في التّوراة - أنجيل اليهود - ٧٦٦ مرّة، ولم تُذكر بالاسم في القرآن. وهي اليوم مقرّ الحكومة (الإسرائيليّة) بما فيها الرّئاسة والبرلمان والمحكمة العليا.

٢) إنّ القدس يجب أن تكون العاصمة غير المقسّمة (لإسرائيل).

٣) يجب السّماح لمواطني (إسرائيل) بحريّة العبادة طبقاً لتقاليدهم.

٤) تدعم (إسرائيل) الحريّة الدّينيّة لجميع المعتقدات.

٥) يُعتبر نقل السّفارة الأميركيّة في (إسرائيل) من تل أبيب إلى القدس دعماً من الولايات المتّحدة المتواصل (لإسرائيل) وللقدس غير المقسّمة، لذا يجب نقل مبنى السّفارة، في مدّة لا تزيد عن ١٨٠ يوماً قبل الاعتراف بالدّولة الفلسطينيّة.

والولايات المتّحدة لن تعترف بالدّولة الفلسطينيّة حتّى اعتراف المجتمع الدّوليّ بأنّ القدس عاصمة (إسرائيل) دون فلسطين.

السّيطرة على التّعليم

منذ شهر آب ١٩٦٧م، اتّخذت حكومة الكيان الإسرائيليّ عدداً من القرارات المُتعلّقة بقطاع التّعليم في القدس والضّفّة الغربيّة المحتلّة، حيث قرّرت إلغاء البرامج التّعليميّة الأردنيّة التّي كانت مطبّقة سابقاً في مدارس المدينة، وإبدالها بالبرامج التّعليميّة المطبّقة في المدارس العربيّة في الأراضي المحتلّة سنة ١٩٤٨م.

كما فرضت على المدارس الحصول على تراخيص (إسرائيليّة) تُجيز لها الاستمراريّة في ممارسة نشاطاتها، وبإشراف سلطات الاحتلال على برامج التّعليم ومصادر تمويل هذه المدارس. وقد تشوّهت الحقائق التّي تضمّنتها تلك المناهج المقرّرة، كالإساءة للإسلام والأنبياء والحضارة العربيّة الإسلاميّة، وتزييف الحقائق التّاريخيّة، وطَمْس مادة العقيدة الإسلاميّة وتَشويهها، وترويج أنّ تاريخ الإسلام هو تاريخ فِتن وكوارث، وتغييب السّوَر المُتحدّثة عن بني إسرائيل وفسادهم في الأرض، أو الآيات التّي تحثّ على القتال والجهاد، واستبدالها بتدريس التّوراة والأساطير اليهوديّة.

وفي مادة التّاريخ جرى تخصيص نصف المناهج للتّاريخ العربيّ كما يكتبه المؤرّخون الإسرائيليّون، والنّصف الآخر خُصّص للتّاريخ العبريّ واليهوديّ.

تهويد أسماء المواقع الفلسطينيّة

عملت «الوكالة اليهوديّة»، وبمساعدة من سلطات الاحتلال البريطاني، على طَمْس أسماء القرى والمُدن الفلسطينيّة و«عبْرَنَتِها»، بدءاً من العام ١٩٢٢م، حين شكّلت الوكالة «لجنة أسماء» لإطلاقها على المستوطنات الجديدة، والقرى القديمة... وقد تمّت «عَبْرَنَة» سبعة آلاف اسم لمواقع فلسطينيّة على الأقلّ، فضلاً عن الأسماء التّاريخيّة والمواقع الجغرافيّة (أكثر من خمسة آلاف موقع)، لترسيخ هذه الأسماء في أذهان النّاشئة العرب. وعملت سلطات العدوّ على تغيير أسماء بوّابات القدس التّاريخيّة بقَصد تهويدها.

مؤشرات إحصائيّة حول تَهويد القدس

تقوم سلطات الاحتلال بهدم المنازل الفلسطينيّة ووضع العراقيل والمعوّقات لإصدار تراخيص البناء للفلسطينيّين، فمنذ العام ٢٠٠٠م وحتّى ٢٠١٢م، تمّ هدم نحو ١,١٢٤ مبنًى في شرق القدس، ما أسفر عن تشريد خمسة آلاف فلسطينيّ. وتشير بيانات مؤسّسات «حقوقيّة إسرائيليّة» إلى أنّ سلطات الاحتلال قامت بهدم خمسة وعشرين ألف مسكن في فلسطين منذ العام ١٩٦٧م.

وفي حين يشكّل الفلسطينيّون ٣٠٪ من السّكّان في القدس، فإنّهم يدفعون ٤٠٪ من قيمة الضّرائب التّي تَجبيها بلديّة الاحتلال، وفي المقابل لا تنفق البلديّة سوى ٨٪ على الخدمات المقدَّمة لهم.

* **نصف المُستعمرين يسكنون في محافظة القدس**: بلغ عدد المواقع الاستعماريّة - أي المستوطنات - والقواعد العسكريّة «الإسرائيليّة» في نهاية العام ٢٠١٢م في الضّفّة الغربيّة ٤٨٢ موقعاً، كما أنّ ٤٩,٨٪ من المُستعمرين يسكنون في محافظة القدس، حيث تجاوز عـددهم ٢٦٧ ألف صهيوني، منهم ١٩٩ ألف يهودي في شرق القدس، وتشكّل نسبة المُستعمرين إلى الفلسطينيّين في محافظة القدس حوالي ٦٨ مُستعمراً، مقابل كلّ ١٠٠ فلسطينيّ.

* **خمسون ألف مَقْدِسي مَمنوعون من الإقامة في المدينة**: في العام ٢٠١٢م، بلغت مساحة الأراضي الفلسطينيّة المعزولة والمحاصرة بين جدار الفصل العنصري، وما يُسمّى بـ«الخطّ الأخضر» ٦٨٠ كم٢، أي ما نسبته ١٢٪ من مساحة الضّفّة الغربيّة.

ويعزل الجدار نهائيّاً حوالي ٣٧ تجمّعاً يقطنُها ما يزيد على ثلاثمائة ألف نسمة، كما حرم الجدار أكثر من ٥٠ ألفاً من حَمَلة هويّة القدس من الوصول إليها والإقامة فيها، بالإضافة إلى ذلك يحاصر الجدار ١٧٣ تجمّعاً سكّانيّاً يقطنها ما يزيد على ٨٥٠ ألف نسمة، وتعتبر مدينة قلقيلية أحد الأمثلة البارزة على ذلك.

صاحبُ أمير المؤمنين عليه السلام في الدّنيا والآخرة

رُشَيد بن عقبة الهَجَريّ

إعداد: «شعائر»

*** رُشَيد بن عقبة الهَجَريّ، من حَواريّي أمير المؤمنين، وحَاملي أسراره، ومُتَلَقّي علومه الخاصّة على يدَيه عليه السّلام.**
*** الأخبار النّاطقة بفضله وجلالته، وبولائه الصّادق لأهل بيت النّبوّة عليهم السّلام، وتحمُّل الأذى في جنبهم، فوق حدّ الاستفاضة معنًى.**
*** قُتل في حبّ أمير المؤمنين عليه السلام، الّذي بشّره بأنّه معه في الدّنيا والآخرة، قتلَه ابن زياد بعد أن أبى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام.**
في ما يلي عرض لسيرته الفاضلة..

مرقد الصحابي الجليل رُشَيد الهَجَري قرب الكوفة

أبو عبد الله، رُشَيْدُ بن عقبة الهَجَريّ. ورُشَيد كزُبَير، والهَجَريّ نسبةً إلى «هَجَر»، وهي قاعدةُ البحرين، وقيل إنّ النّسبة إلى «هَجَر»، بلدةٍ في أقصى اليمن.

لم تُحدّد المصادر تاريخَ ولادته ومكانها، إلّا أنّه من أعلام القرن الأوّل الهجريّ، ومن المحتمل أنّه وُلد في الكوفة.

كان رُشَيد من خواصّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن خُلَّص أصحابه، وقد رُوي عنه عليه السّلام قوله لرُشَيد: «**أَنْتَ مَعِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة**».

وإلى صحبته لأمير المؤمنين عليه السلام، كان رُشَيد من أصحاب الإمام الحسن، ثمّ الإمام الحسين، ثمّ الإمام عليّ بن الحسين، عليهم السّلام، وفي بعض الأخبار أنّه كان بوّابَ سيّد الشّهداء عليه السلام؛ وفي أيّام واقعة كربلاء، كان في محبس ابن زياد بالكوفة.

وممّا يدلّل على عظيم مكانته، هذه الرّواية عن حبّة العرنيّ، قال: لمّا توجّه عليٌّ إلى الخوارج، كان معه رُشيد الهجَري، فقال له: «**يَا رُشَيْدُ، إِنِّي هَوَيْتُكَ، وَإِنِّي مُحَدِّثُكَ حَديثاً، فَخُذْهُ مِنِّي عَلى خِلْوِهِ**».

فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي رجلٌ نَسِيّ. فقال عليٌّ عليه السّلام: «**إِنِّي سَأُعِيدُهُ عَلَيْكَ حَتّى تَحْفَظَهُ: أَحْبِبْ حَبيبَ آلِ مُحَمَّدٍ ما أَحَبَّهُمْ، فَإِذا أَبْغَضَهُمْ فَأَبْغِضْهُ؛ وَأَبْغِضْ مُبْغِضَ آلِ مُحَمَّدٍ ما أَبْغَضَهَمْ، فَإِذا أَحَبَّهُمْ فَأَحِبَّهُ، وَأَنا أُبَشِّرُكَ بِالبُشْرى**». قالها ثلاث مرّات.

وقيل إنّه تشرّف بصُحبَة رسول الله، صلّى الله عليه وآله، لكنّ المرجّح أنّ رُشَيْداً كان من التّابعين، ولم يُدرك النّبيّ ﷺ ومنشأ القول بصُحبتِه، تشابُه الكُنية، وخلطٌ بينه وبين رُشَيد الفارسيّ الأنصاريّ، وهو الذي كنّاه رسول الله ﷺ يومَ أُحدٍ، بأبي عبد الله، كما في بعض السِّيَر.

مسقط رأس الصحابي الجليل باللون الأحمر على الخريطة

على المستوى الاجتماعيّ

المعلومات المُتوفّرة عن حياة رُشيد، رضوان الله عليه، قليلة جدّاً، فلم يَرِد شيءٌ عن أحوال عائلته وأُسرتِه، باستثناء إشارات عابرة إلى ابنته «قنواء».

ويبدو أنّ صداقاته وعلاقاته الاجتماعيّة كانت تقتصر على حواريّي أمير المؤمنين عليه السلام حيث كانت علاقتُه متينةً جدّاً بميثم التّمّار، وحبيب بن مظاهر الأسديّ، وأُويس القرنيّ، وحبّة العرنيّ، وصعصعة بن صوحان، وأخيه زيد، وكميل بن زياد.

خصائص.. ومزايا

ممّا أفاض اللهُ تبارك وتعالى على رُشَيد الهَجَريّ -لعلمه بإخلاصه وإيمانه وتصديقه- أن جعَلَه من أهل العلوم الخاصّة، وقد تلقّاها على يَدَي إمام زمانه أمير المؤمنين عليٍّ، صلوات الله عليه.. فذاك علمٌ آتاه اللهُ جلّ وعلا أنبياءَه ورُسُلَه، وأولياءه وأوصياءَه، وخاصّةَ عباده عن طريق المعصومين الهُداة صلوات الله عليهم.

* عن القنواء بنت رُشَيد، قالت: وكان أميرُ المؤمنين عليه السلام يُسميّه «**رُشَيْد البلايا**»، وقد كان ألقى إليه علمَ البلايا والمنايا. فكان رُشَيد في حياته إذا لَقِيَ الرّجلَ، قال له: أنت تموت بميتةِ كذا، وتُقتَل أنت يا فلانُ بقتلةِ كذا وكذا. فيكون كما يقول رُشَيد.

* وفي روايةٍ عن إسحاق بن عمّار، قال: كنتُ عند أبي الحسن (الكاظم) عليه السلام، ودخل عليه رجل، فقال له أبو الحسن عليه السّلام: «**يا فُلانُ، إنَّكَ تموتُ إلى شَهْرٍ**». قال: فأضمَرتُ في نفسي كأنّه يعلم آجالَ شيعتِه! قال: «**يا إسْحاقُ، وَما تُنْكِرونَ مِنْ ذَلِكَ؟! وَقَدْ كانَ رُشَيْدُ الهَجَرِيُّ مُسْتَضْعَفاً، وَكانَ يَعْلَمُ عِلْمَ المَنايا وَالبَلايا، فَالإمامُ أَوْلَى بِذَلِكَ..**».

المدخل الرئيس للمرقد

* وعن فضيل بن الزّبير، قال: مرّ ميثم التّمّار على فرسٍ له، فاستقبل حبيبَ بن مظاهر الأسديّ عند مجلس بني أسد، فتحدّثا حتّى اختلف أعناقُ فرسَيهما.

ثمّ قال حبيب: «لَكأنّي بشيخٍ أصلع، ضخمِ البطن، يبيعُ البطّيخ عند دار الرّزق، قد صُلِبَ في حُبّ أهل بيتِ نبيّه عليهم السلام، يُبقَر بطنُه على الخشب».

فقال ميثم: «وإنّي لأَعرِفُ رجلاً أحمرَ له صفيدتان، يخرجُ لينصرَ ابنَ بنتِ نبيّه فيُقتل، ويُجالُ برأسِه في الكوفة». ثمّ افترقا، فقال أهلُ المجلس: «ما رأينا أحداً أكذبَ من هذَين».

قال: فلم يفترق أهلُ المجلس حتّى أقبلَ رُشيد الهجَريّ فطلبَهما، فسأل أهلَ المجلس عنهما، فقالوا: افترقا، وسمعناهما يقولان كذا وكذا.

فقال رُشيد: «رحمَ الله ميثماً، ونسي: ويُزاد في عطاء الّذي يَجيء بالرّأس مائةَ درهم»، ثمّ أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهُم.

فقال القوم: واللهِ ما ذهبت الأيّامُ واللّيالي حتّى رأيناه مَصلوباً على دار عمرو بن حُريث، وجيءَ برأس حبيب بن مظاهر، قد قُتل مع الحسين عليه السلام ورأينا كلّ ما قالوا.

* وإلى هذا العِلم.. كان رُشَيد الهَجريّ رجلاً يحمل حكمة وافرة تشرق في قلبه، وقد أفاض بشيءٍ من ذلك على ابنته القَنْواء، فهي تروي عنه قائلة: «قال أبي: يا بنتي، أَمِيتي الحديثَ بالكتمان، واجعلي القلبَ مسكنَ الأمانة».

وقالت يوماً: قلتُ لأبي: ما أشدَّ اجتهادَكَ! فقال: يا بُنيّة، يأتي قومٌ بعدنا بصائرُهم في دينهم أفضل من اجتهادنا. ولعلّه يعني الّذين يُؤمنون بالنّبيّ والأئمّة، عليهم الصّلاة والسّلام، ولم يَرَوهم ولم يشهدوا قضاياهم ودلائلهم.

* وإلى ذلك أيضاً كانت لرُشَيد الهَجَريّ كرامات، أثبت في بعضها أنّه قادرٌ على الخلاص من يد المجرمين الّذين نَوَوا قتلَه، لكنّه مسلِّم لقضاء الله تعالى إذا حان، واثقٌ بالله تعالى، راضٍ بقِسَم؛ منها هذه الكرامة الّتي ذكرها الشّيخ المفيد في (الاختصاص)، قال:

لمّا طلبَ زيادُ ابنُ أبيه رُشَيد الهَجَريّ، اختفى رشيد، فجاء ذاتَ يوم إلى أبي أراكة وهو جالسٌ على بابه في جماعة من أصحابه، فدخل رُشَيد منزلَ أبي أراكة، ففزع لذلك أبو أراكة وخاف، فقام فدخل في أثره، فقال: وَيحَك! قَتَلتَني وأيتَمتَ وُلْدي وأهلتَكهم! قال رُشَيد: وما ذاك؟! قال: أنت مطلوب، وجئتَ حتّى دخلتَ داري وقد رآكَ مَن كان عندي، فقال: ما رآني أحدٌ منهم، قال: وتسخر بي أيضاً؟!

الساحة الداخلية للمرقد

فأخذه أبو أراكة وشدّه كتافاً، ثمّ أدخله حجرةً وأغلق عليه بابها. ثمّ خرج إلى أصحابه فقال لهم: إنّه خُيِّل إليَّ أنّ رجلاً شيخاً قد دخل داري آنفاً، قالوا: ما رأينا أحداً. فكرّر ذلك عليهم، كلّ ذلك يقولون: ما رأينا أحداً. فسكت عنهم.

ثمّ إنّه تخوّف أن يكون قد رآه غيرُهم، فذهب إلى مجلس زياد ليتجسّس هل يذكرونه، فإن هم أحسُّوا بذلك أخبرهم أنّه عنده ودفعَه إليهم.. فسلّم على زيادٍ وقعدَ عنده، وكان الّذي بينهما لطيف، فبينا هو كذلك إذ أقبل رُشَيد على بغلة، وأقبل إلى زياد فسلّم عليه، فقام إليه زياد فاعتَنَقَه فقبّله، ثمّ أخذ يُسائله: كيف قَدِمت؟ وكيف مَن خلّفت؟ وكيف كنتَ في مسيرك؟ ثمّ مكث هنيئةً ثمّ قام فذهب، فقال أبو أراكة لزياد: أصلح اللهُ الأمير، مَن هذا الشّيخ؟! قال: هذا أخٌ مِن إخواننا مِن أهل الشّام، قَدِم علينا زائراً.

فانصرف أبو أراكة إلى منزله، فإذا برُشَيد الهَجَريّ بالبيت كما تركَه، فقال له أبو أراكة: أمّا إذا كان عندك من العلم كلَّ ما أرى فاصنَعْ ما بدا لك، وادخُلْ علينا كيف شئتَ.

إخبارُ أمير المؤمنين عليه السلام بما سَيجري عليه

عن فُضَيل بن الزّبير، قال: خرج أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، يوماً إلى بستان البَرنيّ ومعه أصحابُه، فجلسَ تحت نخلة، ثمّ أمر بنَخلةٍ فلُقِطت فأُنزل منها رُطَب فوُضِع بين أيديهم. فقال رُشَيد الهَجَريّ: يا أمير المؤمنين، ما أطيبَ هذا الرُّطَب! فقال الإمام عليه السّلام: «**يا رُشَيْدُ، أَما إِنَّكَ تُصْلَبُ عَلى جِذْعِها!**».

مشهد إجمالي للمرقد

قال رُشَيد: فكنتُ أختلف إليها طَرَفَيْ النّهار أسقيها، ومضى أمير المؤمنين صلوات الله عليه (أي استُشهِد)، قال: فجئتُها يوماً وقد قُطِعَ سعفُها، قلتُ: اقتَرَبَ أجَلي. ثمّ جئتُ يوماً فجاء العريف (الّذي يعرف أصحابه وقومه) فقال: أجِبِ الأمير. فأتيتُه، فلمّا دخلتُ القصرَ إذا خشبٌ مُلقى، ثمّ جئتُ يوماً آخَرَ، فإذا النّصف الآخر قد جُعِل زُرنوقاً يُستقى عليه الماء، فقلت: ما كَذَبني خليلي. فأتاني العريف فقال: أجِبِ الأمير. فأتيتُه، فلمّا دخلتُ القصرَ إذا الخشب مُلقى فإذا فيه الزُّرنوق، فجئتُ حتّى ضربتُ الزُّرنوق برِجلي، ثمّ قلت: لكِ غُذّيتُ، ولِيَ أُنْبِتِّ...

ثمّ أُدخِلتُ على عبيد الله بن زياد، فقال: هاتِ مِن كَذِبِ صاحبِك، قلت: واللهِ ما أنا بكذّابٍ ولا هو، ولقد أخبرني أنّك تقطعُ يدَيّ ورِجلَيّ ولساني. قال: إذاً - واللهِ - نكذّبُه، إقطعوا يدَيه ورِجلَيه وأخرِجوه.

قال الرّاوي: فلمّا حُمِل إلى أهله، أقبل رُشيد يُحدّث النّاس بالعظائم، وهو يقول: أيّها النّاس سَلُوني، وإنّ للقوم عندي طَلِبةً لم يَقضوها. فدخل رجلٌ على ابن زياد فقال له: ما صنعت؟! قطعتَ يدَيه ورِجلَيه وهو يحدّثُ النّاسَ بالعظائم! قال: فأرسلَ إليه: رُدُّوه. وقد انتهى إلى بابه، فَرَدُّوه، فأمر بقطع لسانه وبصَلْبه

الشّهادة

عن القَنْواء بنت رُشَيد الهجريّ - وقد سألها أبو حيّان البَجَليّ: أخبريني ما سمعتِ من أبيكِ - قالت: سمعتُ أبي يقول: أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «**يا رُشَيْدُ، كَيْفَ صَبْرُكَ مَتى أَرْسَلَ إِلَيْكَ دَعِيُّ بَني أُمَيَّةَ، فَقَطَعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَلِسانَكَ؟!**».

قلت: يا أمير المؤمنين، آخِرُ ذلك إلى الجنّة؟ فقال: «**يا رُشَيْدُ، أَنْتَ مَعِي في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ**».

قالت القَنْواء: فوَاللهِ ما ذهبتِ الأيّام حتّى أرسلَ إليه عبيدُ الله بن زياد الدّعيّ، فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يبرأَ منه، فقال له الدّعيّ: فبأيّ ميتةٍ قال لك (أي أمير المؤمنين عليه السلام) تموت؟

فقال له: أخبرني خليلي أنّك تدعوني إلى البراءة منه فلا أبرأ، فتُقدّمني فتقطع يَدَيّ ورِجلَيّ ولساني، فقال عبيد الله: واللهِ لأُكذِّبنّ قولَه!

فقدّموه.. فقطعوا يَدَيه ورجلَيه وتركوا لسانه، فحملتُ أطرافَ يدَيه ورجلَيه، فقلت: يا أبه، هل تجد ألماً لِما أصابك؟ فقال: لا يا بنتي، إلّا كالزِّحام بين النّاس. فلمّا احتملناه وأخرجناه من القصر اجتمعَ النّاسُ حولَه فقال: آتُوني بصحيفةٍ ودواةٍ، فأتوه بصحيفةٍ ودَواة، فجعلَ يذكرُ ويُملي عليهم أخبارَ الملاحم (وما سيكون)، ويسندُها إلى أمير المؤمنين عليه السلام فبلغَ ذلك ابنَ زياد، فأرسلَ إليه الحَجّامَ حتّى قطعَ لسانه، فمات رحمة الله عليه في ليلته.

وفي عددٍ من المصادر، أنّ رُشَيْداً، رضوان الله عليه، قُتل بوشاية من الشّعبيّ (عامر بن شرحبيل)، فَقيه بني أميّة، بعد أن أنكر على رُشَيْدٍ قوله بالرّجعة فسعى به عند ابن زياد. لكنّ الرّوايات لم تذكر تاريخ استشهاده بالتّحديد، فجرت العادة أن تُحيَى ذِكراه في السّابع من صفر من كلّ عام، مع ذكرى استشهاد الإمام الحسن عليه السلام.

ضريح الشهيد رُشَيد الهَجَري

المرقد الشّريف

يقع مرقد رُشَيد الهجريّ، رضوان الله تعالى عليه، في «باب النّخيلة» ضمن حدود مدينة الكوفة قديماً، وشرقيّ مرقد نبيّ الله ذي الكفل عليه السلام على مسافة كيلو متر واحد عن الطّريق العامّ بين النّجف والحلّة، وتحديداً في منطقة الشّهابيّة التّابعة لناحية الكفل ضمن محافظة بابل، وهو عبارة عن مجموعة كاملة تبلغ مساحتها ألفَي متر مربّع، ويتضمّن الحرم رواقَين: أحدهما للرّجال والآخر للنّساء، ويعلو سطحه قبّة خضراء مكسوّة بالكاشيّ الكربلائيّ.

وقفة

هكذا وَطّنَ أصحابُ أمير المؤمنين عليه السلام أنفسَهم للقتل والشّهادة، وبذا أخبر رسولُ الله، صلّى الله عليه وآله، عليّاً سلام الله عليه، أنْ «**يا عَلِيُّ، إِنَّكَ مُبْتَلًى وَمُبْتَلًى بِكَ فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّكَ وَصَدَّقَ فِيكَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَكَذَبَ عَلَيْكَ، أَمَّا مَنْ أَحَبَّكَ وَصَدَّقَ فِيكَ، فَمَعِي فِي جَنَّتِي، وَأَمَّا مَنْ أَبْغَضَكَ فَفِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

نعم، فأعداء آل البيت عليهم السلام حاولوا قَتلَ كلّ مَن يوالي أهل البيت النّبويّ أو يعتقد بإمامتهم وفضائلهم، حتّى حصدوهم حصداً عن جديد الأرض، وسجنوا جماعةً وعرّضوهم للتّعذيب، وشرّدوا آخرين، إفراغاً منهم لأحقادهم على النّبيّ صلى الله عليه وآله، لأنّه أبادَ الزّعامات الجاهليّة، وقدّم للأمّة أوصياءَه. وكان الامتحان، وكان الابتلاء، وانطوى التّاريخ على عقودٍ من الظّلم، ولم يَفُزْ إلّا الموالون لمحمّدٍ وآل محمّدٍ، صلوات الله عليه وعليهم.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ..﴾
الأنبياءُ كلُّهم مُسلِمون

العلّامة الشّيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله

يتوقّف الشّيخ محمّد جواد مغنيّة في تفسيره (الكاشف) عند قوله تعالى في مَطلع الآية التّاسعة عشرة من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ..﴾، مُبيّناً أنّ الحصرَ الذي تتضمّنُه يشملُ كلَّ الرّسالات التي جاء بها الأنبياء، عليهم السّلام، ولا يختصّ برسالة خاتَم النّبيّين صلى الله عليه وآله.

قال العلّامة الشّيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله:

قد يَرِدُ سؤالٌ: ألَا يدلُّ ظاهرُ هذه الآية على أنّ جميعَ أديان الأنبياء – حتّى دين النّبيّ إبراهيم عليه السلام – ليست بشيءٍ عندَ الله تعالى، إلّا دين رسول الله فقط، معَ العلم بأنّ كلَّ ما جاءَ به الأنبياء حقٌّ وصِدقٌ بإقرارٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله، وبنَصٍّ من القرآن الكريم؟

والجواب: الآيةُ تدلّ تماماً على العكس، فإنّ ظاهرَها ينطقُ بلسانٍ مُبينٍ أنّ كلَّ دينٍ جاءَ به نبيٌّ من الأنبياء السّابقين يتضمّنُ في جوهره الدّعوةَ الإسلاميّةَ التي دعا إليها محمّدُ بنُ عبدِ الله صلى الله عليه وآله.

وإليك – أيّها القارئ – هذه الحقائق الثّلاث:

١) إنّ الإسلام يرتكزُ قبلَ كلِّ شيءٍ على أُصولٍ ثلاثة: الإيمانِ بالله ووحدانيّته، والوَحي وعصمتِه، والبَعثِ وجزائه. وكلّنا يعلمُ علمَ اليقين، ويؤمنُ إيماناً لا يَشوبُه ريبٌ، بأنّ اللهَ سبحانه ما أرسلَ نبيّاً من الأنبياء إلّا بهذه الأُصول.

٢) إنّ لَفْظَ «الإسلام» يُطلَقُ على معانٍ، منها: الخضوعُ والاستسلام، ومنها: الخُلوصُ والسّلامةُ من الشّوائب والأدران. وليس من شكٍّ في أنّ كلَّ دينٍ جاءَ به نبيٌّ من أنبياء الله فهو خالصٌ وسالمٌ من الشّوائب، وعلى هذا يصحُّ أن نُطلقَ اسمَ الإسلام على دينِ الأنبياء جميعاً.

٣) إنّ مصدرَ القرآن واحدٌ لا اختلافَ بين آياتِه، كثيراً ولا قليلاً، بل «**ينطقُ بعضُه ببَعض، ويشهدُ بعضُه على بعض**»، كما قال الإمام عليّ عليه السلام. وإذا تتبّعنا مواردَ لفْظ «الإسلام» في القرآن الكريم، لَوَجدنا أنّ اللهَ سبحانه قد وصفَ جميعَ الأنبياء بـه في العديد من الآيات، وبذلك نعلمُ أنّ الحصرَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ..﴾، هو حصرٌ لجميع الأديان الحقّة بالإسلام، لا حصراً للإسلام بدينٍ دونَ آخر من الأديان التي جاء بها الأنبياء من عند الله تعالى.

من آيات «إسلام» الأنبياء

١) أخبر اللهُ تعالى عن لسان النّبيّ نوح عليه السّلام مخاطباً قومَه: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ يونس:٧٢.

٢) قال تعالى في إبراهيم ويعقوبَ عليهما السّلام: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ البقرة:١٣٠-١٣٢.

٣) أمّا الآية التي هي أصرَحُ من الكلّ، وتَعُمُّ الأوّلينَ والآخرين من الأنبياء، وتَابعيهم، وتَابعي التّابعين، قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران:٨٥. فإذا لم يقبلِ اللهُ إلّا من المسلمين، وقد قَبِلَ من الأنبياء؛ آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وجميع النّبيّين، عليهم السّلام، والتّابعينَ لهم بإحسان، فتكونُ النّتيجةُ الحتميّةُ أنّ النّبيّينَ من عهدِ آدمَ عليه السّلام، حتّى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعَهم المؤمنون بهم... كلّهم من المسلمين.

(مختصر)

في مَسجدِ رسول الله صلى الله عليه وآله يومَ الجمعة

مَوعِظَة من الإمام عليِّ بن الحسَين، زينِ العابدين عليه السلام

إعداد: هيئة التحرير

رَوَى ثِقَةُ الإسلَام، الشَّيخ أبو جَعْفَر، مُحَمَّدُ بنُ يَعقوب الكُلَينيّ، المُتوفّى سَنَةَ ٣٢٩ للهجرة، في (الكافي) الشَّريف، بسَنَده، عَنْ سَعيد بْن الْمُسَيَّب، قال:

«كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، يَعِظُ النَّاسَ، ويُزَهِّدُهُمْ في الدُّنْيَا، ويُرَغِّبُهُمْ في أَعْمَالِ الآخِرَة، بِهَذَا الْكَلَام، في كُلِّ جُمُعَة، في مَسْجِدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله، وحُفِظَ عَنْه وكُتِبَ.. وهنا نص موعظته عليه السلام كما وردت في «الكافي».

أَيُّهَا النَّاسُ!

اتَّقُوا اللهَ، واعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْه تُرْجَعُونَ، فَتَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ، في هَذِه الدُّنْيَا، مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً ومَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ، تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وبَيْنَه أَمَداً بَعِيداً، ويُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَه!

وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ الْغَافِلَ، ولَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْه.

الاستعدادُ للحَافرة

يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّ أَجَلَكَ أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلَيْكَ، قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَكَ حَثِيثاً يَطْلُبُكَ، ويُوشِكُ أَنْ يُدْرِكَكَ، وكَأَنْ قَدْ أَوْفَيْتَ أَجَلَكَ وقَبَضَ الْمَلَكُ رُوحَكَ، وصِرْتَ إِلَى قَبْرِكَ وَحِيداً فَرْدَّ إِلَيْكَ فِيه رُوحَكَ، واقْتَحَمَ عَلَيْكَ فِيه مَلَكَانِ - نَاكِرٌ ونَكِيرٌ -لِمُسَاءَلَتِكَ وشَدِيدِ امْتِحَانِكَ، أَلَا وإِنَّ أَوَّلَ مَا يَسْأَلَانِكَ عَنْ رَبِّكَ الَّذِي كُنْتَ تَعْبُدُه، وعَنْ نَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكَ، وعَنْ دِينِكَ الَّذِي كُنْتَ تَدِينُ بِه، وعَنْ كِتَابِكَ الَّذِي كُنْتَ تَتْلُوه، وعَنْ إِمَامِكَ الَّذِي كُنْتَ تَتَوَلَّاه، ثُمَّ عَنْ عُمُرِكَ فِيمَا كُنْتَ أَفْنَيْتَه، ومَالِكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَه وفِيمَا أَنْتَ أَنْفَقْتَه. فَخُذْ حِذْرَكَ وانْظُرْ لِنَفْسِكَ، وأَعِدَّ الْجَوَابَ قَبْلَ الامْتِحَانِ والْمُسَاءَلَةِ والاخْتِبَارِ، فَإِنْ تَكُ مُؤْمِناً عَارِفاً بِدِينِكَ، مُتَّبِعاً لِلصَّادِقِينَ مُوَالِياً لأَوْلِيَاءِ الله، لَقَّاكَ اللهُ حُجَّتَكَ وأَنْطَقَ لِسَانَكَ بِالصَّوَابِ، وأَحْسَنْتَ الْجَوَابَ، وبُشِّرْتَ بِالرِّضْوَانِ والْجَنَّةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، واسْتَقْبَلَتْكَ الْمَلَائِكَةُ بِالرَّوْحِ والرَّيْحَانِ. وإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ تَلَجْلَجَ لِسَانُكَ، ودَحَضَتْ حُجَّتُكَ، وعَيِيتَ عَنِ الْجَوَابِ، وبُشِّرْتَ بِالنَّارِ، واسْتَقْبَلَتْكَ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِنُزُلٍ مِنْ حَمِيمٍ وتَصْلِيَةِ جَحِيمٍ.

القيامة، يومٌ لا تُقَالُ فيه عَثْرة

واعْلَمْ يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَّ مِنْ وَرَاءِ هَذَا أَعْظَمَ وأَفْظَعَ وأَوْجَعَ لِلْقُلُوبِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿..ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾. يَجْمَعُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِيه الأَوَّلِينَ والآخِرِين، ذَلِكَ يَوْمٌ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، وتُبْعْثَرُ فِيه الْقُبُورُ، وذَلِكَ يَوْمُ الآزِفَةِ: ﴿..إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ..﴾، وذَلِكَ يَوْمٌ لَا تُقَالُ فِيه عَثْرَةٌ، ولَا يُؤْخَذُ مِنْ أَحَدٍ فِدْيَةٌ، ولَا تُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ مَعْذِرَةٌ، ولَا لأَحَدٍ فِيه مُسْتَقْبَلُ تَوْبَةٍ، لَيْسَ إِلَّا الْجَزَاءُ بِالْحَسَنَاتِ والْجَزَاءُ بِالسَّيِّئَاتِ، فَمَنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَمِلَ، فِي هَذِه الدُّنْيَا، مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَجَدَه. ومَنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَمِلَ، فِي هَذِه الدُّنْيَا، مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ شَرٍّ وَجَدَه.

أَشْعِروا قلوبَكم خوفَ الله

* فَاحْذَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الذُّنُوبِ والْمَعَاصِي مَا قَدْ نَهَاكُمُ اللهُ عَنْهَا، وحَذَّرَكُمُوهَا فِي كِتَابِه الصَّادِقِ والْبَيَانِ النَّاطِقِ، ولَا تَأْمَنُوا مَكْرَ اللهِ وتَحْذِيرَه وتَهْدِيدَه، عِنْدَمَا يَدْعُوكُمُ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ إِلَيْه، مِنْ عَاجِلِ الشَّهَوَاتِ واللَّذَّاتِ فِي هَذِه الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾.

* وأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ خَوْفَ اللهِ، وتَذَكَّرُوا مَا قَدْ وَعَدَكُمُ اللهُ فِي مَرْجِعِكُمْ إِلَيْه مِنْ حُسْنِ ثَوَابِه، كَمَا قَدْ خَوَّفَكُمْ مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ، فَإِنَّه مَنْ خَافَ شَيْئاً حَذِرَه، ومَنْ حَذِرَ شَيْئاً تَرَكَه، ولَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ الْمَائِلِينَ إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا، الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِه: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ..﴾.

السّعيدُ مَن وُعِظَ بغَيره

فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللهُ بِمَا فَعَلَ بِالظَّلَمَةِ فِي كِتَابِه، ولَا تَأْمَنُوا أَنْ يُنْزِلَ بِكُمْ بَعْضَ مَا تَوَاعَدَ بِه الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فِي الْكِتَابِ. وَاللهِ، لَقَدْ وَعَظَكُمُ اللهُ فِي كِتَابِه بِغَيْرِكُمْ، فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِه. ولَقَدْ أَسْمَعَكُمُ اللهُ فِي كِتَابِه مَا قَدْ فَعَلَ بِالْقَوْمِ الظَّالِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى قَبْلَكُمْ، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ..﴾، وإِنَّمَا عَنَى بِالْقَرْيَةِ أَهْلَهَا، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿..وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾، فَقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾، يَعْنِي يَهْرُبُونَ، قَالَ: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾، فَلَمَّا أَتَاهُمُ الْعَذَابُ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾.

تُنصَبُ المَوازين، وتُنشَرُ الدّوَاوين، لِأَهلِ الإسلام

وأَيْمُ اللهِ، إِنَّ هَذِه عِظَةٌ لَكُمْ، وتَخْوِيفٌ إِنِ اتَّعَظْتُمْ وخِفْتُمْ، ثُمَّ رَجَعَ الْقَوْلُ مِنَ اللهِ فِي الْكِتَابِ عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي والذُّنُوبِ فَقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾، فَإِنْ قُلْتُمْ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ إِنَّمَا عَنَى بِهَذَا أَهْلَ الشِّرْكِ، فَكَيْفَ ذَلِكَ وهُوَ يَقُولُ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ لَا يُنْصَبُ لَهُمُ الْمَوَازِينُ ولَا يُنْشَرُ لَهُمُ الدَّوَاوِينُ وإِنَّمَا يُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً، وإِنَّمَا نَصْبُ الْمَوَازِينِ ونَشْرُ الدَّوَاوِينِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَمْ يُحِبَّ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وعَاجِلَهَا لأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِه، ولَمْ يُرَغِّبْهُمْ فِيهَا وفِي عَاجِلِ زَهْرَتِهَا وظَاهِرِ بَهْجَتِهَا، وإِنَّمَا خَلَقَ الدُّنْيَا وخَلَقَ أَهْلَهَا لِيَبْلُوَهُمْ فِيهَا أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً لِآخِرَتِه.

تزوّدوا الأعمالَ الصّالحة، قبل تفرُّق أيّام الدّنيا

وَأَيْمُ اللهِ، لَقَدْ ضَرَبَ لَكُمْ فِيه [في القرآن الكريم] الأَمْثَالَ وصَرَّفَ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَازْهَدُوا فِي مَا زَهَّدَكُمُ اللهُ، عَزَّ وجَلَّ، فِيه مِنْ عَاجِلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ، عَزَّ وجَلَّ، يَقُولُ وقَوْلُه الْحَقُّ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾».

فَكُونُوا، عِبَادَ اللهِ، مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ، ولَا تَرْكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ..﴾، ولَا تَرْكَنُوا إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا رُكُونَ مَنِ اتَّخَذَهَا دَارَ قَرَارٍ ومَنْزِلَ اسْتِيطَانٍ، فَإِنَّهَا دَارُ بُلْغَةٍ ومَنْزِلُ قُلْعَةٍ، [يقال: هم على قُلعة – بالضّمّ – أي على رحلة، ومنزل قُلعة، أي غير مملوك] ودَارُ عَمَلٍ، فَتَزَوَّدُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ فِيهَا قَبْلَ تَفَرُّقِ أَيَّامِهَا، وقَبْلَ الإِذْنِ مِنَ اللهِ فِي خَرَابِهَا، فَكَأَنْ قَدْ أَخْرَبَهَا الَّذِي عَمَرَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وابْتَدَأَهَا، وهُوَ وَلِيُّ مِيرَاثِهَا.

فَأَسْأَلُ اللهَ الْعَوْنَ لَنَا ولَكُمْ عَلَى تَزَوُّدِ التَّقْوَى والزُّهْدِ فِيهَا، جَعَلَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي عَاجِلِ زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ لِآجِلِ ثَوَابِ الآخِرَةِ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِه ولَه، وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وآلِه وسَلَّمَ، والسَّلَامُ عَلَيْكُمْ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُه.

الدّنيا دارُ بُلغَةٍ، ومنزلُ قُلْعَة، فتزوَّدوا الأعمالَ الصّالحةَ فيها قبلَ تَفرُّقِ أيّامِها.

إنَّما نَصْبُ الموازين لأهلِ الإسلام، أمّا أهلُ الشِّرك فيُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ زُمَراً.

«مملكة داعش»

الكارثة السّعوديّة.. السّعوديّة الكارثة

بقلم: جان عزيز*

«أن تكون دولة في الألفيّة الثّالثة باسم عائلة، وأن يكون شعب رعيّة بلا هويّة، وأن يكون الآخَر مُلغى، والعقل مُلغى، والفنّ مُلغى، ".." والمرأة مُلغاة... في الفكر والواقع، بالقوّة وبالفعل. هنا تكمن الكارثة السّعوديّة».

مقالة مختارة من جريدة «الأخبار» اللّبنانيّة، تستحقّ الوقوف على ظاهرة عجيبة؛ دولة تعيش في القرن الحادي والعشرين، بمقوّمات قرونٍ خلت، اندثرت أسباب بقائها، إلّا أنّها لا تزال قائمة، بل وتسعى لتلميع صورتها.

وثيقة وقعها ابن سعود للأنجليز يتعهد فيها باعطاء فلسطين لليهود

مع انتفاضة «داعش» العُنفيّة الدّمويّة من شمال غرب العراق، مروراً بسوريا، وصولاً إلى قلب لبنان، تحرّكت الماكينة البروباغانديّة السّعوديّة لمعالجة الأضرار الجانبيّة الّتي يمكن للتّنظيم التّكفيريّ الإرهابيّ أن يكون قد ألحقَها بصورة الدّولة العائليّة. خطّة شاملة وممنهجة وُضعت في الرّياض، طالبة من ممثّليّاتها الدّبلوماسيّة في العواصم المَعنيّة، التّحرّك بسرعة وفاعليّة.

الأهداف المعلنة هي إدانة ارتكابات «داعش» أوّلاً، وتأكيد رفض مملكة العائلة السّعوديّة لها ثانياً، والعمل ثالثاً بكلّ الوسائل المتاحة على «تبييض» صورة العائلة ونظامها أيّاً كان الثّمن. مع رصد إمكانات هائلة وُضعت بتصرّف حملة العلاقات العامّة تلك، للتّعاون مع صحافيّين ووسائل إعلام وأقلام وصفحات ومواقع، وألسن وسياسيّين وصانعي رأي عامّ... دفاعاً عن دولة العائلة. وفي هذا السّياق، تشدّد الحملة السّعوديّة المُضادّة، على عدد من العناوين التّسويقيّة لمعركتها الصّعبة، خصوصاً في بيروت، وبالأخصّ بعد انكشاف التّابعيّات السّعوديّة لعدد من المُشتبه بارتكابهم الجرائم الدّاعشيّة الإرهابيّة.

جاءت الطّامّة الكبرى مع تنافس قطر والمملكة على سرعة العودة إلى الخلف، وهي أنّ الإرهاب لا يبدأ في الدّراع الّتي فجّرت. بل في العقل الّذي كفّر.

تلميعاً لصورة العائلة

عنوان أوّل عامّ، هو أنّ مملكة العائلة تمثّل إسلام الاعتدال في مواجهة إسلام الضّلال الإرهابيّ. **ثانياً**، أنّ نظام العائلة نفسها كان قد صنّف «داعش» تنظيماً إرهابيّاً منذ آذار الماضي، إضافة إلى سواها من التّنظيمات، مثل «جبهة النّصرة»، و«الإخوان المسلمون»، و«حزب الله السّعوديّ»، وغيرها. **ثالث عناوين** بروباغاندا العائلة السّعوديّة، أنّه من المرجّح أن تكون خلايا الإرهاب الدّاعشيّ في بيروت تُخطّط لاستهداف مصالح العائلة السّعوديّة نفسها، وعلى خلفيّة هذا التّصنيف الإرهابيّ بالذّات، مع تفصيلٍ بليد مكمّل لهذا العنوان، يحاول الإيحاء بأنّ «داعش» وأخواتها باتت مُتضرّرة جدّاً من قرار نظام العائلة المذكور. ذلك أنّه حظّر على أيّ سعودي تقديم

* نقلاً عن جريدة «الأخبار» اللّبنانيّة (٢٨ حزيران ٢٠١٤م).

أيّ دعمٍ ماليٍّ لتلك الحركات. علماً أنّ هذه الحُجّة السّمجة، تُعتبَر إدانة للعائلة أكثر ممّا هي إنجاز لسياساتها في مكافحة الإرهاب. وفي السّياق نفسه، يأتي العنوان الأخير الّذي تسعى الحملة الدّعائيّة إلى تسويقه، وهو أنّ أيّ تحقيق لم يظهر مرّة واحدة، منذ بدء الموجات التّكفيريّة والإرهابيّة، بأنّ أيّاً منها قد نال أيّ دعمٍ ماليٍّ رسميٍّ من العائلة السّعوديّة كنظام دولة. مع ما يعني ذلك من إقرارٍ بقنوات تمويل أخرى، ظلّت تُعتبَر فرديّة وشخصيّة، ومبادرات تلقائيّة لا علاقة لدولة العائلة بها.

اللّافت في هذه الحملة، أنّها تخاطب العقل الغربيّ، وخصوصاً الأميركيّ منه، في سطحيّته وفي أحاديّة فكره السّياسيّ. كأنّما الفكر التّكفيريّ والإرهابيّ هو مجرّد عبوة، أو عبارة عن مادّة «سي ٤» وصاعق لا غير. وبالتّالي كأنّما الإرهاب التّكفيريّ هو مختزل ومقتصر على حفنة البترو ـــ دولار الّتي اشترت المادّة المتفجّرة، أو دفعت ثمن الصّاعق، أو أمّنت بدل أتعاب الأصوليّ المُفجّر أو المُتفجّر. ولذلك نرى الأبحاث الغربيّة عموماً والأميركيّة تحديداً، تركّز على الجانب التّمويليّ للإرهاب التّكفيريّ لا غير. منذ ١١ أيلول وإجراءات «باتريوت آكت»، وصولاً إلى كلّ تحقيقات وزارة الخزانة الأميركيّة، وانتهاء بدراسات مراكز الأبحاث. فيما الحقيقة المركزيّة في مكانٍ آخر.

السّعوديّة، دولة عائلة، وشعب بلا هويّة

جاءت الطّامّة الكبرى مع تنافس قطر والمملكة على سرعة العودة إلى الخلف، وهي أنّ الإرهاب لا يبدأ في الذّراع الّتي فجّرت. بل في العقل الّذي كفّر. وفي هذه النّقطة الجوهريّة بالذّات، تظهر المسؤوليّة الجرميّة والجنائيّة، المعنويّة والماديّة الكاملة لنظام العائلة السّعوديّة. من مصر إلى لبنان تتّضح تلك الكارثة الّتي خلّفتها ذهنيّة تلك المملكة وسلوكيّتها. مصر ولبنان بالذّات، لأنّهما أبرز نموذجين لحداثة العالم العربيّ وحضارته وانفتاحه وثقافته وصحافته وتلاقحه مع العالم ومع العصر، ومع رفاه الإنسان وحقوقه. فالقاهرة كانت ولا تزال وستظلّ رائدة العالم العربيّ، وقاطرة فكره وسياسته وثقافته. ومَن يشاهد فيلماً سينمائيّاً لمصر الخمسينات، يسأل نفسه أيّ كارثة حلّت بهذا البلد في غضون نصف قرن، على صعيد حضارته وثقافته وفنونه وكلّ أنشطة العقل والحياة فيه. يروي الشّاهد على كلّ حياة مصر، علاء الأسوانيّ، أنّ تلك الكارثة بدأت بعد العام ١٩٧٣؛ بعد الحرب وأزمة النّفط واضطرار القاهرة إلى أموال الرّياض، وسط بهلوانيّات السّادات ومنهجيّة النّظام السّعوديّ في اختراق الأفكار والعقول. دخل المال السّعوديّ إلى مصر، ودخل معه العقل الوهّابيّ إلى إسلام مصر. وبدأ الانهيار. بعدها جاءت الطامّة الكبرى طبعاً، مع تنافس قطر والسّعوديّة على سرعة العودة إلى الخلف وعلى تسارع التّخلّف. فصارت الكوارث العربيّة تتوالى بسرعةِ انقطاع الضّوء.

في لبنان، العنوان نفسه، والانهيار نفسه. يروي الكاتب محمّد أبي سمرا، في كتابه البحثيّ الموثّق، (طرابلس ساحة الله وميناء الحداثة)، كيف أنّ النّواة الأولى للأُصوليّة هناك بدأت بدعمٍ سعوديٍّ، وتمويلٍ سعوديٍّ، وإيعاز ونموذج سعوديّين. من جماعة «الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر» الوهّابيّة السّعوديّة، إلى «نواة الجيش الإسلاميّ» في لبنان، أوّل تسمية مذهبيّة عنفيّة دخلت تركيبة الشّخصيّة اللّبنانيّة، مثل فيروس معلوماتيّ لم يلبث أن شاع وشلع وشنّع... حتّى أنّ وزيراً طرابلسيّاً يروي طرفةً أنّ أحد المتنوّرين الطّرابلسيّين ترشّح قبل أعوام لانتخابات بلديّة طرابلس. فجعل لبرنامجه الانتخابيّ عنواناً وحيداً: «أَعِدُكم العمل على إعادة طرابلس نصف قرن إلى الوراء»!

مسؤوليّة نظام العائلة السّعوديّة ليست في التّمويل، ولا في جنسيّات الإرهابيّين، ولا في إلغاء سمات الدّخول، ولا في الصّراع المذهبيّ مع الشّيعة، ولا في التّنافس الجيو-استراتيجيّ مع إيران. مسؤوليّة نظام تلك العائلة هي أوّلاً وأخيراً في الفكر. هي في أن تكون دولة في الألفيّة الثّالثة باسم عائلة، وأن يكون شعب رعيّة بلا هويّة، وأن يكون الآخَر مُلغى، والعقل مُلغى، والفنّ مُلغى، والرّبّ مُلغى، والمرأة مُلغاة... في الفكر والواقع، بالقوّة وبالفعل. هنا تكمن الكارثة السّعوديّة، الّتي لا بروباغاندا تنفع معها ولا دعاية تشفع في تسويقها.

أعلم علماء جبل عامل في عصره

إجازات آية الله السّيّد نور الدّين نور الدّين العامليّ

إعداد: «شعائر»

هو آية الله السّيّد نور الدّين بن السّيّد مصطفى بن السّيّد عبد المطّلب نور الدّين العامليّ (١٨٩٨ – ١٩٨٢م).

والده الفقيه السّيّد مصطفى نور الدّين (آل مرتضى)، أجازه اجتهاداً، آيةُ الله الشّيخ عبّاس بن الشّيخ حسن بن الشّيخ جعفر كاشف الغطاء، وللشّيخ عبّاس (رسالة في الإمامة)، وهو من تلامذة المجدّد الشّيرازيّ، والشّيخ مرتضى الأنصاريّ (صاحب الفرائد).

ذكره السّيّد محسن الأمين في (أعيان الشّيعة)، فقال: «السّيّد مصطفى بن السّيّد عبد المطّلب آل نور الدّين الموسويّ العامليّ. قرأ هو وأخوه السيّد محمّد في جويّا على الشّيخ مهدي الخاتونيّ، ثمّ توجّها إلى النّجف، فَقَرَآ فيها مدّة، وكان المترجم عالماً فاضلاً، توفّي في أثناء الحرب العامّة الأولى».

وعلى خُطى والده، تبوّأ السّيّد نور الدّين نور الدّين منزلةً علميّة مرموقة، بعد أن أمضى شطراً من حياته في النّجف الأشرف، حيث أجازه اجتهاداً زعيم الحوزة العلميّة آية الله السّيّد أبو الحسن الأصفهانيّ (صورة إجازة رقم ١)، معبّراً عنه بـ «الفقيه التّقيّ، ثقة الإسلام»، وأجازه اجتهاداً وروايةً (صاحب تنبيه الأمّة وتنزيه الملّة)، الميرزا الشّيخ محمّد حسين النّائينيّ (صورة إجازة رقم ٢)، وبلحاظ المنزلة العلميّة المُجمَع عليها لهذَين العلمَين (الأصفهاني والنّائيني) تتّضح المكانة الرّفيعة للسّيد نور الدّين قدس سره.

وقد نُقل عن العلّامة الشّيخ إبراهيم سليمان

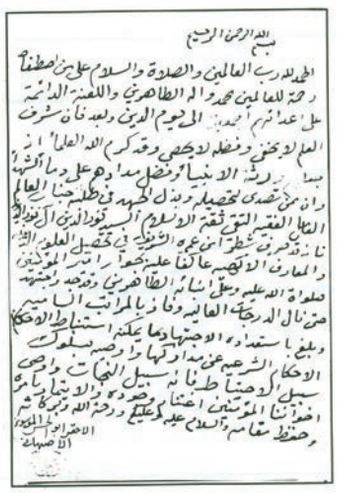

صورة إجازة رقم ١

صورة إجازة رقم ٢

العامليّ، رحمه الله، قوله لبعض أولاد السّيّد نور الدّين: «يشهد الله أنّ بعض الشّهادات التي عند السّيّد نور الدّين غير موجودة عند أحد من العلماء في جبل عامل، من قلعة الشّقيف حتّى لسان البحر».

كما نُقل عن لسان شيخ الفقهاء العارفين، المقدّس الشّيخ محمّد تقي بهجت، ثناءٌ بالغ في حقّ السّيّد مصطفى، وولده السّيّد نور الدّين.

رفض السّيّد نور الدّين تولّي منصب قاضي القضاة في المحكمة الشّرعيّة، مؤكّداً انّه لن يدخل في سلك الوظيفة الحكوميّة، وكان يوم عودته إلى لبنان من النّجف الأشرف يوماً مشهوداً، حيث تقدّم حشود المستقبلين الإمام المغيّب السّيّد موسى الصّدر.

توفّي، رضوان الله تعالى عليه، في العَشر الأواخر من شهر رمضان سنة ١٤٠٢ للهجرة، بعد معاناة شديدة مع المرض، ودُفن في بلدة جويّا العامليّة.

***

يُشار إلى أنّ صورتَي الإجازتَين منقولتان عن الجزء الثّاني من كتاب (جويّا: بين الحاضر والماضي)، وفيه صوَر إجازات أُخَر، صرّح مؤلّفه أنّه استحصل عليها من أحد أولاد آية الله السّيّد نور الدّين رحمَه الله.

دوائر ثقافية

موقف	معنى التّوحيد في القرآن الكريم	السّيّد الطّباطبائيّ قدس سره
فرائد	كم بقيَ النّبيّ يوسف في السّجن؟	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	كتاب «سُليْم بن قيس الهلاليّ»	قراءة: سلام ياسين
بصائر	لا ينجو من الذّنب إلّا مَن أقرَّ به	الشّيخ محمّد أمين زين الدّين قدس سره
مصطلحات	النّفس والرّوح	إعداد: «شعائر»
مصطلحات	علم اللّغة	علي موسى الكعبيّ
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة

معنى التّوحيد في القرآن الكريم

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ قدس سره

مُقتطف من بحث للسّيّد الطّباطبائيّ أورده في الجزء السّادس من تفسير الميزان، مفاده أنّ كمالَ معرفة الله يستوجبُ نَفي الوحدة العدديّة عنه تعالى، وإثبات الوحدة بمعنًى آخر، مُستدلّاً بما رُوي عن أمير المؤمنين، عليه السلام، في هذا الباب، وفي مقدّمه جوابُه عليه السّلام عن سؤال الأعرابيّ يومَ الجمل، ومُستهلّ الخطبة الأولى من (نهج البلاغة)، ويشير العلّامة الطّباطبائيّ إلى أنّ أوّل مَن تفطّن إلى لطائف المعاني الواردة في كلام الأمير صلوات الله عليه، هو صدر المُتألّهين الشّيرازيّ رحمه الله.

القول بأنَّ للعالم صانعاً، ثمَّ القول بأنّه واحد، من أقدم المسائل الدّائرة بين مُتفكّري هذا النّوع [النّوع الإنسانيّ]، تَهديه إليه فطرتُه المركوزةُ فيه. حتّى أنَّ الوثنيّة المبنيّة على الإشراك، إذا أمعنّا في حقيقة معناها وجدناها مبنيّةً على أساس توحيد الصّانع وإثبات شُفعاء عنده: ﴿..مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ..﴾ الزّمر:٣، وإنْ انحرفتْ بعدُ عن مجراها، وآلَ أمرُها إلى إعطاء الاستقلال لآلهةٍ دون الله تعالى.

والفطرةُ الدّاعيةُ إلى توحيد الإله، وإنْ كانت تدعو إلى إلهٍ واحدٍ غيرِ محدودِ العظَمة والكبرياء ذاتاً وصفة، غير أنَّ إلفة الإنسان وأُنسَه في ظرف حياته بالآحاد العدديّة من جانب، وبلاء الملّيّين [في مقابل الدّهريّين] بالوثنيّين والثّنويّين [القائلين بقِدَم النّور والظُّلمة] وغيرهم لنَفي تعدّد الآلهة من جانبٍ آخر، سجّل عدديّةَ الوحدة، وجعل حكم الفطرة المذكورة كالمغفول عنه.

ولذلك ترى المأثور من كلام الفلاسفة الباحثين في مصر القديمة واليونان والإسكندريّة وغيرهم ممّن بعدَهم، يُعطي الوحدة العدديّة، حتّى صرّحَ بها مثلُ الرّئيس أبي عليّ بن سينا في كتاب (الشّفاء)، وعلى هذا المجرى يجري كلامُ غيره ممّن بعده، إلى حدود الألف من الهجرة النّبويّة.

وأمّا أهل الكلام من الباحثين فاحتجاجاتُهم على التّوحيد لا تُعطي أزيدَ من الوحدة العدديّة أيضاً، في عين أنَّ [أي على الرّغم من أنّ] هذه الحجج مأخوذة من الكتاب العزيز عامّة؛ فهذا ما يتحصّل من كلمات أهل البحث في هذه المسألة.

فالذي بيّنه القرآن الكريم من معنى التّوحيد [هو] أوّل خطوة خُطيت في تعليم هذه الحقيقة من المعرفة، غير أنَّ أهل التّفسير والمُتعاطين لعلوم القرآن من الصّحابة والتّابعين، ثمّ الذين يَلونهم أهملوا هذا البحث الشّريف، فهذه جوامعُ الحديث وكُتب التّفسير المأثورة عنهم لا ترى فيها أثراً من هذه الحقيقة لا ببيانٍ شارح، ولا بسلوكٍ استدلاليّ.

ولم نجد ما يكشف عنها غطاءها إلّا ما ورد في كلام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه أفضل السّلام خاصّة، فإنَّ كلامه هو الفاتحُ لِبابها، والرّافعُ لسَترها وحِجابها، على أهدى سبيلٍ وأوضحِ طريقٍ من البرهان، ثمّ ما وقع في كلام الفلاسفة الإسلاميّين بعد الألف الهجريّ [صدر المُتألّهين الشّيرازيّ*]، وقد صرّحوا بأنّهم إنّما استفادوه من كلامه عليه السّلام.

وهذا هو السّرّ في اقتصارنا في البحث الرّوائيّ السّابق [حول التّوحيد] على نقل نماذج من غُرَر كلامِه عليه السّلام الرّائق، لأنَّ السّلوك في هذه المسألة وشرحَها من مسلك الاحتجاج البرهانيّ لا يوجَد في كلام غيره عليه السّلام.

ولهذا بعينه تركنا عقدَ بحثٍ فلسفيٍّ مستقلٍّ لهذه المسألة، فإنَّ البراهينَ المورَدة في هذا الغرض مؤلّفة من هذه المُقدّمات المبيّنة في كلامِه، لا تزيد على ما في كلامِه بشيء، وجميعُها مبنيّة على صَرافة الوجود وأحديّة الذّات جلّت عظَمتُه.

* **توضيح**: صدر المتألّهين قال بـ«وحدة ذات الحقّ الصّرفة»، ونفى كلام المتقدّمين القائلين بالوحدة العدديّة.

والمرادُ من الشّيء المتّصف بالوحدة الصّرفة، هو الذي يكون على نحوٍ من البساطة [عدم التّركيب]، بحيث لو نظرنا إلى أيّ معنًى من معانيه ومصاديقه، لوجدنا أنّه لا يخرجُ عنه، بل هو في داخله، ويمكن القول بأنّه: هُوَ هُو. أو فقُل: صِرفُ الوجود الذي لا أتمّ منه، كلّما فرضتَه ثانياً فإذا نظرت إليه فإذاً هُوَ هُوَ، خلافاً للشّيء المتّصف بالوحدة العدديّة، الذي يُمكن تصوّر نظير وشبيه له خارجه.

فرائد

أنتَ كتمتَ فضائلَ آل محمَّدٍ

«قال جعفر بن إبراهيم الجعفريّ: كنتُ عند الزّهريّ أسمعُ منه، فإذا عجوزٌ قد وقفت عليه فقالت: يا جعفريّ، لا تكتب عنه، فإنّه مالَ إلى بني أُميّة، وأخذَ جوائزَهم؛ فقلتُ: مَنْ هذه؟ قال: أختي رُقيّة خَرِفَتْ، قالت: خرفتُ؟! (بل خرفتَ أنت)، أنتَ كَتَمْتَ فضائلَ آلِ محمَّدٍ».

(السّيّد المرعشيّ، شرح إحقاق الحقّ)

[الزّهريّ المذكور، هو ابن شهاب الزّهريّ، كان نديماً للملوك بني أميّة ومعلّماً لأولادهم، وقد نقل السّيّد المرعشيّ هذه الفقرة عن الجزء السّابع عشر من (مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ص ٣٥٧، دار الفكر بيروت)، والمختصَر للعلّامة المؤرّخ محمّد بن مكرّم، المشهور بابن منظور، صاحب معجم لسان العرب]

عبادةُ الإمام عليّ بن الحسين، زين العابدين عليه السلام

قال الشّهيد الثّاني قدس سره: «الثّمانية المُنتهي إليهم الزّهدُ من التّابعين هم: عامر بن عبد قيس، وأُويس القَرَنيّ..، وهرمز بن حيّان، والرّبيع بن خيثم، وأبو مسلم الخولانيّ، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، والحسن بن أبي الحسن.

قلت: وقد كان الإمام زين العابدين، عليّ بن الحسين عليه السلام، مقدّماً على هؤلاء الثّمانية كلِّهم في ذلك، وكانت عبادتُه في ليلةٍ واحدةٍ تزيدُ على عبادة مجموع الثّمانية».

(الشّهيد الثّاني، الرّسائل: حاشية خلاصة الأقوال)

كم بَقِيَ النّبيّ يوسف في السّجن؟

«عن الإمام الصّادق عليه السّلام: **دَخَلَ يوسُفُ، عَلَيْهِ السّلامُ، السِّجْنَ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَمَكَثَ فيه ثَمانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَبَقِيَ بَعْدَ خُروجِهِ ثَمانين سَنَةً، فَذَلِكَ مائةُ سَنَةٍ وَعَشْرُ سِنينَ**».

(الرّيشهريّ، ميزان الحكمة)

الصّلاة أفضل القُربْ

إنَّ الصَّلاةَ هِيَ أَفْضَلُ القُربْ ... وَأَكْمَلُ الطّاعاتِ طُرّاً وَأَحَبّ
عَمودُ هذا الدِّينِ وَالعُنوانُ ... لِسائِرِ الأَعْمالِ وَالميزانُ
إنْ قُبِلَتْ فَغَيْرُها بِهَا قُبِلَ ... وَإِنْ تُرَدُّ رُدَّ كُلُّ ما عُمِل

(السّيّد بحر العلوم، الدّرّة النجفيّة)

كيف نقرأُ (القدر) في تعقيب العصر

«من المُهمّات من تعقيب [صلاة] العصر قراءة (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) عشرَ مرّات. فإذا أردتَ قراءتَها فَلْتَكُن أنت على صفاتِ مَن هو بين يدَي سلطان الأرضين والسّماوات، يقرأُ كلامَه جلَّ جلالُه في حضرتِه بالهَيبة والاحترام والإعظام، ويقصدُ العبادةَ له، جلَّ جلاله، لأنّه أهلٌ للعبادة، لا لأجلِ الثّواب في دار المقام».

(السّيّد ابن طاوس، فلاح السّائل)

كتاب سُلَيْم بن قَيْس الهلاليّ*
أقدم مُصنَّف عقائديّ - تاريخيّ

قراءة: سلام ياسين

الكتاب: كتاب سُلَيم بن قيس الهلاليّ. (٣ مجلّدات)
المُؤلّف: التّابعيّ سُلَيْمُ بْنُ قَيْسٍ الهِلالِيُّ العامِرِيُّ الكوفِيُّ. (ت: ٧٦ هجريّة)
المُحقّق: الشّيخ محمّد باقر الأنصاريّ الزّنجانيّ.
النّاشر: «دليلنا»، قمّ المقدّسة ١٤٢٤ للهجرة.

(كتاب سُلَيْم بن قيس الهلاليّ) أقدمُ مُصنَّفٍ عقائديٍّ حديثيٍّ تاريخيٍّ وصل إلينا من القرن الأوّل، وهو من الأصول القليلة التي أُلِّفَت قبل عصر الإمام الصّادق عليه السلام، ومن أكبر الكُتبِ التي رَواها أهلُ العلم وحَمَلَةُ الأحاديث، وأقدمِها، فجميعُ ما اشتمل عليه إنّما هو عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، والمقداد، وسلمان الفارسيّ، وأبي ذرّ، ومَن جرى مجراهم ممّن شهدَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله، وأميرَ المؤمنين، عليه السلام، وسمعَ منهما، وهو من الأصول التي ترجع الشّيعة إليها، وتعوّل عليها.

مقدّمة المُحقّق

تناولت مقدّمة هذه النّسخة المطبوعة حديثاً، والتي بين أيدينا مواضيعَ جديرةً بالاهتمام، ولعلّ شيئاً من ضرورتها هو ما أثاره البعض - عمداً أو غفلةً - من شبُهات وتشكيكات حول كلّ كتاب ينتصر لآل الرّسول أو يُعرّض بمخالفيهم من خلال الوثائق الوثيقة، والوقائع الحسّاسة. وبِقَدْر ما تكون بعض الكتب والمؤلّفات مُهمّةً كانت الهجمات التّضليليّة أشدَّ وأعنف، وكتاب سُلَيم نال ما نال من التّضعيف والتّجريح، فيه وفي مؤلّفه، ومن هنا جُرّدت الأقلام العلميّة التّحقيقيّة لدفع التّشويشات الباطلة، كي يبقى هذا الكتاب مرجعاً تاريخيّاً وفكريّاً للمسلمين، بما يحمل مِن مُدوّناتٍ تُوقف العقول الحرّة على الهداية والبصيرة، وتُلزم المسلم بالموقف الصّريح الواضح والنّصرة بالقلب واللّسان على أقلّ الفروض.

مدخل إلى الكتاب

هذا الكتاب، إذاً، أقدم نصٍّ تاريخيٍّ عقائديٍّ في الإسلام، فلا يوجد عند المسلمين بعد كتاب الله تعالى ومواريث الأنبياء التي عند أهل البيت عليهم السلام كتابٌ أقدم من (كتاب سُلَيم بن قيس) رضوان الله عليه، وهي مِيزَةٌ عظيمةٌ لهذا النّصّ التّاريخيّ العقائديّ؛ لأنّ مؤلّفه رحمه الله، أوّل من دوّن في العقائد والتّاريخ الإسلاميّ، ثمّ قام بذلك وحده في ظروفٍ خطيرةٍ دون أن يجد مَن يُعينه في مهمّته، وقد خاطر بحياته من أجل جَمْعِ كتابِه وتأليفه، ثمّ استنساخه وحِفظه والوصيّة به وإيصاله إلى الأجيال من بعده.

وما ذلك إلاّ لأنّ سُلَيماً كان يشعر بمسؤوليّةٍ شرعيّة للقيام بهذه المهمّة التّاريخيّة، وقد شاء الله تعالى أن يُوفّق فينهض بمسؤوليّة هذا الأمر الخطير، فيقدّم للأُمّة الإسلاميّة صورة الوجه الآخر لتاريخها. وقد حافظ العلماء على هذا الكتاب كأقدم تراثٍ عقائديٍّ في الإسلام، ورجعوا إليه في موارد كثيرة من العلوم الإسلاميّة: كالفقه والأصول، والرّجال والحديث، والتّاريخ والتّفسير.. وغيرها.

مزايا هذا الكتاب

ذكر المُحقّق خمساً منها، هي:

١) **موضوعه**: وهو عقائد الإسلام وتاريخه المُتقدّم، وقد كشف كتاب سُليم عن الدّسائس، والوقائع الحسّاسة والخطيرة التي حدثت قُبيل رحيل النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، وبُعَيْدَه.

٢) **ظرف تأليفه**: كتبه سُلَيم بعد المنع المُطلق من تدوين الحديث الشّريف، حتّى ما يتعلّق منه بالسّنن والأحكام.

٣) **حساسيّة الفترة** التي أرّخ سُلَيمٌ فيها كتابه، فكان جريئاً في إقدامه ذاك، حيث دوّن أموراً فاصلةً بين الحقّ والباطل.

٤) **الدّقّة والإتقان** في أخذ الأحاديث وتسجيلها، ما جعل هذا الكتاب مصدراً مهمّاً يحتل الدّرجة الأولى في الوثاقة والاعتماد.

٥) **تدوين التّجاوزات الصّارخة** والانحرافات الكبيرة التي

* نقلاً عن الموقع الإلكترونيّ لشبكة الإمام الرّضا عليه السّلام. (بتصرّف)

أعقبت رحيل رسول الله ﷺ، وتلك مسألة بالغة الأهميّة إذا رُوِيت إلى التّابعين وتابعي التّابعين، لو قُدّر أن يكتمها الصّحابة من المُتفرّجين أو المُشاركين أو المُداهنين!

ثمّ في مقدّمة المحقّق تتتابع المواضيع على هذا النّحو:

١) شهرة الكتاب.

٢) كلمات الأئمّة المعصومين، صلوات الله عليهم، في تأييد الكتاب وأحاديثه: أمير المؤمنين، والإمام الحسن، والإمام الحسين، والإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام جعفر الصّادق، الذي اشتهر عنه قولُه: «**مَن لَم يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْ شِيعَتِنا وَمُحبّينا كِتابُ سُلَيْم بْنِ قَيْسٍ الهلاليّ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ أَمْرِنا شَيْءٌ، وَلَا يَعْلَمُ مِنْ أَسْبابِنا شَيْئاً، وَهُوَ أَبْجَدُ الشّيعَةِ، وَهُوَ سِرٌّ مِنْ أَسْرارِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه**».

٣) كلمات خمسة وسبعين عالماً وفقيهاً في توثيق الكتاب واعتباره، منهم: الشّيخ الطّوسيّ في (الفهرست)، ابن شهرآشوب في (معالم العلماء)، المجلسيّ الأوّل في (روضة المتّقين)، التّفريشيّ في (نقد الرّجال)، الحرّ العامليّ في (وسائل الشّيعة)، الزّركليّ في (الأعلام)، وآخرون.

٤) وبعد ذكر اعتماد العلماء على الكتاب، أورد المحقّق مائة وأربعين اسماً من رواة الكتاب، بعضهم من أصحاب الأئمّة عليهم السلام، إلى عصرنا هذا، وختمهم بالعلّامة الأميني صاحب كتاب (الغدير).

٥) ثمّ أتى المُحقّق بأسانيد (كتاب سُلَيم)، وبالقرائن الموثّقة أنّ رواية القدماء عن سُلَيم كانت عن كتابه.

٦) وتحت عنوان: نُسَخ (كتاب سُلَيم) كتب حول: العناية بحفظ نُسَخ الكتاب، وأسماء الذين تداولوه في كلّ قرن، والقراءة والمناولة في نقل الكتاب، والأسانيد الموجودة في أوّل النُّسَخ، وأربعة أسانيد إلى الشّيخ الطّوسيّ وأخرى إلى غيره.

هذا، وبلغت مخطوطات الكتاب سبعين نسخة، ولكنّ الموجود منها اليوم تسعة وعشرون، قال المحقّق: «وعندنا منها ثلاثة وعشرون نسخة، ونسختنا المطبوعة المُحقّقة حصلت بالمقابلة عليها جميعاً». وهي: نسخة الشّيخ الحرّ العامليّ، ونسخة العلّامة المجلسيّ، ونُسخ «مكتبة العتبة الرّضويّة المقدّسة» وغيرها...

وثاقةُ المؤلّف

مؤلّف الكتاب، هو سُلَيْمُ بْنُ قَيْسٍ الهلاليُّ، التّابعيُّ، العامريُّ الكوفيُّ، من خواصّ أمير المؤمنين والأئمّة الحسن والحسين وزين العابدين عليهم السلام، وقد أدرك الإمام الباقر عليه السلام.. شهدَ وقعةَ الجمل وصفّين والنّهروان. وكان سُلَيم رجلاً كتوماً، سيرته الخفاء، فلم يطّلع عليه بنو أُميّة، حتّى عرفه الحجّاج فطلبه سنة ٧٥ هجريّة، فهرب منه ومعه كتابه، فساح مُتخفّياً من بلدٍ إلى آخر، حتّى وصل إلى مدينة (نوبندجان) بالقرب من شيراز ببلاد فارس، وهناك تعرّف إليه أبان بن أبي عيّاش راوي كتابه، ومرض هناك فتُوفّي سنة ٧٦ هجريّة، عن عمر بلغ ٧٨ عاماً.

أمّا وثاقته فقد تثبّت عليها المُحقّق من خلال أربعة عشر كتاباً ومؤلّفاً من الأعلام الذين عرّفوا بسُلَيم وأثنوا عليه وأكّدوا وثاقته وجلالته، منهم: ابن النّديم في (الفهرست)، البرقيّ في (رجاله)، العلاّمة الحلّيّ في (خلاصة الأقوال)، الشّيخ المفيد في (الاختصاص)، الكشّيّ في (اختيار معرفة الرّجال)، النّجاشيّ في (رجاله)، العلاّمة المجلسيّ في (بحار الأنوار)، السّيّد محسن الأمين في (أعيان الشّيعة)، العلاّمة الأميني في (الغدير)، والسّيّد الخوئيّ في (معجم رجال الحديث).. وكان في ترجمتهم لسليم عبارات عالية في المدح والثّناء والتّجليل والتّوثيق.

موضوعات الكتاب

موضوعات الكتاب، في معظمها حديثيّة، لم يؤلّف فيها أحدٌ قبل سُليم، وهي ثلاثة أقسام:

الأوّل: الأحاديث الأساسيّة في الاعتقاد: حديث الغدير، وحديث الثّقلين، وحديث المنزلة، وحديث السّفينة، وحديث باب حِطّة، وحديث الحوض، وحديث سدّ الأبواب، وحديث الكساء وآية التّطهير، وحديث المباهلة، وحديث الكتف!

الثّاني: المسائل العقائديّة المهمّة: الفَرق بين الإسلام والإيمان، معنى أنّ النّبيّ والأئمّة حججُ الله تعالى على النّاس، مَن هم المفسّرون الشّرعيّون للقرآن، من هم مستحقّو الخلافة، معنى فريضة الولاية، نصوص رسول الله، صلّى الله عليه وآله، على إمامة الاثني عشر وذكر أسمائهم.. وغيرها.

الثّالث: المسائل التّاريخيّة المهمّة: حروب رسول الله ﷺ، ومواساة الإمام عليّ وإيثاره وفداؤه النّبيَّ ﷺ وإشهاد النّبيّ أصحابه على ولاية أمير المؤمنين مِن بعده، ومؤامرة المنافقين في محاولتهم قتل النّبيّ ﷺ، وأخبار السّقيفة والهجوم المكرّر على دار الزّهراء عليها السّلام.. وغيرها.

من أحكام «جهاد النّفس»

لا يَنجو من الذّنْب إلّا مَن أقرّ به

المرجع الرّاحل الشّيخ محمّد أمين زين الدّين قدس سره

أَوْرَدَ المرجعُ الرّاحلُ الشّيخ محمّد أمين زين الدّين في آخر الجزء الثّاني من رسالته العمليّة (كلمة التّقوى)، في باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، جملةً من المسائل جمعَها تحت عنوان «جهاد النّفس»، ومنها كان اختيار «شعائر» التّالي.

(مسألة): يجبُ على العبد المُكلَّف أن يجتنبَ الذّنبَ وإنْ كان صغيراً، فضلاً عن كبائر الذّنوب، فَفي خبرِ زيد الشّحّام عن أبي عبد الله عليه السلام: «**اتَّقُوا المُحَقّراتِ مِنَ الذُّنوبِ فَإنَّها لا تُغْفَرُ**، قلت: وما المحقّرات؟ قال عليه السّلام: **الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ، فَيَقولُ: طوبى لي إنْ لَمْ يَكُنْ لي غَيْرُ ذَلِكَ**»،

وعن الرّسول صلى الله عليه وآله: «**إيّاكُمْ وَالمُحَقَّراتِ مِنَ الذُّنوبِ، فَإنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ طالِباً، أَلا وَإنَّ طالِبَها يَكتُبُ ﴿..مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يس:١٢**»،

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَشَدُّ الذُّنوبِ ما اسْتَهانَ بِهِ صاحِبُهُ**».

ويحرمُ على العَبد أن يُصِرَّ على شيءٍ من مَعاصي الله، صغيرةً كانت المعصيةُ أم كبيرةً، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**لا وَاللهِ، لا يَقْبَلُ اللهُ شَيْئاً مِنْ طاعَتِهِ عَلى الإصْرارِ عَلى شَيْءٍ مِنْ مَعاصيهِ**».

وعنه عليه السّلام: «**لا صَغيرَةَ مَعَ الإصْرارِ، وَلا كَبيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفارِ**».

وعن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿..**وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ آل عمران:١٣٥، قال عليه السّلام: «**الإصْرارُ أَنْ يُذْنِبَ وَلا يَسْتَغْفِرَ اللهَ، وَلا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ، فَذَلِكَ الإصْرار**».

التّوبةُ واجبةٌ شَرعاً

(مسألة): **تجبُ التّوبةُ على العبدِ إذا هو:**

١) تركَ واجباً من واجباتِ الله سبحانه، صغيراً كان أم كبيراً.

٢) أو اقترفَ ذَنْباً.

٣) أو أصرَّ على ذنبٍ صغير.

٤) أو فعلَ كبيرةً من كبائر الذّنوب، وأصرَّ على فِعلها.

٥) بل وإنْ تَمادى به الغَيُّ فارتكبَ عدّةً من الكبائر، وأصرَّ على فعلها مُدّةً من حياته.

فإذا ندمَ على ما فعل، وتابَ إلى الله توبةً نصوحاً ممّا اقترف، وكملت له شروطُ التّوبة، وأخلصَ لله فيها، قَبلَ اللهُ منه توبتَه، فإنَّ الله ﴿.. **يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ البقرة:٢٢٢، كما يقول في كتابه الكريم، وكما يقول سبحانه في آيةٍ أخرى: ﴿..**وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ**..﴾ الرّعد:٦، وكما وعد سبحانه به أهلَ السّيّئات من عباده، وإنْ كانت سيّئاتُهم موبقةً، فقال: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ**..﴾ التّحريم:٨.

وفي الحديث عن الرّسول صلّى الله عليه وآله: «**التّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ**». «..»

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا شَفيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ**».

وعن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام: «**فَأَمّا الظُّلْمُ الّذي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، فَإذا تابَ، غُفِرَ لَهُ**».

النَّدَم، أوّلُ شؤون التّوبة

(مسألة): يجبُ على العبد المُذنبِ أن يندمَ على معصيتِه ندامةً يَأسى بها على ما فرَّط، ويستحيي ممّا واجهَ به ربَّه من جُرمٍ، وخصوصاً إذا كانَ ما عَمِلَه كبيرةً أو إصراراً على معصية.

والنّدمُ أوّلُ شؤونِ التّوبة، بل هو أوّلُ الواجباتِ المقوّمة لها، فعن الرّسول صلّى الله عليه وآله: «**كَفى بِالنَّدَمِ تَوْبَةً**».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ النَّدَمَ عَلَى الشَّيْءِ يَدْعو إلى تَرْكِهِ**».

فإذا نَدم الرّجلُ واستحيا من سيّئ عملِه، وعزمَ في نفسه عزماً صادقاً على أن لا يعودَ إلى فِعْلِه ما بَقِيَ في الحياة، فقد حصلَ منه الرّكنُ الأساسُ من توبتِه، وهو التّوبةُ النّصوح، كما ورد عن أبي عبد الله عليه السّلام، وعن ولده أبي الحسن موسى [الكاظم] عليه السّلام في تفسير الآية الكريمة.

ومن دلائل شدّة النّدم على الذّنب أن يعترفَ المُذنِبُ على نفسه بالإساءة والتّقصير، وأنّه يستحقُّ العقابَ على ما فرّط، فعن أبي جعفر عليه السلام: «**وَاللهِ، ما يَنْجو مِنَ الذَّنْبِ إِلّا مَنْ أَقَرّ بِهِ**»، وعنه عليه السّلام: «**لا وَاللهِ، ما أَرادَ اللهُ مِنَ النّاسِ إِلّا خَصْلَتَيْنِ: أَنْ يُقِرّوا لَهُ بِالنِّعَمِ فَيَزيدَهُمْ، وَبِالذُّنوبِ فَيَغْفِرَها لَهُمْ**».

لا تصحّ توبةُ العبد إلّا بِرَدّ المَظالم إلى أهلِها، فإذا عجزَ، وجبَ عليه الاستغفارُ لهم.

ما يترتّب على التّوبة النّصوح

(مسألة): **يجبُ على النّادم التّائب من ذنوبه أن:**

١) يؤدّيَ كلَّ فريضةٍ واجبةٍ تركها قبل توبته، إذا كانت الفريضةُ ممّا يجب قضاؤها.

٢) ويَلزمُه دفعُ كفّارتها إذا كانت ممّا تجبُ فيه الكفّارة.

٣) ويجبُ عليه أداءُ الكفّارات الأخرى الّتي اشتغلتْ بها ذمّتُه، ككفّارات النّذور والعهود والأَيْمان والمُخالفات الّتي ارتكبها. «..»

٤) ويجب عليه أن يؤدّيَ للنّاس حقوقَهم وأموالَهم الّتي استولى عليها بغيرِ حقّ، فيؤدّيها إلى أصحابها، أو يستبرئَ ذمّتَه منهم بوجهٍ شرعيّ آخَر، **ولا تصحّ توبتُه بغير ذلك مع القُدرة والتّمكُّن، وإذا عَجِزَ عن ذلك، ولم يُمكنه أن يردّ المَظالم إلى أهلِها، وجبَ عليه الاستغفارُ للمظلومين.**

وجوبُ تجديد التّوبة، عند تجدّد الذّنب

(مسألة): يجبُ على العبد أن يُجدّدَ التّوبةَ كلّما تَجدّدَ منه الذّنبُ، وتصحّ منه توبته إذا اجتمعت الشّروطُ الّتي ذكرناها، وإنْ تكرّرت.

اليَأسُ من رحمة الله تعالى، محرَّمٌ شرعاً، وهو من علامات الكُفر.

ولا يجوز له أن يَيأس من رَوح الله، أو يقنطَ من رحمتِه، فعن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**يا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، ذُنوبُ الْمُؤْمِنِ إِذا تابَ مِنْها مَغْفورَةٌ لَهُ، فَلْيَعْمَلِ الْمُؤْمِنُ لِما يَسْتَأْنِفُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَما وَاللهِ، إِنَّها لَيْسَتْ إِلّا لِأَهْلِ الإيمانِ**.

قلتُ: فإنْ عادَ بعد التّوبة والاستغفار من الذّنوب، وعادَ في التّوبة؟

قال عليه السّلام: **يا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، أَتَرى العَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَنْدَمُ عَلى ذَنْبِهِ وَيَسْتَغْفِرُ مِنْهُ وَيَتوبُ، ثُمَّ لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ تَوْبَتَهُ؟!**

قلتُ: فإنْ فعلَ ذلك مراراً، يُذنب ثمّ يَتوبُ ويَستغفر؟

فقال: **كُلَّما عادَ الْمُؤْمِنُ بِالاسْتِغْفارِ وَالتَّوْبَةِ عادَ اللهُ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ، وَإِنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيمٌ، يَقْبَلُ التَّوْبَةَ وَيَعْفو عَنِ السَّيِّئاتِ، فَإِيّاكَ أَنْ تُقَنِّطَ الْمُؤْمِنينَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**».

مصطلحات

النّفس، والرّوح

تغاير وتواصل في نفس الأمر

إعداد: «شعائر*»

تعريفُ النّفسِ والرّوح ليسَ بالأمر الهَيِّن، إذ الكلامُ في حقيقتهما سرٌّ من الأسرار الّتي لا تتحمّلُها كلّ العقول، فهذه المسألة من معضلات المسائل لأنّ الكلام فيها يقع تارةً في تعريف كلّ منهما على حدة، وتارة أخرى في الفرق بين حقيقتَيهما تبعاً لمَن قال باختلافهما مصداقاً، وتارةً ثالثةً في خصائص ووظائف كلٍّ منهما، وتارةً رابعة في اختلاف التّعريفات بحسب اختلاف المذاهب والاتّجاهات والآراء .

فتعريفُ الرّوح والنّفس فلسفيّاً يختلفُ عن تعريفِهما عقائديّاً (كلاميّاً)، بل تتنوّعُ التّعريفات بحَسب المدارس الفكريّة المنشعبة عن علمَي الكلام والفلسفة، فَللمشّائين من الفلاسفة تعريفٌ يُغاير ما عند الإشراقيّين، ولعلماء الكلام تعاريفُ متفاوته بحسب مبنى كلّ طائفة منهم.

تعريفُ النَّفْس

النّفس عند الحكماء: هي كمالٌ أوّلٌ لجسم طبيعيّ آليّ من جهة ما يتغذّى وينمو، أو يحسّ ويتحرّك بالإرادة، أو يعقلُ الكلّيات ويستنبطُ الآراء، وقد يعبَّر عن كلّ ذلك بلازمٍ واحد، وهو: من حيث أنّه ذو حياةٍ بالقوّة.

وهي على أنواع: نفسٌ نباتيّة، وخاصّيّتُها التّغذية والنّموّ. ونفس حيوانيّة، وخاصّيّتُها الحسّ والحركة الإراديّة. ونفس ناطقيّة، وخاصّيتُها إدراكُ المَعقولات. ونفس قُدسيّة، وخاصّيّتها أن تكون محلّاً للفيوضات الرّبّانيّة والأسرار الإلهيّة.

تعريفُ الرّوح

أمّا الرّوح: فهي رقيقةٌ أو لطيفة ربّانيّةٌ، شأنها الحياة، ومصدرُها عالم «**الأمر**»، قال تعالى: ﴿وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّي..﴾ الإسراء:٨٥.

وقال بعض الحكماء: هي من عالم «الرّقائق» الّذي هو برزخٌ بين الجبَروت والملكوت، إذ أنّ عالم الجبروت هو عالَم العقول المجرّدة عن المادّة والصّورة معاً، وعالم المَلكوت هو عالم الصّور المجرّدة عن المادّة فقط، والرّوحُ أعلى تجريداً من النّفس ودون تجريد العقل، فهي برزخٌ بينهما.

وقد مثّل لها بعضُ أهل المعرفة بالكهرباء السّارية في الأجهزة الكهربائيّة. فهي الحيويّة السّارية في أجزاء البَدَن، والموتُ يحصل بمفارقة الرّوح للبَدن، وليس كذلك النّفس، فيُمكن أن تغادر النّفسُ البدن - كما في النّوم والإغماء - ثمّ تعود إليه، أمّا الرّوح فلا تفارقُ الحَيوان (وهو جنس الإنسان) إلّا حينَ الموت، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عَود مجاورة، لأنّها باقيةٌ غيرُ فانية، أي أنّها تعود إلى عالَمها الّذي منه أُنزلت.

مآلُ النّفوس

أمّا مصير النّفوس بعد الموت إلى عالَم البرزخ فمُسَلَّم، والسّعادةُ والشّقاءُ يكونان تبِعاً لأعمالها في الدّنيا، والشّعور بالمشاعر والقوى يتضاعفُ حين تحرّرها من البدن، وهذا مصداقُ قوله تعالى: ﴿لَقَد كُنتَ فِي غَفلَةٍ مِن هَذَا فَكَشَفنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَومَ حَدِيدٌ﴾ ق:٢٢، وهي تذهبُ إمّا إلى نار البرزخ أو إلى جنّة البرزخ بحسب ما انتهت إليه فعليّتُها ومَلَكاتُها، فإنّ للأعمال أكبرَ الأثر في حصول الفعليّات والمَلَكات النّفسيّة، فالأعمالُ الصّالحةُ تُوجِبُ دخولَ جنّة البرزخ حتّى قيامِ القيامة الكُبرى للحساب بين يدَي ربّ الأرباب، والأعمالُ الطّالحة تُوجِبُ دخولَ النّار حتّى قيام القيامة الكبرى كذلك، وهذه الجنّة والنّار دون جنّة القيامة ونارها من حيث الرّتبة.

* نقلاً عن الموقع الإلكترونيّ لـ «شبكة العقائد الإسلاميّة».

علمُ اللّغة

كثُرت المصطلحات والتأويل واحد

علي موسى الكعبيّ*

«اللّغة» مُشتقّةٌ من: لَغا، يَلغو، إذا تكلّم؛ فمَعناها الكلام؛ واستُعملت كلمة «لغة» عند العرب للدّلالة على اللّهجة الدّارجة لدى قبيلةٍ من القبائل، أو في بيئةٍ عربيّةٍ محدّدة

عُرّفت اللّغة في «الاصطلاح» بتعريفات عديدة، أشهرُها ما ذكره أبو الفتح ابن جنّيّ في كتابه (الخصائص)، حيث قال: «**حَدُّ اللُّغَةِ: أَصْواتٌ يُعبِّرُ بها كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْراضِهِمْ**».

وهذا التّعريف يضارعُ أحدثَ التّعريفات العلميّة للّغة؛ حيث ترى تلك التّعريفات أنّ اللّغة:

أ) أصواتٌ منطوقة.

ب) وأنّ وظيفتَها التّعبيرُ عن الأغراض.

ج) وأنّها تكونُ بينَ قومٍ يتفاهمون بها.

د) وأنّ لكلّ قومٍ لُغَة.

من العلوم المتفرّعة على «اللّغة»

أولاً) فقهُ اللّغة: الفِقهُ، لغةً، هو العلمُ بالشّيء، والفَهمُ له، والفِطنَةُ فيه. يُقال: فَقُهَ الرَّجلُ فقاهةً، إذا صار فقيهاً، وفَقِهَ: أي فهم. وقد غلبَ استعمالُ «الفقه» على علوم الدّين؛ لشَرَفِها.

وَفِقْهُ اللُّغَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ اللُّغَوِيّة هو: فَهْمُ اللّغة، والعِلمُ بها، وإدراكُ كُنْهِهَا.

أمّا التّعريفُ الاصطلاحيّ لـ «فقه اللّغة» فهو: العِلمُ الّذي يُعنَى بفَهمِ اللّغة، ودراسةِ قَضاياها، وموضوعاتِها.

ويشملُ ذلك خصائصَها الصّوتيّة، والصّرفيّة، والنَّحْويّة، والدّلاليّة، وما يطرأُ عليها من تغييرات، وما ينشأُ من لَهَجَات.

ثانياً) علم اللّغة: هو دراسةُ اللُّغةِ عَلى نَحوٍ علميٍّ.

وبعضُ اللّغويّين المُحدَثين يفرّقُ بين عِلم اللّغة وفقه اللّغة. فَعِلمُ اللّغة يقدّمُ لنا النّظريّةَ الّتي تفسِّرُ اللّغةَ الإنسانيّة، ويقدّمُ المناهجَ الّتي تَدرسُها. واللّغةُ الّتي يَبحث فيها هذا العلم ليست هي اللّغة العربيّة، أو الإنجليزيّة، أو الألمانيّة، وإنّما هي اللّغةُ في ذاتِها ومن أجلِ ذَاتها. فهذا العلم يستقي مادّته من **النّظر في اللّغات على اختلافِها**، ويحاولُ أن يصلَ إلى فهمِ الحقائق والخصائص الّتي تجمعُ اللّغاتِ الإنسانيّة كلَّها في إطارٍ واحد. لذلك أُطلق عليه «**عِلمُ اللّغة العامّ**». وبعضُهم يجعلُهما شيئاً واحداً؛ ذلك لأنّ العلمَ والفقهَ شيءٌ واحدٌ.

ثالثاً) فيلولوجيا: إنّ كلمة «فيلولوجيا» مُقتبسَة من جَذرَين يونانيَّيْن؛ يُراد بأوّلهما «**حبّ**»، وبثانيهما «**لغة**». ويطلَق هذا المصطلح، في اللّغة الفرنسيّة، أساساً على عمليّة نَشْر النّصوص القديمة. ويُستخدَم، في ألمانيا وفي بلدان أوروبيّة أخرى، غالباً، بمعنًى فضفاضٍ إلى حدّ تَسويته أحياناً بمفهوم «علم اللّغة». ويُمكننا أن نعدّ **الفيلولوجيا**، بمعناها الدّقيق، إعادةَ تشكيل أو تجديدِ النّصوص المكتوبة بلُغة منقَرضة أو قديمة.

ومن المُمكِن التّمييزُ بين طَوْرَين أساسيّين في **الفيلولوجيا**؛ طورٍ أوّلٍ كانت تهدفُ خلالَه، بالأساس، إلى نَقْل النّصوص بكيفيةٍ تجعلُ القارئَ يتلقّى أقصى ما يُمكن من معطيات التّأويل الّتي تسمحُ له بالوقوف على النّص الأصليّ. ونرى أنّ مجال الفيلولوجيا يتحدّد في هذا الطّور في مجالَين:

الأوّل: اختصَّ بفَكّ الرّموز القديمة، والاهتمام بالآثار.

والآخر: اهتمّ بتحقيق النّصوص والمخطوطات بُغْيَة نَشْرِها.

وطورٍ ثانٍ يبتدئُ مع القرن التّاسع عشر؛ حيث توسّعَ علماء الفيلولوجيا، إلى مناقشة دلالة النّصوص المكتوبة عامّةً، في سَعيٍ إلى فهمِها وتحليلِها، واجتهادٍ إلى تَرميم مقاصدِ الكاتب ودلالةِ الأصل معاً.

* أستاذ مادّة اللّغة في «جامعة ميسان» العراقيّة.

حِكم

.. إِنَّهُ قَد أُحْصِيَ الحَلالُ الصَّغيرُ

من مَواعظ لقمان الحَكيم

يا بُنَيَّ، إِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ قالَ: اغْفِرْ لي، غُفِرَ لَهُ، إِنَّهُ لا يُغْفَرُ إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ.

يا بُنَيَّ، لَا تَشْتِمِ النّاسَ، فَتَكُونَ أنتَ الّذِي شَتَمْتَ أَبَوَيْكَ.

يا بُنَيَّ، إِيّاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيا فَقيراً، وَتَدَعَ أَمْرَكَ وَأَمْوالَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ قَيِّماً، فَتُصَيِّرُهُ أَميراً.

يا بُنَيَّ، لا تَأْمَنِ الدُّنْيا وَالذُّنوبَ، وَالشَّيْطانُ فيها.

يا بُنَيَّ، إِنَّهُ قَد أُحْصِيَ الحَلالُ الصَّغيرُ، فَكَيفَ بِالحَرامِ الكَثِير؟

يا بُنَيَّ، اجْعَلِ الدُّنْيا سِجْنَكَ، فَتَكونَ الآخِرَةُ جَنَّتَكَ.

يا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَمْ تُكَلَّفْ أَنْ تَشيلَ الجِبالَ وَلَمْ تُكَلَّفْ ما لا تُطيقُهُ، فَلا تَحْمِلِ البَلاءَ عَلى كَتِفِكَ، وَلا تَذْبَحْ نَفْسَكَ بِيَدِكَ.

(الاختصاص، الشّيخ المفيد)

لغة

شول

الشِّينُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِارْتِفَاعِ؛ مِنْ ذَلِكَ:

* شَالَ الْمِيزَانُ، إِذَا ارْتَفَعَتْ إِحْدَى كِفَّتَيْهِ. وَيُقَالُ: شالَ ميزانُ فُلانٍ يَشُولُ شَوَلاناً؛ وهو مَثَلٌ في الْمُفاخَرَةِ.

* وَأَشَلْتُ الشَّيْءَ: رَفَعْتُهُ. * والْمَاءُ الْقَلِيلُ يُسَمَّى شَوْلًا، لِأَنَّهُ إِذَا قَلَّ خَفَّ، سَرُعَ ارْتِفَاعُهُ وَذَهَابُهُ.

* وَيُسَمَّى الْخَادِمُ الْخَفِيفُ فِي الْخِدْمَةِ: شَوِلًا؛ لِسُرْعَةِ ارْتِفَاعِهِ فِيمَا يَنْهَضُ فِيهِ.

* وَالشَّوْلُ مِنَ الْإِبِلِ: الَّتِي ارْتَفَعَتْ أَلْبَانُهَا، الْوَاحِدَةُ شَائِلَةٌ.

وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ شَوَالًا سُمِّيَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهُ وَافَقَ وَقْتَ أَنْ تَشُولَ الْإِبِلُ.

وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ عليه السّلام: «**فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ**»، أَيِ الذي يَزْجُرُ إِبِلَهُ لِتَسِيرَ.

* وَشَوْكَةُ العَقْرَبِ التي تَضْرِبُ بها تُسَمَّى الشَّوْلَةَ، وَالشَّبَاةَ، وَالشَّوْكَةَ، وَالإِبْرَةَ، وبِشَوْلَةِ العَقْرَبِ سُمِّيَتْ إِحْدَى مَنازِلِ القَمَرِ في بُرْجِ العَقْرَبِ شَوْلَةَ، أمّا الْعَقْرَبُ فَيُقالُ لَها: شَوَالَةَ.

* وَيُقَالُ: تَشَاوَلَ الْقَوْمُ بِالسِّلَاحِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَذَلِكَ أَنْ يشِيلَ كُلُّ السِّلاحَ لِصَاحِبِهِ.

* وامْرَأَةٌ شَوَّالَةٌ: نمّامةٌ.

* وَيُقالُ: شالَتْ نَعامَةُ القَوْمِ، أَيْ خَفَّتْ مَنازِلُهُمْ مِنْهُمْ. وَيُقالُ: شالَتْ نَعامَتُهُمْ: إِذا تفرَّقَتْ كَلِمتُهُمْ، وَذَهَبَ عِزُّهُمْ، أَو إِذَا مَاتوا وتَفَرّقوا، كأَنَّهم لم يَبْقَ مِنْهُمْ إِلّا بَقِيَّةٌ. وَالنَّعامَةُ الجَماعةُ.

(مختصَر: عن مقاييس اللّغة، ولسان العرب، وتاج العروس)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ

بين الأعمَش وأبي حنيفة

«عن شريك بن عبد الله، قال: حضرتُ الأعمشَ [سليمان بن مهران المحدِّث، توفّي سنة ١٤٨ للهجرة] في عِلَّتِه الّتي قُبِضَ فيها، فبينا أنا عندَه، إذ دخلَ عليه ابنُ شبرمة وابنُ أبي ليلى وأبو حنيفة، فسألوه عن حاله، فذكر ضَعْفاً شديداً، وذكرَ ما يتَخوّفُ من خَطيئاته، وأدرَكَته رنّةٌ فبكى!

فأقبل عليه أبو حنيفة، فقال: يا أبا مُحمّد، اتّقِ اللهَ وانظُر لنفسِك، فإنّكَ في آخِرِ يومٍ من أيّام الدُّنيا، وأوّلِ يومٍ من أيّام الآخرة، وقد كنتَ تُحَدِّثُ في عَلِيِّ بنِ أبي طالب بأحاديثَ لو رجعْتَ عنها لَكانَ خيراً لك!

قال الأعمش: مثلَ ماذا يا نُعمان؟ قال: مثل حديث: **أَنَا قَسِيمُ النّار**.

قال: أَوَلِمثلي تقولُ هذا يا يهوديّ؟ أَقْعِدُوني، سَنِّدُوني ... حدَّثَني - والّذي إليهِ مَصيري - موسى بنُ طريف، قال: سمعتُ عباية بن ربعيّ إمامَ الحيّ، قال: سمعتُ عليّاً أميرَ المؤمنين، عليه السّلام، يقول: **أَنَا قَسِيمُ النَّارِ، أَقولُ هَذا وَلِيِّي دَعِيهِ، وَهَذا عَدُوِّي خُذِيهِ!**.

وحدّثني أبو المُتوكّل النّاجي في إمْرة الحجّاج - وكان الحجّاج يشتمُ عليّاً شَتْماً مقذعاً - عن أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **إذا كَانَ يَوْمُ القِيامَةِ، يَأْمُرُ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَأَقْعُدُ أَنا وعَلِيٌّ عَلَى الصِّراطِ، ويُقالُ لَنا: أَدْخِلا الجَنَّةَ مَنْ آمَنَ بِي وَأَحَبَّكُمَا، وَأَدْخِلا النَّارَ مَنْ كَفَرَ بِي وأَبْغَضَكُمَا!** «..» وتَلا: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ق:٢٤.

قال: فجعلَ أبو حَنيفة إزارَه على رأسِه، وقال: قوموا بنا، لا يَجيئُنا أبو محمّد بأطمّ من هذا!

قال شريك بن عبد الله: فما أمسى الأعمش حتّى فارقَ الدّنيا، رحمَه الله».

(عن الأمالي للشّيخ الطّوسيّ)

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

قَزْوين

من أشهر مدن إيران، تبعد عن العاصمة طهران مائة وأربعين كيلومتراً، يحدّها من جهة الشّمال الغربيّ والغرب محافظة زَنجان، ومن جهة الشّرق والجنوب مقاطعات العاصمة طهران، ومن جهة الشّمال الشّرقيّ محافظة كيلان ومازندران، ومن جهة الجنوب الغربيّ محافظة هَمَذان، وترتفع عن سطح البحر ١٢٩٨ متراً.

يعود بناء مدينة قزوين إلى العصر السّاسانيّ، أسّسها (شابور ذو الأكتاف) تاسع ملوك السّاسانيّين، كمعَسكر لموقعها الخطير. وفُتِحَت على يد البَراء بن عازِب في سنة اثنتين وعشرين هجريّة.

أشهر الأُسر العلميّة في قزوين: آل الجعفريّ، وهم من سلالة جعفر بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليه، وآل الزَّينبيّ، وهم فرع من آل الجعفريّ اشتهروا بنسبتهم إلى زينب الكبرى عليها السلام، وآل حاتم القزوينيّ، وآل أبي غانم، وآل بُوَيه.

من المزارات في قزوين: روضة آمنة خاتون، محلّ دفن جثمان السّيّدة آمنة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

روضات: إمام زاده إسماعيل، وإمام زاده علي، وإمام زاده السّيّد محمد، أصحابها من السّادات المنتسبين للإمام الصّادق عليه السلام.

في قزوين مدارس علميّة عدّة، منها: مدرسة الصّاحب بن عبّاد ، والمدرسة الحيدريّة، وهي تعود إلى القرن الخامس.

اشتهر من قزوين جمهور من علماء الفريقيْن، ودُفن بعضهم فيها؛ ومنهم حكيم شاه محمّد القزوينيّ (ت: ٩٦٦ هجريّة)، وهو من مشاهير علماء الطّبّ.

(عن دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة)

شهادةُ الإمام الصّادق عليه السلام
لَم يَحفَظوا المُختَارَ فِي أَولادِه

* شعر: العلّامة السّيّد محسن الأمين رحمه الله

في ذكرى شهادة الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام، يتفجّع العلّامة السّيّد محسن الأمين، رحمه الله، شِعراً، على ما أصاب الإمامَ العظيم من مِحْنَتَيْن، الأُولى اغتيالُه على يد المنصور العبّاسيّ، فانثلمَ بذلك الإسلام ثلمةً لا تُسَدّ، والثّانية هَدْمُ ضريحِه الشّريف في بَقيع الغرقد على يد الوهّابيّين في العصر الحديث.

تَبْـكِي العُيُـونُ بِدَمْعِهـا المُتَوَرِّدِ ... حُزْنـاً لِثَـاوٍ في بَقِيـعِ الغَرْقَـدِ
تَبْـكِي العُيُـونُ دَمـاً لِفَقْـدِ مُبَرَّزٍ ... مِـنْ آلِ أَحْمَـد مِثْلُـهُ لَـمْ يُفْقَدِ
أيُّ النَّواظِـرِ لَا تَفِيـضُ دُمُوعُهـا ... حُزْنـاً لِمَأْتَـمِ جَعْفَـرِ بْـنِ مُحَمَّدِ
لِلصَّادِقِ الصِّدِّيقِ بَحْـرِ العِلْمِ مِصبَاحِ ... الهُـدَى وَالعَابِـدِ المُتَهَجِّـدِ
رُزْءٌ لَهُ أَرْكَانُ دِيـنِ مُحَمَّـدٍ ... هُـدَّتْ ونَابَ الحُـزْنُ قَلْـبَ مُحَمَّدِ
رُزْءٌ أَصـابَ المُسْـلِمِينَ بِذِلَّـةٍ ... وَهَـوَى لَهُ بَيْـتُ العُلَى وَالسُّـؤْدُدِ
رُزْءٌ لَهُ تَبْـكِي شَرِيعَـةُ أَحْمَـدٍ ... وَتَنُـوحُ مُعْوِلَـةً بِقَلْـبٍ مُكْمَـدِ
عَمَّ الضَّـلالُ لِفَقْـدِ هَاديهـا وَقَدْ ... فُقِدَ الرَّشَـادُ بِهـا لِفَقْدِ المُرْشِـدِ
رُزْءٌ تَهـونُ لَهُ المَصائِـبُ كُلُّهـا ... رُزْءٌ لَهُ غاضَ النَّـدَى وَخَـلا النَّدِي
رُزْءٌ بِقَلْـبِ الدِّيـنِ أَثْبَتَ سَـهْمَهُ ... وَرَمَى حُشَاشَـةَ قَلْـبِ كُلِّ مُوَحِّـدِ
ثُلِـمَ الهُـدى وَالدّيـنُ مِنْـهُ ثَلْمَةً ... حَـتّى القِيامَـةِ ثَلْمُهـا لَمْ يُسَـدَّدِ
مَاذا جَنَـتْ آلُ الطَّلِيـقِ وَمَا الَّذِي ... جَرَّتْ عَلَى الإِسْـلَامِ مِـنْ صُنْعٍ رَدِي
كَـمْ أَنْزَلَـتْ مُـرَّ البَـلَاءِ بِجَعْفَرٍ ... نَجْـمِ الهُـدَى مَأْمُونِ شِرْعَـةِ أَحْمَدِ
كَـمْ شَرَّدَتْـهُ عَـنْ مَدِينَـةِ جَدِّهِ ... ظُلْمـاً تَجَشَّـمَهُ السُّرى في فَدْفَدِ
كَمْ قَدْ رَأَى المَنْصُـورُ مِنْهُ عَجَائِباً ... وَرَأَى الهُـدَى لَكِنَّـهُ لَـمْ يَهْتَـدِ!
هَيْهَـاتَ مَـا المَنْصورُ مَنْصُـورٌ بِمَا ... يـأْتِي وَلَا هُـوَ لِلْهُـدَى بِمُسَـدَّدِ
لَـمْ يَحْفَظُـوا المُخْتَـارَ في أَوْلادِهِ ... وَسِـوَاهُمُ مِـنْ أَحْمَـدٍ لَـمْ يُـولَدِ
لَـمْ يَكْفِ ما صَنَعَتْ بِهِـمْ أَعْداؤُهُمْ ... زَمَنَ الحَيـاةِ وَما اعْتَـداهُ المُعْتَدي
حَتّى غَدَتْ بَعْـدَ المَمـاتِ خَوارِجٌ ... في الظُّلْـمِ بِالماضينَ مِنْهُـمْ تَقْتَدي
هَدَمَتْ ضَرائِـحَ فَوْقَهُمْ قَدْ شُـيِّدَتْ ... مَعْقـودَةً مِـنْ فَـوْقِ أَشْرَفِ مَرْقَدِ

إصدارات عربية

الكتاب: دروس في التّربية الأخلاقيّة

المؤلّف: «مركز نون للتّأليف والتّرجمة»

النّاشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة»، بيروت ٢٠١٤م

صدر حديثاً عن «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة»، وضمن سلسلة «المعارف الإسلاميّة»، كتاب (دروس في التّربية الأخلاقيّة)، أعدّه «مركز نون للتّأليف والتّرجمة».

«هذا الكتاب هو محاولة للإطلالة المعرفيّة والعلميّة على كمال الإنسان والهدف من وجوده في هذه الحياة، وكيفيّة بلوغ الكمال الإنسانيّ، ولأنّ العوائق والموانع هي سِمة الحياة الدّنيا، لذا كان لا بدّ من التّعرّف إلى أهمّها ممّا يحول دون طيّ الإنسان لمدارج الكمال، ومن ثمّ التّعرّف إلى أهمّ الوظائف الشّرعيّة التي تُعين الإنسان على الوصول إلى الرّاحة السّرمديّة»، هكذا ورد في مقدّمة الكتاب.

يتضمّن كتاب (دروس في التّربية الأخلاقيّة) خمسةً وعشرين درساً، أُلحق بكلٍّ منها ملخّصٌ لأهمّ المفاهيم الواردة فيه، وتتخلّله نصوص مختارة بعناية للقراءة وتنمية المعارف.

الكتاب: هاجر تنتظر (سلسلة سادة القافلة)

تأليف: سعيد عاكف، أصغر فاكور

النّاشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة»، بيروت ٢٠١٤م

ضمن «سلسلة سادة القافلة» صدرت رواية «هاجر تنتظر»، وهي السّادسة من روايات السّلسلة الّتي تنقلنا عبر معابر العشق إلى خنادق المُجاهدين وحبيبات التّراب التي لامست أقدامهم، إلى حيث احتضنت الملائكة أرواح الشّهداء.

نقرأ على امتداد هذه الرّواية فقرات مُعبّرة ومليئة بالمعاني من سيرة الشّهيد القائد عبّاس كريمي الّذي استُشهد سنة ١٩٨٥م في الحرب المفروضة على الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

الكتاب: ظِلالُ زينب عليها السّلام (الإصدار الثّاني)

جمع وتحقيق: «جمعية إحياء التّراث المقاوم»

النّاشر: «جمعيّة إحياء التّراث المقاوم»، بيروت ٢٠١٤م

(تجهّز ليعود إلى الجَبهة، فقالت له: «ولدي! لقد خدمتَ بمقدار عمرك الصّغير، فدَع الآخرين ممّن لم يذهبوا بعد، أن يُشاركوا بدورهم». فلم يقل شيئاً، وجلس ساكتاً في الزّاوية. عندما حلّ موعدُ الصّلاة، وفرشَتْ سجّادتها، تقدّم وجمعها، ثمّ قال: «ادعي الّذين لم يصلّوا للصّلاة. فقد صلّيتِ كلّ هذا العمر بما فيه الكفاية»!.... فلم تجد شيئاً تُجيبه به.. ورحل). ما تقدّم نموذج عن الحكايا والخواطر الواردة في هذا الكتاب، وهو يُدوّن مواقف الشّهداء والمجاهدين في معركة الدّفاع المقدّس، وهي مواقف تأخذنا نحو عالمها المنسوج بخيوط الصّدق والوفاء، والمعقود على المودّة والولاء للحوراء زينب عليها السّلام.

الكتاب: عرش الرّوح وإنسان الدّهر

المؤلّف: الشّيخ شفيق جرادي

النّاشر: «دار المعارف الحكميّة»، بيروت ٢٠١٤م

جاء في التّعريف بهذا الكتاب «الإنسان ذاتٌ تبحث عن هويّتها بين وجوهٍ تتّصلُ به كلّها اتّصالاً جوهريّاً، وعنه تصدر.

هنالك وجهه المُتثاقل نحو الأرض والطّين، وهنالك وجهه المشدود نحو المطلق المفتوح على ما يتجاوز الحدود والنّهايات. فيه وجه الزّمن واللّحظة، وفيه وجه الدّهر والأبديّة. إنّه كائن الذّات القابلة لكلّ تقلّب وانقلاب. فيه أودِع القلب الرّوحانيّ، أو قل: مستودع الوحي وعلم الأسماء الإلهيّة».

والكتاب في مقالتَيْن: الأولى عن «القلب» بلحاظ موقعه من الإنسان وإلهيّات المعرفة، أمّا الثّانية فهي حول الذّات أو «الأنا» حسب النّصوص، وكيف نقرأها بموجب خيارات إلهيّات المعرفة البحثيّة.

الكتاب: الرّهان (THE BET)

المؤلّف: بول سابان

النّاشر: «جامعة يال»، ٢٠١٣م

تتعدّد الأصوات وتتباين، أو تتعارض، الآراء حول مستقبل العالم الّذي نعيش فيه من حيث الموارد الّتي يمتلك عليها البشر من أجل تأمين معيشتهم وبقائهم. تتراوح التّوقّعات بين التّأكيد أنّ موارد العالم المحدودة ستنضب بالضّرورة مثل كلّ ما هو محدود، وبين التّأكيد المقابل الّذي يقول أصحابه أنّه سوف يتمّ التوصّل عن طريق التّقدّم العلميّ إلى حلّ جميع المشاكل المطروحة.

«الرّهان» هو عنوان كتاب أستاذ التّاريخ في «جامعة يال» الأميركيّة والأخصّائيّ المُعترَف فيه دوليّاً في مجالَي البيئة والطّاقة بول سابان. وموضوع هذا العمل بالتّحديد هو مناقشة توقّعات الخبراء والاقتصاديّين حيال «مستقبل العالم الّذي نعيش فيه».

وإذا كان بول سابان يتوجّه في عمله إلى الجمهور العريض من أنصار البيئة والاقتصاديّين ورجال السّياسة وكلّ مَن يهتمّ بتاريخ العالم، فإنّه يتعرّض عموماً لمسألة مستقبل العالم والتّحدّيات الّتي تواجهها الإنسانيّة اليوم وفي الفترة القادمة، من خلال مناقشة مآل «الرّهان» وتاريخه بين أستاذَين جامعيَّين كانا قد أطلقاه بينهما في مطلع سنوات الثّمانينات حول أفق المستقبل.

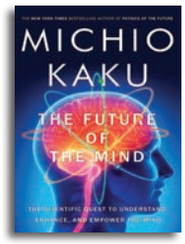

الكتاب: مستقبل المقدرة العقليّة

(The future of the mind)

المؤلّف: ميشيو كاكو

النّاشر: «دوبلداي»، نيويورك ٢٠١٤م

الدّماغ الإنساني المفكّر، هو إحدى الميزات الكبرى للإنسان العاقل. وكان البشر قد بذلوا الكثير من الجهود من أجل فهم الكيفيّة والآليّات الّتي يعمل بها الدّماغ الإنسانيّ، وما هي سماته المميّزة. لكنّ هذا المجال من البحث تطوّر كثيراً خلال السّنوات الأخيرة بحيث أنّ البحث غدا ينصبّ على المدى الّذي يمكن للعقل أن يبلغه عبر استخدام إمكانات العلم والتّكنولوجيّات الحديثة. في مثل هذا الإطار يقدّم ميشيو كاكو، أستاذ الفيزياء النّظريّة في جامعات نيويورك، وهو أميركيّ من أصل ياباني، كتابه الّذي يحمل عنوان «مستقبل المقدرة العقليّة».

الكتاب: حديث باعتدال

(Modérément Moderne)

المؤلّف: ريمي فارغ

النّاشر: «فلاماريون»، باريس ٢٠١٤م

يعود عنوان الكتاب (حديث باعتدال) إلى شعار كان قد رفعه الشّاعر الفرنسيّ الكبير رامبو، عندما أكّد ضرورة الاعتدال في «الحداثة» وليس التّزمّت في الانتماء إليها. ويشير المؤلِّف في السُّطور الأولى، إلى أنّه بعد أن تعرّض في كتابَين سابقَين للعصور القديمة ثمّ للعصور الوسطى، جاء الآن دور «الحداثة».

يتألّف الكتاب من خمسة أقسام، يضمّ كلّ منها، ما بين ثلاثة وخمسة فصول. وفي القسم الأوّل يحاول المؤلِّف أن يبيّن، أنّه يمكن للحداثة أن تكون مشكلة بمقدار ما يمكنها أن تكون حلاًّ، ذلك على أساس أنّها تحتوي على العديد من مناطق الظّلّ، والتّركيز في النّهج نفسه من التّحليل، على القول إنّ الثّقافة الغربيّة الّتي قدّمت نفسها كـ «حاملة للحداثة»، فقدت الكثير من الثّقة فيها في بلدانها، كما في الّتي حملت ثقافتها إليها.

«الاجتهاد السّياسيّ»

مجلّة «الاجتهاد السّياسيّ»، فصليّة مُتخصّصة بالفقه والاجتهاد السّياسيّ، سوف تصدر قريباً عن «جامعة المصطفى صلّى الله عليه وآله العالميّة – فرع لبنان»، وذلك «استجابةً للحاجة إلى تأطير الفكر السّياسيّ الإسلاميّ عموماً، ولا سيّما فكر أهل البيت، عليهم السّلام، وتقديمه للعالم العربيّ الباحث عن بدائل سياسيّة ناجعة، وتلبيةً لواجب إيضاح المفاهيم والطّروحات السّياسيّة لمدرسة أهل البيت عليهم السّلام، وتصحيحهما في وجه حملات التّشويه»، كما ورد في الإعلان المعرّف بالفصليّة المرتقبة.

من أهداف المجلّة، وفق الجهة النّاشرة:

– طرح الفكر السّياسيّ الإسلاميّ، ومقاربة وجهات النّظر بين مختلف الاتّجاهات بلغةٍ علميّة.

– الدّفاع عن الفكر السّياسيّ الإسلاميّ، والرّدّ على الإشكاليّات الفكريّة المطروحة.

– نشر الوعي السّياسيّ والثّقافة الدّينيّة السّياسيّة في العالم العربيّ، وتبصرة الشّعوب بمخاطر الهيمنة السّياسيّة الغربيّة.

أمّا سياسات المجلّة، فمنها:

– العمل على تعزيز وتأمين قاعدة معلومات مُتخصّصة، من خلال إنشاء مكتبة ورقيّة ورقميّة، وموقع إلكترونيّ مُتخصّص.

– الرّدّ على شُبهات العلمانيّين والمادّيّين والمُتحاملين على موضوعات الفكر السّياسيّ.

– تُعنى المجلّة بالحاجات والأولويّات البحثيّة، وتقوم بمواكبة آخر الأبحاث والدّراسات في مجال الفكر السّياسيّ.

«دواة»

العدد التّجريبيّ

صدر عن «دار اللّغة العربيّة» في «قسم إعلام العتبة الحسينيّة المقدّسة»، العدد التّجريبيّ من «مجلّة دواة» وهي فصليّة تُعنى بالبحوث والدّراسات اللّغويّة والتّربويّة.

وتضمّن العدد أبحاثاً عشرة، تناولت مختلف علوم العربيّة وآدابها كالنّحو، والصّرف، والعروض، والبيان، والمعاني، بالإضافة إلى طرائق التّدريس، وعلم اللّغة العامّ، والدّراسات المقارنة، وفقاً لأحدث المناهج البحثيّة المتّبعة في الأكاديميّات العالميّة.

وأشارت افتتاحيّة العدد التّجريبيّ إلى أنّ «مجلة دواة» تجاهر بسعيها لنصرة اللّسان العربيّ في المواقع الفكريّة الّتي تناصبه العداء، أو تحاول الغمز من قناته، وهي كذلك تصرّح بحقيقة انفتاحها على بقيّة اللّغات العالميّة الحيّة، موجّهةً دعوة عامّة لأهل اللّغة والمهتمّين بها للمشاركة في الكتابة للمجلّة.

«العميد»

العدد (٨)

صدر عن «قسم الشّؤون الفكريّة والثّقافيّة» في «العتبة العبّاسيّة المقدّسة» العدد الثّامن من مجلّة «العميد» المحكّمة والّتي يصدرها القسم المذكور، وهي مجلة علميّة محكّمة، تعنى بنشر الأبحاث الإنسانيّة لأغراض التّرقية العلميّة.

تضمّن هذا العدد الجديد مجموعة متنوّعة من الأبحاث، بحسب تنوّع فروع العلوم الإنسانيّة، وقد تميّز بميزتين:

الأولى: ملفّ العدد الّذي خُصّص لفاجعة الطّفّ الأليمة، بأربعة أبحاث تناول كلٌّ منها جانبًا موضوعيًّا؛ لتُغطّي معاً إجماليّ جوانب الواقعة.

الثّانية: هي نشر مجموعة من أبحاث «مؤتمر العميد العلميّ العالميّ الأوّل»، الذي أقامته «مجلة العميد» مؤخّرًا ، واشترك فيه باحثون وعلماء من عدّة دول عربيّة وأجنبيّة، فضلاً عن الباحثين العراقيّين.

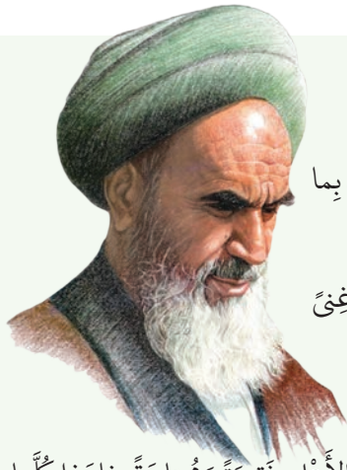

غِنى النَّفْس، في الفَقرِ إلى الحقِّ تعالى

لا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أَنَّ الغِنَى مِنَ الأَوْصافِ الكَماليَّةِ للنَّفْسِ، بَلْ هوَ مِنَ الصِّفاتِ الكَماليَّةِ للمَوْجودِ بِما أَنَّهُ مَوْجودٌ. وَلِهَذا، يَعَدُّ الغِنَى مِنَ الصِّفاتِ الذّاتيَّةِ للذّاتِ الحَقِّ المُقَدَّسِ جَلَّ وَعَلا.

وَلا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أَنَّ ثَرْوَةَ المَالِ لا توجِبُ الغِنَى في النَّفْسِ، بَلْ نَسْتَطيعُ القَوْلَ: إِنَّ مَنْ لا يَمْلِكُ غِنىً في النَّفْسِ، يَكونُ حِرْصُهُ تِجاهَ المالِ وَالثَّراءِ أَكْثَرَ، وَحاجَتُهُ أَشَدَّ.

وَلمّا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ غَنِيّاً حَقيقِيّاً أَمامَ ساحَةِ الحَقِّ، جَلَّ جَلالُهُ، وهوَ الغَنِيُّ بِالذّاتِ، وَلمّا كانَتِ المَوْجوداتُ كُلُّها مِنْ أَدْناها - وَهُوَ التُّرابِ - إِلى ذُرْوَةِ الأَفْلاكِ، وَمِنَ الهَيُولى الأُولى إِلى الجَبَروتِ الأَعْلى، فَقيرَةً وَمُحتاجَةً، فلِهَذا كُلَّما كانَ تَعَلُّقُ القَلْبِ إِلى غَيْرِ الحَقِّ، وَتَوَجُّهُ الباطِنِ نَحْوَ تَعْميرِ المُلْكِ وَالدُّنْيا، أَشَدَّ، كانَ الفَقْرُ وَالحاجَةُ أَكْبَرَ.

أَمّا الحاجَةُ القَلْبِيَّةُ، وَالفَقْرُ الرُّوحِيُّ، فَواضِحٌ جِدّاً، لِأَنَّ التَّعَلُّقَ وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَ الدُّنْيا فَقْرٌ بنفسه. وَأَمّا الحاجَةُ الخارِجِيَّةُ الّتي تُؤَكِّدُ بِدَوْرِها الفَقْرَ القَلْبِيَّ، فَهِيَ أَيْضاً أَكْثَرُ، لِأَنَّ أَحَداً لا يَسْتَطيعُ النُّهوضَ بِأَعْمالِهِ بِنَفْسِهِ، فَيَحْتاجُ في ذَلِكَ إِلى غَيْرِهِ؛ وَالأَثْرِياءُ، وَإِنْ ظَهَروا في مَظْهَرِ... الأَغْنِياءِ، إِلّا أَنَّهُمْ فُقَراءُ وَمُحْتاجونَ في زِيِّ مَنْ لا يَحْتاجُ.

وكُلَّما اتَّجَهَ القَلْبُ نَحْوَ تَدْبيرِ الأُمورِ وَتَعْميرِ الدُّنْيا أَكْثَرَ، وَكانَ تَعَلُّقُهُ أَشَدَّ، كانَ غُبارُ الذُّلِّ وَالمَسْكَنَةِ عَلَيْهِ أَوْفَرَ، وَظَلامُ الهَوانِ وَالحاجَةِ أَوْسَعَ. وَعَلى العَكْسِ، كُلَّما رَكَلَ بِقَدَمِهِ التَّعَلُّقَ بِالدُّنْيا، حَوَّلَ بِوَجْهِ قَلْبِهِ إِلى الغِنَى المُطْلَقِ، وَآمَنَ بِالفَقْرِ الذّاتِيِّ للمَوْجوداتِ، وَعَرَفَ بِأَنَّ أَحَداً مِنَ الكائِناتِ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ شَيْئاً، وَأَنَّ جَميعَ الأَقْوِياءِ وَالأَعِزّاءِ وَالسَّلاطينِ قَدْ وَعوا بِقُلوبِهِم... الآيَةَ الكَريمَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾. «..»

يَقولُ الإِمامُ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ عليه السلام، لابْنِ عَبّاسٍ: «**وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرادَةٍ تَقْضمُهَا**»، ويقول الإِمامُ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: «**أَسْتَنْكِفُ أَنْ أَطْلُبَ الدُّنْيا مِنْ خالِقِها، فَكَيْفَ بِطَلَبِهَا مِنْ مَخْلُوقٍ مِثْلي**».

إِنَّ أَهْلَ الحَقِّ يَعْرِفونَ أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الكُدورَةِ وَالظَّلامِ يُسَبِّبُها، في القَلْبِ، التَّوَجُّهُ نَحْوَ خَزائِنِ الدُّنْيا، وَالمالِ، وَالجاهِ، وَالمُجالَسَةِ مَعَ أَهْلِها، وَكَيْفَ يَبْعَثُ عَلى الوَهْنِ وَفُتورِ العَزيمَةِ، وَيُوجِبُ الفَقْرَ وَالحاجَةَ في القَلْبِ، وَيَصْرِفُ العبدَ عَنِ الانْتِباهِ إِلى النُّقْطَةِ المَرْكَزِيَّةِ الكامِلَةِ بِصورَةٍ مُطْلَقَةٍ.

وَلَكِنّك، أَيُّها العَزيز، عِنْدَما سلَّمتَ القَلْبَ إِلى أَهْلِهِ، وَالبَيْتَ إِلى صاحِبِهِ، وَأَعْرَضْتَ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ تُبِحِ البَيْتَ للغاصِبِ، تَجَلَّى فيهِ صاحِبُهُ.

وَمِنَ المَعْلومِ أَنَّ تَجَلِّيَ الغَنِيِّ المُطْلَقِ، يُفضي إِلى الغِنَى المُطْلَقِ، وَيُغْرِقُ القَلْبَ في بَحْرِ العِزَّةِ والغِنى، فَيَمْتَلِئُ مِنَ الغِنى وَعَدَمِ الاحْتِياجِ: ﴿..وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ..﴾، فيَنْهَضُ صاحِبُ البَيْتِ بِإِدارَةِ أُمورِهِ، وَلا يُتْرَكُ الإِنْسانَ إِلى نَفْسِهِ، وَإِنَّما يَتَدَخَّلُ وَيَتَصَرَّفُ في جَميعِ شُؤونِ عَبْدِهِ، بَلْ يُصْبِحُ هُوَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ، وَتَتَحَقَّقُ ثَمَرَةُ التَّقَرُّبِ بِالنَّوافِلِ، كَما وَرَدَ في الحَديثِ الشَّريفِ... عَنْ أَبي جَعْفَرٍ البَاقِرِ عليه السلام: «**وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا**»، فيوصَدُ بابُ فَقْرِ العَبْدِ وَفاقَتِهِ نِهائِيّاً وَيَسْتَغْني عَنِ العالَمينَ.

وَمِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّهُ يَرْتَفِعُ مِنْ وَراءِ هَذا التَّجَلّي الخَوْفُ مِنْ جَميعِ الكائِناتِ، وَيَحُلُّ الخَوْفُ مِنَ الحَقِّ المُتَعالِ مَحَلَّهُ، وَتَمْلَأُ القَلْبَ عَظَمَةُ الحَقِّ وَهَيْبَتُهُ، وَلا يَرَى لِغَيْرِ الحَقِّ عَظَمَةً وَاحْتِشاماً وَتَصَرُّفاً، وَيُدْرِكُ، بِكُلِّ قَلْبِهِ، حَقيقَةَ أَنْ «**لا مُؤَثِّرَ فِي الوُجودِ إِلَّا اللهُ**».

(مختصر)